

عظات على سفر أيوب

مطبوعات ساعة الإصلاح

بسام مدني

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

محتويات الكتاب

٣	سرّ الوجود ١
٨	سرّ الوجود ٢
١٣	ليكن اسم الرب مباركاً ١
١٥	ليكن اسم الرب مباركاً ٢
١٩	الخير والشر ١
٢١	الخير والشر ٢
٢٤	دنيا الشقاء ١
٢٨	دنيا الشقاء ٢
٣١	لماذا يتعذب الناس ١
٣٥	لماذا يتعذب الناس ٢
٣٨	أهناك عدل على الأرض؟ ١
٤٢	أهناك عدل على الأرض؟ ٢
٤٥	العذابات في عالم الله ١
٤٧	العذابات في عالم الله ٢
٥٣	ما هو الإنسان؟ ١
٥٧	ما هو الإنسان؟ ٢
٦٠	ما هو السبب؟ ١
٦٤	ما هو السبب؟ ٢
٦٧	كيف يتبرر الإنسان عند الله؟ ١
٧١	كيف يتبرر الإنسان عند الله؟ ٢
٧٤	شكوى المؤمن ١
٧٨	شكوى المؤمن ٢
٨١	ليت الله يتكلم ١

٨٥	ليت الله يتكلم ٢
٨٨	الله أعظم من الإنسان ١
٩١	الله أعظم من الإنسان ٢
٩٤	الله لا يفعل السوء ١
٩٨	الله لا يفعل السوء ٢
١٠١	الجواب لله ١
١٠٥	الجواب لله ٢
١٠٨	آخرة المؤمن ١
١١٢	آخرة المؤمن ٢

سرّ الوجود ١

النص الكتابي: أيوب ١: ١-١٢

تكتنفنا في السنين الأخيرة من القرن الواحد والعشرين معضلات كثيرة تقض مضجعنا وتجعل من حياتنا حياة مليئة بالأحزان. وقد ذكرنا في مناسبات عديدة أن قرننا هذا امتاز بمظاهر القساوة والهمجية قلما اختبرتها العصور الماضية. مثلاً، عندما اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى وقت على الملايين من البشر تكهّن البعض بأنها آخر حرب كبرى تحدث في هذا القرن. ولكنه بعد عقدين من الزمن اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية وكانت أشد فتكاً من الأولى وانتهت بظهور القنبلة النووية على مسرح عالماً. ولم تنته فواجعنا نحن أهل الشرق الأوسط إذ أننا لم نختبر سلاماً حقيقياً في أي عقد تلا القسم الثاني من القرن العشرين بل كابدنا الأمرين من حروب ضارية قضت على الآلاف وشرّدت آلافاً آخرين مبعثرة إياهم في شتى أنحاء المعمورة.

وعلاوة على الكوارث ذات الأبعاد الهائلة التي حلّت بدنياً هذه فإن العديدين من الأفراد يختبرون مأس ذات وطأة شديدة. فهذا رجل ذهب إلى الطبيب باحثاً عن سبب علّة حلّت به فإذا يخبر بأن داء السرطان قد نفّس في جسمه وأن أيامه صارت محدودة. وهذه زوجة كانت تعمل بجد ونشاطك معتنية بعائلتها من الفجر حتى الليل ينقض عليها مرض عضال يقعدها عن القيام بواجباتها العائلية. وها شاب كان سبب فخر ذويه لما اشتهر بجده ونشاطه في مرحلة دراسته الثانوية، ما أن ذهب إلى الجامعة ليتخصص في دراسته ويستعدّ لدخول معركة الحياة حتى انهارت أحلامه إذ انخدع من قبل رفاق السوء الذين استدرجوه إلى معاطاة المخدرات فصار عبداً لها فلم يكمل دراسته.

إن إيماننا بالله وبسيطرته على العالم بما في ذلك الحياة البشرية لا يعني بأن مجرى حياتنا يصبح واضحاً في كل تفاصيله. تبقى هناك معضلات حياتية لا نقدر أن نفهمها. وعوضاً عن أن نقع في بحر اليأس والقنوط، نذهب إلى الوحي الإلهي لننتلّق عبر حياتية تتعلق بموضوع آلام الحياة الدنيا. وقد وهبنا الله كتاباً خاصاً ضمن كتب الوحي ليعلمنا أنه مهما صار فإنه لا يترك المؤمنين المعدّبين تائهين في بحر اليأس والقنوط بل يهب إلى نجدتهم في الوقت المناسب. وهذا هو سفر أيوب الصديق.

"١ كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عُوصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَامِلاً وَمُسْتَقِيماً يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. ٢ وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ. ٣ وَكَانَتْ مَوَاشِيهِ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ الْغَنَمِ وَثَلَاثَةَ آلَافٍ جَمَلٍ وَخَمْسَ مِئَةِ زَوْجِ بَقَرٍ وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ وَخَدَمُهُ كَثِيرِينَ جِداً. فَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَعْظَمَ كُلِّ بَنِي الْمَشْرِقِ. ٤ وَكَانَ بَنُوهُ يَذْهَبُونَ وَيَعْمَلُونَ وَلِيْمَةً فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمِهِ وَيُرْسِلُونَ وَيَسْتَدْعُونَ أَخَوَاتِهِمُ الثَّلَاثَ لِيَأْكُلْنَ وَيَشْرَبْنَ مَعَهُمْ. ٥ وَكَانَ لَمَّا

دَارَتْ أَيَّامُ الْوَلِيمَةِ أَنَّ أَيُّوبَ أَرْسَلَ فَقَدَّسَهُمْ وَبَكَرَ فِي الْعَدِ وَأَصْعَدَ مُحَرَقَاتٍ عَلَى عَدَدِهِمْ كُلَّهُمْ لِأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: [رُبَّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدَّفُوا عَلَى اللَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ]. هَكَذَا كَانَ أَيُّوبُ يَفْعَلُ كُلَّ الْأَيَّامِ.

وإذ نبدأ اليوم بهذه السلسلة الجديدة من عظات ساعة الإصلاح نذكر أن سفر أيوب هو فريد بين جميع أسفار العهد القديم أي كتب الوحي التي أعطاها الله في أيام ما قبل الميلاد وعددها تسعة وثلاثون سفرًا.

لم تتم حوادث سفر أيوب ضمن تاريخ بني اسرائيل بل في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية. وبينما نلاحظ نوعاً من الخصوصية ضمن بقية أسفار العهد القديم نجد أن لسفر أيوب نظرة شمولية غير منحصرة في إقليم واحد أو ضمن شعب واحد. والموضوع الذي يتطرق اليه هذا الكتاب هو من أعمق وأهم المواضيع الحياتية ألا وهو موضوع الآلام وعذابات الحياة.

وصفت لنا فاتحة هذا السفر أن أيوب عاش في أرض عوص وكان من خائفي الله ومن الذين اشتهروا بإيمانهم وبحياة متجانسة مع هذه الايمان. أغدق الله عليه بنعم كثيرة من أولاد وبنات وثروة حيوانية كبيرة. وقلما يقال عن إنسان في تلك أو في أيامنا هذه أنه رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. كل شيء في حياة أيوب كان على ما يرام إلى ذلك اليوم الذي انهالت عليه الضربات من كل حدب وصوب فخسر أولاً مقتنياته ثم بنيه وبناته وأخيراً صحته وعافيته. كيف يجوز أن تتم هذه الأمور لإنسان كأيوب؟ يكشف لنا الوحي النقاب عن وجه آخر من عالم الوجود نسيه معاصروننا ألا وهو العالم الروحاني أي عالم ما فوق الطبيعة.

لنعد إلى النص الكتابي فنقرأ ما يلي:

٦ "وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ لِيَمْتَلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. ٧ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: [مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟] فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: [مِنْ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ وَمِنْ التَّمَشِّي فِيهَا]. ٨ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: [هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لَأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ]. ٩ فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: [هَلْ مَجَانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللَّهَ؟ ١٠ أَلَيْسَ أَنَّكَ سَجَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الْأَرْضِ! ١١ وَلَكِنْ ابْسِطْ يَدَكَ الْآنَ وَمَسَّ كُلُّ مَا لَهُ فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ]. ١٢ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: [هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ وَإِنَّمَا إِلَيْهِ لَا تَمُدُّ يَدَكَ]. ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ."

عندما ابتدأت في حديثي ذكرت أن قرننا هذا امتاز بكثرة الفواجع التي ألمت بالبشرية وبطريقة لم يعرف لها مثيل. وقلت أيضاً بأن تعليل حدوث هذه الأمور المفجعة إنما يتوقف على النظرة الحياتية التي يدين بها الإنسان . ومن البديهي أنني أعالج هذا الموضوع من وجهة نظر إيماني بالله وبوحيه. ثم أتيت على ذكر سفر أيوب حيث نقف على أهمية أخذ الوجود بأسره بعين الاعتبار. وما أعنيه بالوجود بأسره هو أنه يلزمنا أن نأخذ أمور دنيانا هذه بعين الاعتبار وكذلك ذلك العالم الذي هو فوق دنيانا أي عالم ما فوق الطبيعة أو عالم الغيب.

فإن تركنا على شأننا واكتفينا بالنظر إلى معنى الحياة من وجهة نظر دنيوية محضة فإننا نبقي في ظلمة دامسة لأننا إذ ذاك لا نكون مشاهدين إلا قسم أو طرف واحد من الواقع المعاش. لكن قلبي بأنه علينا أن نأخذ الوجود بأسره بعين الاعتبار لا يعني بأننا نصل إلى فهم سبب ومعنى كل شيء. تبقى حياتهم مكتنفة بمعضلات كثيرة وعويصة إلا أن وقعها يكون أقل وطأة عليهم مما لو لم يستعينوا بالحق النابع من الوحي الإلهي.

فإن اكتفينا بالتأمل بكل ما كانت سينهمر على أيوب الصديق من نكبات وفواجع من وجهة نظر دنيوية محضة كما كان يقوم بذلك العديدون من معاصريه ف أيام ما قبل الميلاد، لخلصنا إلى القول بأن الحياة البشرية هي تحت رحمة الأقدار عاتية لا ترحم ولا تشفق. ولكننا ما أن نعترف بالحقيقة المستقاة من الوحي الإلهي ونشهد بأن الله هو المهيمن على مسيرة البشرية في شتى عصور التاريخ حتى نجابه مشكلة عقائدية هامة. إن كان الله هو سيد الكون ومسيّر دفة التاريخ، كيف يسمح لكل هذه الأمور المحزنة بأن تعكّر صفو حياة مخلوقاته العاقلة؟ وتزداد مشكلتنا تعقيداً أن تتكبد الكوارث على من اتكل على الله وسار على طريقه المستقيم؟ يسهل علينا فهم حدوث أمور مزعجة لمن ثار على الله وارتكب المحرمات. ولكن أن تنزل بمؤمن أو مؤمنة نائبة حتى ينوء تحت كاهلها ولا يرى منفذاً للخلاص منها، هذا سر لا نقدر أن نفهمه.

ونحن لا نبغي أن نتأمل في موضعنا هذا بطريقة نظرية مجردة. نقول ما قلناه منذ برهة وجيزة بعد اختبارات حياتية كثيرة وبعد قراءتنا ما قلناه منذ برهة وجيزة بعد اختبارات حياتية كثيرة وبعد قراءتنا للآلاف من الرسائل التي وردتنا من مستمعينا الأعزاء من شتى أنحاء المعمورة. تحدث المصائب لخائفي الله ومتّقيه منذ فجر التاريخ. هذا ما نتعلمه من سفر أيوب الذي يصف لنا ما حدث لهذا الرجل الشهم والصبور. فرسالة سفر أيوب لها أهميتها الخاصة لنا نحن أهل السنين الأخيرة من القرن العشرين.

ونرجو أن نذيع هذه العظات المبنية على سفر أيوب لنستقي منها عبر ذات أهمية قصوى. ونكتفي الآن بالقول أن الشيطان عدو الله والإنسان ، أن الشيطان يلعب دوراً هاماً

في التصدي للإنسان وإغوائه لإبعاده عن سبيل الله. هذا لا يعني أن العامل الرئيسي في حياة البشر إنما هو العامل الشيطاني. ما أعنيه هو أن هذا الملاك الساقط يعمل جهده للتكيد بالإنسان وجعل حياته حياة بئسة وملينة بالفواجع. وكما لا حظنا من النص الكتابي يتحدى الشيطان الله ويحاول تدمير إيمان أيوب، لكن أيوب لم فشل في الامتحان الشديد الذي اجتازه بل نجح في النهاية لأنه بقي متعلقاً بالله مهما حدث له.

وإذ نعيش بعد آلاف السنين من أيام أيوب الصديق لا بد لنا نم أن نجاهر بأنّ المسيح الله وقد عالمنا لتدمير أعمال إبليس. وقد أتمّ هذا عندما مات عنا مكفراً عن خطايانا وآثامنا وأعطانا المقدرة على محاربة الشيطان والتغلب على هجماته الشريرة. ومع أن خلاصنا أكيد وأننا ننعم منذ الآن بالحياة الأبدية، إلا أن هذا لا يعني أن حياتنا تصبح خالية من الصعوبات. لا يزال الشر موجوداً في دنيانا والشيطان يعمل جهده للتصدي للذين آمنوا بالإنجيل وقبلوا المسيح يسوع مخلصاً لأنفسهم. ومهما حميت الحرب الروحية التي نخوض غمارها كمؤمنين ومؤمنات فإننا متأكدون بأن النصر حليفنا وأن ذلك سيظهر للعيان لدى عودة المسيح إلى عالمنا ليدين الأحياء والأموات ويرسل إبليس وسائر أعوانه الأشرار إلى النار الأبدية، آمين.

وعندما ندرس سفر أيوب نقف على أهمية أخذ الوجود بأسره بعين الاعتبار. وما أعنيه بالوجود بأسره هو أنه يلزمنا أن نتأمل في أمور دنيانا هذه وكذلك في أمور عالم ما فوق الطبيعة أو عالم الغيب.

فإن اكتفينا بالنظر إلى معنى الحياة من وجهة نظر دنيوية محضة فإننا نبقى في ظلمة دامسة لأننا إذ ذاك لا نكون مشاهدين إلا قسم أو طرف واحد من الواقع المعاش. لكن قولي بأنه علينا أن نأخذ الوجود بأسره بعين الاعتبار لا يعني بأننا نصل إلى فهم سبب ومعنى كل شيء. تبقى حياة الناس وحتى المؤمنين والمؤمنات بالله القدير، تبقى حياتهم مكتنفة بمعضلات كثيرة إلا أن وقعها يكون أقل وطأة عليهم مما لو لم يستعينوا بالحق النابع من الوحي الإلهي. ولكننا ما أن نعترف بالحقيقة المستقاة من الوحي الإلهي ونشهد بأن الله هو المهيمن على مسيرة البشرية في شتى عصور التاريخ حتى نجابه مشكلة عقائدية هامة. أن كان الله هو سيد الكون ومسير دفة التاريخ، كيف يسمح لكل هذه الأمور المحزنة بأن تعكّر صفو حياة خائفه ومتّقيه؟ أهذا أمر معقول أن تنكب الكوارث على من اتكل على الله وسار في طريقه المستقيم؟ يسهل علينا فهم حدوث أمور مزعجة لمن ثار على الله وارتكب المحرمات. ولكن أن تنزل بمؤمن أو مؤمنة نائبة حتى ينوء تحت كاهلها ولا يرى منفذاً للخلاص منها، هذا سر لا نقدر أن نفهمه.

ونرجو أن نذيع هذه العظات المبنية على سفر أيوب لنستقي منها عبر ذات أهمية قصوى. ونكتفي الآن بالقول أن الشيطان عدو الله والإنسان ، أن الشيطان يلعب دوراً هاماً في التصدي للإنسان وإغوائه لإبعاده عن سبيل الله. هذا لا يعني أن العامل الرئيسي في حياة البشر إنما هو العامل الشيطاني. ما أعنيه هو أن هذا الملاك الساقط يعمل جهده للتنكيل بالإنسان وجعل حياته حياة بئسة ومليئة بالفواجع. وكما لاحظنا من النص الكتابي يتحدث الشيطان الله ويحاول تدمير إيمان أيوب، لكن أيوب لم يفشل في الامتحان الشديد الذي اجتازه بل نجح في النهاية لأنه بقي متعلقاً بالله بالرغم من كل ما حدث له. وإذ نعيش بعد آلاف السنين من أيام أيوب الصديق لا بد لنا من أن نجاهر بأن المسيح الله وفد عالمنا لتدمير أعمال إبليس. وقد أتم هذا عندما مات عنا مكفراً عن خطايانا وآثامنا وأعطانا المقدرة على محاربة الشيطان والتغلب على هجماته الشريرة. ومع أن خلاصنا أكيد وأننا ننعم منذ الآن بالحياة الأبدية، إلا أن هذا لا يعني أن حياتنا تصبح خالية من الصعوبات. لا يزال الشر موجوداً في دنيانا والشيطان يعمل جهده للتصدي للذين آمنوا بالإنجيل وقبلوا المسيح يسوع مخلصاً لنفوسهم. ومهما حميت الحرب الروحية التي نخوض غمارها كمؤمنين ومؤمنات فإننا متأكدون بأن النصر حليفنا وأن ذلك سيظهر للعيان لدى عودة المسيح إلى عالمنا ليدين الأحياء والأموات ويرسل إبليس وسائر أعوانه الأشرار إلى النار الأبدية، آمين.

سرّ الوجود ٢

ماذا نقول ونحن نستعرض مشكلات الحياة المعاصرة؟ على أي أساس فكري نتأمل فيها لنقف على معناها؟ يكمن الجواب في النظرية الحياتية التي ندين بها. فإن كنا من أتباع الصنمية المعاصرة التي تسيطر على الحياة الفكرية في شتى أنحاء المعمورة، لا بد لنا أن نقول أننا لا معنى للحياة البشرية. على الإنسان أن يرضخ للأمر الواقع أي لكون الحياة تحت رحمة قوى آلية عمياء. ولكننا إذا تحنا بإيمان حيّ بالله القدير والمعتني بمخلوقاته البشرية، فإننا إذ ذاك نترك أمرنا في يده تعالى وننتظر منه العون والنجاة.

لكن إيماننا بالله وبسيطرته على العالم بما في ذلك الحياة البشرية لا يعني بأن مجرى حياتنا يصبح واضحاً في كل تفاصيله. تبقى هناك معضلات حياتية لا نقدر أن نفهمها. وعوضاً عن أن نقع في بحر اليأس والقنوط، نذهب إلى الوحي الإلهي لننتقل عبر حياتية تتعلق بموضوع آلام الحياة الدنيا. وقد وهبنا الله كتاباً خاصاً ضمن كتب الوحي ليعلمنا أنه مهما صار فإنه لا يترك المؤمنين المعذبين تائهين في بحر اليأس والقنوط بل يهب إلى نجدتهم في الوقت المناسب. وهذا هو سفر أيوب الصديق.

"١ كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عُوصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَامِلاً وَمُسْتَقِيماً يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. ٢ وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ. ٣ وَكَانَتْ مَوَاشِيهِ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ الْعَنَمِ وَثَلَاثَةَ آلَافٍ جَمَلٍ وَخَمْسَ مِئَةِ رُوحٍ بَقَرٍ وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ وَخَدَمُهُ كَثِيرِينَ جِداً. فَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَكْثَرَ كُلِّ بَنِي الْمَشْرِقِ. ٤ وَكَانَ بَنُوهُ يَذْهَبُونَ وَيَعْمَلُونَ وَلَيْمَةً فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمِهِ وَيُرْسِلُونَ وَيَسْتَدْعُونَ أَخَوَاتِهِمُ الثَّلَاثَ لِيَأْكُلْنَ وَيَشْرَبْنَ مَعَهُمْ. ٥ وَكَانَ لَمَّا دَارَتْ أَيَّامُ الْوَلِيمَةِ أَنَّ أَيُّوبَ أَرْسَلَ فَقَدَسَهُمْ وَبَكَرَ فِي الْعَدِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى عَدَدِهِمْ كُلِّهِمْ لِأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: [رُبَّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدَّفُوا عَلَى اللَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ]. هَكَذَا كَانَ أَيُّوبُ يَفْعَلُ كُلَّ الْيَّامِ."

وإذ نبدأ اليوم بهذه السلسلة الجديدة من عظات ساعة الإصلاح نذكر أن سفر أيوب هو فريد بين جميع أسفار العهد القديم أي كتب الوحي التي أعطاه الله في أيام ما قبل الميلاد وعددها تسعة وثلاثون سفرًا.

لم تتم حوادث سفر أيوب ضمن تاريخ بني إسرائيل بل في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية. وبينما نلاحظ نوعاً من الخصوصية ضمن بقية أسفار العهد القديم نجد أن لسفر أيوب نظرة شمولية غير منحصرة في إقليم واحد أو ضمن شعب واحد. والموضوع الذي يتطرق إليه هذا الكتاب هو من أعمق وأهم المواضيع الحياتية ألا وهو موضوع آلام وعذابات الحياة.

وصفت لنا فاتحة هذا السفر أن أيوب عاش في أرض عوص وكان من خائفي الله ومن الذين اشتهروا بإيمانهم وبحياة متجانسة مع هذه الايمان. أغدق الله عليه بنعم كثيرة من أولاد وبنات وثروة حيوانية كبيرة. وكلما يقال عن إنسان في تلك أو في أيامنا هذه أنه رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. كل شيء في حياة أيوب كان على ما يرام إلى ذلك اليوم الذي انهالت عليه الضربات من كل حذب وصوب فخر أولاً مقتنياته ثم بنيه وبناته وأخيراً صحته وعافيته. كيف يجوز أن تتم هذه الأمور لإنسان كأيوب؟ يكشف لنا الوحي النقاب عن وجه آخر من عالم الوجود نسيه معاصروننا ألا وهو العالم الروحاني أي عالم ما فوق الطبيعة.

لنعود إلى النص الكتابي فنقرأ ما يلي:

"وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ لِيَمْتَلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. ٧ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: [مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟] فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: [مِنَ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ وَمِنْ التَّمَشِّي فِيهَا]. ٨ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: [هَلْ جَعَلْتُ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لَأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ]. ٩ فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: [هَلْ مَجَانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللَّهَ؟ ١٠ أَلَيْسَ أَنَّكَ سَجَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الْأَرْضِ! ١١ وَلَكِنْ ابْسِطْ يَدَكَ الْآنَ وَمَسْ كُلِّ مَا لَهُ فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ]. ١٢ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: [هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ وَإِنَّمَا إِلَيْهِ لَا تَمُدُّ يَدَكَ]. ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ."

عندما ابتدأت في حديثي ذكرت أن قرننا هذا امتاز بكثرة الفواجع التي ألمت بالبشرية وبطريقة لم يعرف لها مثيل. وقلت أيضاً بأن تعليل حدوث هذه الأمور المفجعة إنما يتوقف على النظرة الحياتية التي يدين بها الإنسان. ومن البديهي أنني أعالج هذا الموضوع من وجهة نظر إيماني بالله وبوحيه. ثم أتيت على ذكر سفر أيوب حيث نقف على أهمية أخذ الوجود بأسره بعين الاعتبار. وما أعنيه بالوجود بأسره هو أنه يلزمنا أن نأخذ أمور دنيانا هذه بعين الاعتبار وكذلك ذلك العالم الذي هو فوق دنيانا أي عالم ما فوق الطبيعة أو عالم الغيب.

فإن تركنا على شأننا واكتفينا بالنظر إلى معنى الحياة من وجهة نظر دنيوية محضة فإننا نبقي في ظلمة دامسة لأننا إذ ذاك لا نكون مشاهدين إلا قسم أو طرف واحد من الواقع المعاش. لكن قلبي بأنه علينا أن نأخذ الوجود بأسره بعين الاعتبار لا يعني بأننا نصل إلى فهم سبب ومعنى كل شيء. تبقى حياتهم مكتنفة بمعضلات كثيرة وعويصة إلا أن وقعها يكون أقل وطأة عليهم مما لو لم يستعينوا بالحق النابع من الوحي الإلهي.

فإن اكتفينا بالتأمل بكل ما كانت سينهمر على أيوب الصديق من نكبات وفواجع من وجهة نظر دنيوية محضة كما كان يقوم بذلك العديدون من معاصريه ف أيام ما قبل الميلاد، لخلصنا إلى القول بأن الحياة البشرية هي تحت رحمة الأقدار عاتية لا ترحم ولا تشفق. ولكننا ما أن نعترف بالحقيقة المستقاة من الوحي الإلهي ونشهد بأن الله هو المهيمن على مسيرة البشرية في شتى عصور التاريخ حتى نجابه مشكلة عقائدية هامة. إن كان الله هو سيد الكون ومسيّر دفة التاريخ، كيف يسمح لكل هذه الأمور المحزنة بأن تعكّر صفو حياة مخلوقاته العاقلة؟ وتزداد مشكلتنا تعقيداً أن تنكبّ الكوارث على من اتكل على الله وسار على طريقه المستقيم؟ يسهل علينا فهم حدوث أمور مزعجة لمن ثار على الله وارتكب المحرمات. ولكن أن تنزل بمؤمن أو مؤمنة نائبة حتى ينوء تحت كاهلها ولا يرى منفذاً للخلاص منها، هذا سر لا نقدر أن نفهمه.

ونحن لا نبغي أن نتأمل في موضعنا هذا بطريقة نظرية مجردة. نقول ما قلناه منذ برهة وجيزة بعد اختبارات حياتية كثيرة وبعد قراءتنا ما قلناه منذ برهة وجيزة بعد اختبارات حياتية كثيرة وبعد قراءتنا للآلاف من الرسائل التي وردتنا من مستمعينا الأعزاء من شتى أنحاء المعمورة. تحدث المصائب لخائفي الله ومتّقيه منذ فجر التاريخ. هذا ما نتعلمه من سفر أيوب الذي يصف لنا ما حدث لهذا الرجل الشهم والصبور. فرسالة سفر أيوب لها أهميتها الخاصة لنا نحن أهل السنين الأخيرة من القرن العشرين.

ونرجو أن نذيع هذه العظات المبنية على سفر أيوب لنستقي منها عبر ذات أهمية قصوى. ونكتفي الآن بالقول أن الشيطان عدو الله والإنسان ، أن الشيطان يلعب دوراً هاماً في التصدي للإنسان وإغوائه لإبعاده عن سبيل الله. هذا لا يعني أن العامل الرئيسي في حياة البشر إنما هو العامل الشيطاني. ما أعنيه هو أن هذا الملاك الساقط يعمل جهده للتكيل بالإنسان وجعل حياته حياة بائسة وملينة بالفواجع. وكما لا حظنا من النص الكتابي يتحدى الشيطان الله ويحاول تدمير إيمان أيوب، لكن أيوب لم فشل في الامتحان الشديد الذي اجتازه بل نجح في النهاية لأنه بقي متعلقاً بالله مهما حدث له.

وإذ نعيش بعد آلاف السنين من أيام أيوب الصديق لا بد لنا من أن نجاهر بأنّ المسيح الله وقد عالمنا لتدمير أعمال إبليس. وقد أتمّ هذا عندما مات عنا مكفّراً عن خطايانا وآثامنا وأعطانا المقدرة على محاربة الشيطان والتغلب على هجماته الشريرة. ومع أن خلاصنا أكيد وأننا ننعم منذ الآن بالحياة الأبدية، إلا أن هذا لا يعني أن حياتنا تصبح خالية من الصعوبات. لا يزال الشر موجوداً في دنيانا والشيطان يعمل جهده للتصدي للذين آمنوا بالإنجيل وقبلوا المسيح يسوع مخلصاً لنفوسهم. ومهما حميت الحرب الروحية التي نخوض غمارها كمؤمنين ومؤمنات فإننا متأكدون بأن النصر حليفنا وأن ذلك سيظهر للعيان لدى

عودة المسيح إلى عالمنا ليدين الأحياء والأموات ويرسل إبليس وسائر أعوانه الأشرار إلى النار الأبديّة، آمين.

وعندما ندرس سفر أيوب نقف على أهمية أخذ الوجود بأسره بعين الاعتبار. وما أعنيه بالوجود بأسره هو أنه يلزمنا أن نتأمل في أمور دنيانا هذه وكذلك في أمور عالم ما فوق الطبيعة أو عالم الغيب.

فإن اكتفين بالنظر إلى معنى الحياة من وجهة نظر دنيوية محضة فإننا نبقى في ظلمة دامسة لأننا إذ ذاك لا نكون مشاهدين إلا قسم أو طرف واحد من الواقع المعاش. لكن قولي بأنه علينا أن نأخذ الوجود بأسره بعين الاعتبار لا يعني بأننا نصل إلى فهم سبب ومعنى كل شيء. تبقى حياة الناس وحتى المؤمنين والمؤمنات بالله القدير، تبقى حياتهم مكتنفة بمعضلات كثيرة إلا أن وقعها يكون أقل وطأة عليهم مما لو لم يستعينوا بالحق النابع من الوحي الإلهي. ولكننا ما أن نعترف بالحقيقة المستقاة من الوحي الإلهي ونشهد بأن الله هو المهيمن على مسيرة البشرية في شتى عصور التاريخ حتى نجابه مشكلة عقائدية هامة. أن كان الله هو سيد الكون ومسير دفة التاريخ، كيف يسمح لكل هذه الأمور المحزنة بأن تعكّر صفو حياة خائفيه ومتقيّيه؟ أهذا أمر معقول أن تتكب الكوارث على من اتكل على الله وسار في طريقه المستقيم؟ يسهل علينا فهم حدوث أمور مزعجة لمن ثار على الله وارتكب المحرمات. ولكن أن تنزل بمؤمن أو مؤمنة نائبة حتى ينوء تحت كاهلها ولا يرى منفذاً للخلاص منها، هذا سر لا نقدر أن نفهمه.

ونرجو أن نذيع هذه العظات المبنية على سفر أيوب لنستقي منها عبر ذات أهمية قصوى. ونكتفي الآن بالقول أن الشيطان عدو الله والإنسان ، أن الشيطان يلعب دوراً هاماً في التصدي للإنسان وإغوائه لإبعاده عن سبيل الله. هذا لا يعني أن العامل الرئيسي في حياة البشر إنما هو العامل الشيطاني. ما أعنيه هو أن هذا الملاك الساقط يعمل جهده للتنكيل بالإنسان وجعل حياته حياة بئسة وملينة بالفواجع. وكما لاحظنا من النص الكتابي يتحدّى الشيطان الله ويحاول تدمير إيمان أيوب، لكن أيوب لم يفشل في الامتحان الشديد الذي اجتازه بل نجح في النهاية لأنه بقي متعلّقاً بالله بالرغم من كل ما حدث له. وإذ نعيش بعد آلاف السنين من أيام أيوب الصديق لا بد لنا من أن نجاهر بأن المسيح الله وفد عالمنا لتدمير أعمال إبليس. وقد أتم هذا عندما مات عنا مكفراً عن خطايانا وآثامنا وأعطانا المقدرة على محاربة الشيطان والتغلب على هجماته الشريرة. ومع أن خلاصنا أكيد وأنا ننعم منذ الآن بالحياة الأبديّة، إلا أن هذا لا يعني أن حياتنا تصبح خالية من الصعوبات. لا يزال الشر موجوداً في دنيانا والشيطان يعمل جهده للتصدي للذين آمنوا بالإنجيل وقبلوا المسيح يسوع مخلصاً لنفوسهم. ومهما حميت الحرب الروحية التي نخوض غمارها كمؤمنين ومؤمنات

فإننا متأكدون بأن النصر حليفنا وأن ذلك سيظهر للعيان لدى عودة المسيح إلى عالمنا ليدين
الأحياء والأموات ويرسل إبليس وسائر أعوانه الأشرار إلى النار الأبدية، آمين.

ليكن اسم الرب مباركاً ١

النص الكتابي: أيوب ١: ١٣ - ٢٢

ذهبت في الأسبوع الماضي لزيارة أحد معارفي وهو يشكو من سرطان الرئة. وجدته جالساً على كرسي مريح في بيته وهو يتأمل في منظر مبهج خارج النافذة. وكانت الشمس قد قاربت من الغروب مما أضفى على الغرفة جواً يشعّ بنوع من الكآبة. وبعد أن سلمت عليه وصافحته جلست بالقرب منه وأصغيت إلى كلماته المؤثرة. لقد تفشى السرطان في رئتيه وليس بالإمكان إجراء عملية لاستئصال الورم. انحصر رجاؤه الوحيد في تجربة جديدة نصحه الأطباء بأن يلجأ إليها ألا وهي قبول نوع جديد من التطبيب الكيماوي الذي قد يوقف نمو الورم. وربما قد يختفي الورم في رئتيه. وقد قبل رأي الأطباء وكان سيذهب إلى المستشفى ليتلقّى هذا النوع الجديد لمعالجة سرطان الرئة.

وما أن انتهى من سرد هذه الأمور العلاجية حتى بادرت بالكلام عن صحته الروحية. وكم سررت وشكرت الله لأنه كان قوي الإيمان بربه ومخلصه يسوع المسيح. لم يرهب الموت فيما إذا كان هذا نصيبه لأنه كان متيقناً ببناء على تعاليم كلمة الله ما أن يرحل من هذه الديار الفانية حتى يأتي إلى حضرة المسيح وينعم بسلام لم يعرفه في دنيانا هذه. ونظراً لكون هذا المريض إنساناً اعتيادياً، أي أنه محب للحياة وراغب في استمراريتها عائشاً مع زوجته وبنيه وبناته وأحفاده، بادرني سائلاً: لماذا يسمح الله لهكذا أمراض فتاكة بأن تدمر صفو حياتنا، نحن اللذين آمنّا به واتكلنا عليه لخلاص نفوسنا؟ ولماذا نلاحظ أن العديدين من الأشرار ينعمون بصحة جيدة وكأن كل شيء في حياتهم يسير على أحسن ما يرام؟ كان جوابي: لا نستطيع نحن بني البشر أن نسبر غور مسيرة حياتنا أو حياة الآخرين. هناك ألغاز عديدة في هذه الدنيا تبقى أسراراً لا نقدر أن نحلّها. لكنه يجدر بنا كمؤمنين بالله التقدير أن نتذكر بأن الحياة الدنيا ليست الكل في الكل. علينا أن نأخذ عالم ما فوق الطبيعة بعين الاعتبار وننتظر من الله أن ينعم علينا بالنصر على كل ما يعكر صفو حياتنا عندما تنتقل من هذه الحياة إلى الآخرة. إيماننا بالله لا ينحصر إذن في الحياة الدنيا بل يشمل أيضاً الحياة بعد الموت، الحياة في نعيم الله.

ونظراً لكوننا عائشين في عصر طغت عليه آراء وفلسفات الحادية دنيوية فإن حضارتنا المعاصرة أصبحت شبه أسيرة لنظرة حياتية لا تعترف بأمور الروح ولا بما نتعلمه من كتاب الله المقدس بخصوص المصير الإنسان ي. طابع الحضارة العالمية اليوم المادية وهي تنكر كل ما لا تسمه الحواس الخمسة. ولكننا وقد وصلنا إلى السنين الأخيرة من القرن العشرين نلاحظ إفلاس هذه الحضارة والعديدون من الذين كانوا قد وقعوا فريسة لها

قد رفضوها. فعلينا أن نعلن بكل صراحة وعناد أنه ليس هناك رجاء للبشرية إلا بالاعتراف
بوحى الله وبأهمية تعاليم كلمته المحرّرة.

ليكن اسم الرب مباركاً ٢

كما ذكرنا في عظتنا السابقة، لقد وهبنا الله سفرًا واحدًا أي كتابًا من كتب الوحي في أيام ما قبل الميلاد يعرف بسفر أيوب الصديق. وقد عالج كاتب هذا السفر الملهم، عالج فيه موضوع العذابات والمشكلات التي تنقض على خائفي الله والمتعبدين له. ولاحظنا من القسم الأول من الفصل الأول لسفر أيوب أن الله سمح للشيطان بأن يسلب أيوب من كل مقتنياته ومن أولاده ليمتحن إيمان عبده وليظهر بأن هذه النوائب لن تبعد أيوب عن السر على طريق الله القويم. وها إننا نقتبس الآن من سفر أيوب:

١٣ وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنَاتُهُ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمُ الْأَكْبَرِ ١٤ أَنَّ رَسُولًا جَاءَ إِلَى أَيُّوبَ وَقَالَ: [الْبَقَرُ كَانَتْ تَحْرُثُ وَالْأَتْنُ تَرَعَى بِجَانِبَيْهَا ١٥ فَسَقَطَ عَلَيْهَا السَّبَّيُّونَ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوا الْعِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لِأَخْبِرَكَ]. ١٦ وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: [نَارُ اللَّهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْ الْعَنَمَ وَالْعِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لِأَخْبِرَكَ]. ١٧ وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: [الْكِلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ فَهَجَمُوا عَلَى الْجَمَالِ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوا الْعِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لِأَخْبِرَكَ]. ١٨ وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: [بُنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمُ الْأَكْبَرِ ١٩ وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عِبْرِ الْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا الْبَيْتِ الْأَرْبَعِ فَسَقَطَ عَلَى الْعِلْمَانَ فَمَاتُوا وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لِأَخْبِرَكَ].

قبل كل شيء علينا أن نذكر بأن أيوب لم يكن ملماً بما كان يحدث في حضرة الله. كان أيوب عائشاً في دنيانا هذه بدون أن يعرف مكائد الشيطان وبدون أي علم بأن الله كان سيسمح لعدوه اللدود بأن يجلب على حياته نائبة تلو الأخرى. يطلعنا الوحي على الدور الذي لعبه الشيطان في حياة أيوب لكن هذا كان سرّاً بالنسبة له. هذا أمر هام جداً علينا أن نبقيه في ذاكرتنا. كل ما يجري لنا في هذا العالم إنما هو طرف واحد من وجود يبقى تحت إشراف وهيمنة الله والطرف الآخر من هذا الوجود يبقى في العالم غير المنظور أي في عالم الغيب.

جاء يوم وظهر وكأنه يوم اعتيادي كبقية الأيام، كان أبناء أيوب وبناته يحضرون وليمة أقامها لهم أخوهم الأكبر. كانت بقر أيوب تحرث والأتن ترعى بجانبها، كانت غنم أيوب ترعى تحت إشراف رعاتها، وجمال أيوب كانت مسافرة ضمن قوافل في رحلات تجارية. كل شيء ظهر طبيعياً واعتيادياً ولكنه كان أشبه بالهدوء الذي يسبق هبوب عاصفة هائلة. ويا له من يوم أسود مكتظ بالنكبات التي لم يعرف لها مثيل في تاريخ البشرية، توالى الأنباء السيئة على أيوب من كل حذب وصوب وكأنها سهام لاهبة مصوبة بكل دراية إلى قلبه.

سقط السبئيون على البقر والأتن فأخذوها وقتلوا الغلمان الذين كانوا يحرسونها. نار سقطت من السماء فأحرقت الغنم والرعاة. تأمر الكلدانيون على قوافل أيوب فأخذوا الجمال وقتلوا الغلمان الذين كانوا يقودونها.

لم ينجحوا من هذه الضربات الهائلة إلا ثلاثة أشخاص جاء كل واحد منهم ليخبر سيده أيوب بالكارثة. وأخيراً جاءته أخبار الفاجعة العظمى:

[بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمراً فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الْأَكْبَرِ ٩ وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ الْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا الْبَيْتِ الْأَرْبَعِ فَسَقَطَ عَلَى الْغُلَّامِ فَمَاتُوا وَنَجَوْتُ أَنَا وَخَدِي لِأَخِيرِكَ].

ولا بد لنا نحن الذين نسمع هذه الكلمات المستقاة من الكتاب المقدس، لا بد لنا من أن نقول: كيف سمح الله القدير لهذه النوائب بأن تنقض على عبده أيوب؟ ألم يكن باستطاعة الله أن ينجي عبده من كل هذه الأمور؟ المسألة ليست بخصوص مقدرة الله على منع من الحدوث. طبعاً أن الله على كل شيء قدير. المشكلة هي أننا نعيش في عالم ساقط في حماة الشر والخطيئة، والشيطان يلعب دوراً مخزباً ضمن هذا العالم ليغوي الناس ويبعدهم عن الله خالقهم. ويصوب الشيطان سهامه الحارقة باتجاه خائفي الله لأنه يخال بأنهم سيتخلون عن إيمانهم منكريين الله وهابطين إلى مستنقع اليأس والقنوط. كان الشيطان قد ادعى لدى ظهوره أمام الله بأن أيوب كان سائراً على طريق الله لأنه كان قد استلم الخيرات والبركات العديدة من ربه. وادعى الشيطان أنه فيما إذا خسر أيوب مقتنياته وأولاده كان سينكر الله ويموت بدون أي رجاء في هذه الحياة أو في الحياة الآتية.

نعود الآن إلى النص الكتابي الذي يصف لنا موقف أيوب من المصائب التي ألمت به:

٢٠ فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَرَّقَ جُبَّتَهُ وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ وَخَرَّ عَلَى الْأَرْضِ وَسَجَدَ ٢١ وَقَالَ: [عُرْيَاناً خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَاناً أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ فَلْيَكُنْ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكاً]. ٢٢ فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئِ أَيُّوبُ وَلَمْ يَنْسِبْ لِلَّهِ جَهَالَةً.

ليس المؤمن من جبلة فوق بشرية. إنه يفرح ويحزن، يضحك ويبكي، يقيم الولائم ويحضر المآتم. المؤمن إنسان اعتيادي، طبيعي. ما يفرقه عن غير المؤمنين هو أنه يأخذ بعين الاعتبار سلطنة وهيمنة الله على جميع مقدرات الحياة وكذلك جدية الوجود غير المنظور أي عالم ما فوق الطبيعة. وبعبارة أخرى مع تعلق المؤمن بالحياة الدنيا ألا أنه يؤمن من قرارة قلبه بأنها ليست كل ما في الوجود. النظرة الحياتية التي يدين بها المؤمن هي نظرة مستقبلية وكونها مستقبلية لا يعني أنها تهرب من الواقع الأليم. ومع كون تفاصيل الحياة بعد الموت مع أنها كانت ضئيلة في أيام ما قبل الميلاد، أي أيام كتابة سفر أيوب، إلا

أن الله كان قد كشف كفاية عن الحياة بعد الموت حتى أن المؤمنين به لم ينهاروا انهياراً تاماً لدى حدوث الكوارث الحياتية. وهكذا نرى أنه بعكس قول الشيطان بأن أيوب كان سيجدّ فيما إذا خسر أمواله وأولاده، نرى أنه استسلم كلياً لله ولمشيئته التي تفوق مقدرتنا على تفهم تفاصيلها وسجد وقال: عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلى هناك " ويعني أن جسده سيعود إلى الأرض نظراً من أنه منحدر من آدم الذي جبله الله من تراب الأرض " الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الله مباركا.

ومن الجدير بالذكر أن الله تابع في إعطائنا وحيه المقدس منذ أيام أيوب وأن هذا الوحي اكتمل في مجيء المسيح إلى عالمنا منذ نحو ألفي سنة. علّمنا المسيح بأن ما وراء هذا الوجود يكمن وجود حقيقي غير منظور وأن مصير الإنسان لا ينتهي بمجرد موته بل هناك حياة أبدية سعيدة للذين تصالحوا مع الله ونالوا غفران خطاياهم. أما الذين يتبعون مسيرتهم في طرق الشر والخطية فإن نهايتهم ستكون رهيبة.

وبنى المسيح أساس المصالحة على عمله الكفاري الذي أتمه عندما مات عنا على الصليب. لكنه لم يبق في قبضة الموت بل قام في اليوم الثالث من بين الأموات وأعطانا صورة حياة لمصير جميع الذين وضعوا ثقتهم القلبية فيه. وهكذا إن كان أيوب قد صمد في وجه أعاصير الحياة التي هبت عليه وسلبته أمواله وأولاده، فنحن أيضاً أهل هذه الأيام سنصمد في وجه كوارث هذه الحياة بمعونة الله وننضم إلى أيوب قائلين: الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركا. آمين.

ليس المؤمن من جبلة فوق بشرية. انه يفرح ويحزن، يضحك ويبكي، يقيم الولائم ويحضر المآتم. المؤمن إنسان اعتيادي، طبيعي. ما يفرقه عن غير المؤمنين هو أنه يأخذ بعين الاعتبار سلطنة وهيمنة الله على جميع مقدرات الحياة وكذلك جدية الوجود غير المنظور أي عالم ما فوق الطبيعة. وبعبارة أخرى مع تعلق المؤمن بالحياة الدنيا إلا أنه يؤمن من قرارة قلبه بأنها ليست كل ما في الوجود. النظرة الحياتية التي يدين بها المؤمن هي نظرة مستقبلية وكونها مستقبلية لا يعني أنها تهرب من الواقع الأليم. ومع كون تفاصيل الحياة بعد الموت مع أنها كانت ضئيلة في أيام ما قبل الميلاد، أي أيام كتابة سفر أيوب، إلا أن الله كان قد كشف كفاية عن الحياة بعد الموت حتى أن المؤمنين به لم ينهاروا انهياراً تاماً لدى حدوث الكوارث الحياتية. وهكذا نرى أنه بعكس قول الشيطان بأن أيوب كان سيجدّ فيما إذا خسر أمواله وأولاده، نرى أنه استسلم كلياً لله ولمشيئته التي تفوق مقدرتنا على تفهم تفاصيلها وسجد وقال: " عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلى هناك " ويعني أن جسده سيعود إلى الأرض نظراً لأنه منحدر من آدم الذي جبله الله من تراب الأرض " الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الله مباركا.

ومن الجدير بالذكر أن الله تابع في إعطائنا وحيه المقدس منذ أيام أيوب وأن هذا الوحي اكتمل في مجيء المسيح إلى عالمنا منذ نحو ألفي سنة. وأن مصير الإنسان لا ينتهي بمجرد موته بل هناك حياة أبدية سعيدة للذين تصالحوا مع الله ونالوا غفران خطاياهم. أما الذين يتبعون مسيرتهم في طرق الشر والخطية فإن نهايتهم ستكون رهيبة. وبنى المسيح أساس المصالحة على عمله الكفاري الذي أتمه عندما مات عنا على الصليب. لكنه لم يبق في قبضة الموت بل قام في اليوم الثالث من بين الأموات وأعطانا صورة حياة لمصير جميع الذين وضعوا ثقتهم القلبية فيه. وهكذا إن كان أيوب قد صمد في وجه أعاصير الحياة التي هبت عليه وسلبته أمواله وأولاده، فنحن أيضاً أهل هذه الأيام سنصمد في وجه كوارث هذه الحياة بمعونة الله وننضم إلى أيوب قائلين: الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركا. آمين.

الخير والشر ١

النص الكتابي: أيوب ٢

كانت الرسالة مؤثرة للغاية. فلقد تشردت الأسرة المكونة من أب وأم وثلاثة أولاد وحطت بهم الرحال في بلد مجاور لا يعرفون لغة أهله. خسروا كل شيء، بيتهم ومحتوياته، العمل الذي كان يقوم به رب البيت، الأهل والأصحاب الذين كانوا بمقربتهم. وقد وصلوا إلى مقر إقامتهم بثيابهم التي كانت على ظهورهم. كيف نفهم هكذا حادثة والتي تكررت في السنين الأخيرة آلاف بملايين المرات وفي شتى أنحاء العالم. فان لم تكن الحرب، فربما كانت عاصفة هوجاء أو زلزال مدمر. كيف نستطيع أن نعي هكذا أمور كارثية ونحن نؤمن في نفس الوقت بأن الله هو سيد الكون ورب العالمين؟ فبالنسبة إلى العديدين من معاصرنا والذين لا يؤمنون بالله بل يعتقدون بتعدد الآلهة أو ربما هم ملحدون لا يؤمنون بعالم ما فوق الطبيعة، يقولون أن البشر يعيشون تحت رحمة أقدار عاتية. نصيب البعض منهم شرّ مهلك بينما نصيب آخرين هو خير ورفاهية.

المشكلة التي يجابهها كل مؤمن بالله القدير هي كيفية تسوية وجود كل من عامل الشر وعامل الخير ضمن حياة البشرية. وتزداد الأزمة حدة بالنسبة إلينا نحن أهل هذه الأيام لأن طرق المواصلات والاتصالات تجعلنا ملمين تَوّاً بالكوارث التي تحدث بالناس في مختلف أنحاء العالم لقد كان أجدادنا في أيام ما قبل الراديو والتلفزة، لقد كانوا يسمعون عن نواب وكوارث الحياة بعد عدة أشهر من حدوثها. أما الآن فإننا نسمع عن سقوط طائرة ركاب أو تفشي الجوع في أمكنة معينة من الأرض وقضائه على الآلاف من الأولاد المتضورين جوعاً. ولا نسمع فقط عن هذه الأمور التراجيدية بل نشاهدها على شاشة التلفزيون فتصدم عقولنا بصورة شديدة.

كيف نفسر وجود الشر في عالم جاء إلى حيز الوجود نظراً لما قام به الله في بدء التاريخ أي عمل الخليفة؟ فسرت بعض الديانات الوثنية وجود كل من الخير والشر بالجوء إلى فلسفة ازدواجية نسبت الخير إلى اله الخير والشر إلى اله الشر. أما في أيامنا فقد مال البعض إلى الظن بأن الله لا يستطيع أن يسيطر على كل ما يجري في دنيانا وهكذا تحدث أمور مزعجة للغاية للناس يقف الله تجاهها مكتوف اليدين. وادعى تلامذة الفلسفة المادية المنكرة لوجود الله بأن الشر يعود إلى التناقضات الاقتصادية المسيطرة على المجتمع البشري. لا يقبل المؤمن هكذا آراء منكرة لله أو منادية بمحدوديته بل يبني إيمانه على كتب الوحي. وهو لا ينسب الشر إلى الله. الله منبع كل خير وبركة. أما سبب دخول الشر إلى العالم فهو الشيطان الذي ثار على الله في البدء وأغوى كل من آدم وحواء على التعدي على وصية الله فسقط أبوانا في حماة الشر والخطية. ليس الشر إذاً من صلب الوجود البشري بل

كما قال العالم الديني الإفريقي الشهير القديس أوغسطينوس: ينتج الشر عن فساد الخير.
وبكلمة أخرى: الشر عامل طفيلي مزعج لما كان وجودا له لو لم يسبقه وجود الخير.

الخبر والشر ٢

وإذ لازلنا نذيع هذه العظات الكتابية المبنية على سفر أيوب، نعود لنتطرق إلى موضوعنا هذا متكلمين اتكالنا تاماً على التعاليم الواردة في هذا القسم من الوحي الإلهي الذي أعطانا إياه الله في أيام ما قبل الميلاد وكذلك أبناءه وبناته. لم يبتعد أيوب عن مسيرته على طريق الله في أيام ما قبل الميلاد وكذلك أبناءه وبناته. لم يبتعد أيوب عن مسيرته على طريق الله بل ثابر على الإيمان وشهد قائلاً: [عُرْيَانَا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَانَا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ فَلْيُكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكاً].

نتلو الآن على مسامعكم قسماً من الفصل الثاني من سفر أيوب:

١ وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ لِيَمْتَلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسْطِهِمْ لِيَمْتَلِ أَمَامَ الرَّبِّ. ٢ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: [مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟] فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: [مِنْ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ وَمِنْ التَّمَشِّي فِيهَا]. ٣ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: [هَلْ جَعَلْتُ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُوبَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْأَرْضِ! رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الْآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لِأَبْتَلَعَهُ بِلَا سَبَبٍ]. ٤ فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: [جَلْدُ بَجْدٍ وَكُلُّ مَا لِلْإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لِأَجْلِ نَفْسِهِ. وَلَكِنْ ابْسِطِ الْآنَ يَدَكَ وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ]. ٦ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: [هَا هُوَ فِي يَدِكَ وَلَكِنْ احْفَظْ نَفْسَهُ].

ادعى الشيطان بأن أيوب كان يسير على طريق الله نظراً للخيرات والبركات العديدة التي كان قد استلمها من يد الله. وبعبارة أخرى كان إيمان أيوب إيماناً نفعياً، حسب رأي عدوه الشيطان. ومع أن الله كان قد سمح بأن يسلب أيوب كل أمواله وأن يحرمه من أولاده إلا أن الشرير ثابر على كذبه وادّعى بأن أيوب كان سيجدّف على الله فيما إذا خسر صحته وعافيته. فسمح الله له بأن يجلب على عبده أيوب مرضاً خطيراً يشبه مرض البرص.

٧ فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَضَرَبَ أَيُوبَ بِفُوحٍ رَدِيٍّ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ. ٨ فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ شَفَقَةً لِيَحْتَكَّ بِهَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي وَسْطِ الرَّمَادِ. ٩ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: [أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ! جَدِّفْ عَلَى اللَّهِ وَمُتْ!]. ١٠ فَقَالَ لَهَا: [تَتَكَلَّمِينَ كَلَاماً كَأَحْدَى الْجَاهِلَاتِ! الْخَيْرُ نَقَبْلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالشَّرُّ لَا نَقَبْلُ؟] فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئِ أَيُوبُ بِشَفَقَتِهِ.

لاحظ أيها المستمع الكريم، لاحظ كيف أن الله سمح للشيطان بأن يضرب أيوب الصديق بهذا الداء الوبيل. ويا له من مرض خطير جعل هذا الرجل الصديق يكره حياته ويرغب في دنو ساعة رحيله من هذه الدنيا. لم تساعد امرأة أيوب زوجها المعذب بل ناشدته بأن يبارك الله ويموت. بالنسبة إليها لم يعد هناك أي مبرر لاستمرارية حياة زوجها. وكلماتها هذه كانت أكثر بكثير من رغبته في رؤية زوجها يموت ليتخلص من مرضه

العضال. فعندما قالت: أنت متمسك بعد بكمالك. بارك الله ومت، دلت كلماتها على إنكارها لسلطان الله على عالمه وعدم هيمنته على مسيرة التاريخ البشري بتفاصيله المتشعبة. وكم كان أيوب محقاً عندما عاتبها قائلاً: تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات. الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل. أظهرت نصيحة زوجة أيوب جهلها الكبير للإيمان بالله المستنير بتعاليم الوحي ولمقدرته على جعل جميع أمور الحياة - حتى تلك التي تحمل الشر في طياتها - تعم معاً لخير خائفي الله. ألم تع بأن الله على كل شيء قدير؟ وهل نسيت بأنه علينا بأن نسلّم أمورنا ليد الله عندما تلّم بنا النوائب والكوارث. هذا لا يعني أن أيوب علمنا بأن نندب حالتنا ولا نسعى للتغلب على الشر. لا يجوز أن نظن ولا لحظة واحدة بأن كلمات أيوب هذه عنت بأن الله هو منبع الشرّ كلا وألف كلا. ما عناه أيوب هو أن زمام الأمور لم يفلت من يد الله، وأنه مهما حدث وصار لا ينسى الله عبيده ومحبيه بل يعينهم حسب توقيته الخاص.

وعندما تنهمر كوارث الحياة على المؤمن يهرع أصحابه إلى تعزيته كما حدث لأيوب حيث نقرأ ما يلي في القسم الأخير من الفصل الثاني من سفره:

١١ فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ أَيُّوبَ الثَّلَاثَةَ بِكُلِّ الشَّرِّ الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ جَاءُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَكَانِهِ: أَلَيْفَازُ النَّيْمَانِيُّ وَبِلَدُّ الشُّوْجِيِّ وَصُوفَرُ النَّعْمَاتِيِّ وَتَوَاعَدُوا أَنْ يَأْتُوا لِيَرْثُوا لَهُ وَيُعْزُّوهُ. ١٢ وَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوا وَمَرَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ جُبَّتَهُ وَذَرُّوا تَرَاباً فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ نَحْوَ السَّمَاءِ ١٣ وَقَعَدُوا مَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبَعَ لَيَالٍ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ كَاتِبَتَهُ كَانَتْ عَظِيمَةً جِدًّا.

هال أصحاب أيوب ما شاهدوه لدى اقترابهم إلى مكان جلوسه بين الرماد خارج داره. أهذا هو صاحبهم الشهم؟ ليس هذا الهيكل العظمي المكسو بجلد مليء بالقروح، ليس هذا بأيوب الصديق، وما أن تأكدوا من كونه صديقهم الحميم حتى علا صراخهم وهم يبيكون ويولولون لما ألمّ بهذا الإنسان الطيب. وأصيبوا جميعاً بصدمة عنيفة للغاية حتى أنهم لم يتفوهوا بكلمة واحدة، فجلسوا بجانبه ولانوا بالصمت الرهيب لمدة سبعة أيام وسبع ليالٍ.

وعلينا نحن الذين نعيش بعد مئات السنين من أيام أيوب ورفاقه، علينا أن نشعر معه ومعهم وهم يعانون تلك الكارثة العظمى. نقطة انطلاق كل منهم كانت الإيمان بالله. لم يتزعزع إيمانهم بالله ومع ذلك فإنهم - كما سنتعلم بقية فصول هذا الكتاب - لم يفسروا الكارثة بطريقة متلائمة مع إيمانهم. أظهرت اجتهاداتهم الخاطئة بأنهم ابتدأوا بالسير على الطريق المستقيم ثم حادوا عنه تاركين لأفكارهم العنان في محاولة يائسة لاختراق سر الآلام.

أما بالنسبة إلينا نحن الذين منّ الله بأن نحيا في أيام العهد الجديد أي أيام ما بعد الميلاد، أيام اكتمال الوحي الإلهي، فإننا ننظر إلى جميع كوارث ونوائب الحياة من وجهة نظر مجيء المسيح إلى عالمنا وقيامه لصالح البشرية المعذّبة بعمل خلاصي وفدائي حاسم. ما أعنيه بهذه الكلمات هو أنه لا يجوز لنا أن نحاول سبر غور المعضلات الحياتية وكأننا لا زلنا نحيا في تلك العصور التي سبقت أيام الميلاد.

وهكذا إذا سمح الله بأن نمضى بمرض عضال أو إذا شرّدنا عن ديارنا أو إن خسّرنا كل شيء في هذه الدنيا فإن هذا لا يعني أن الله تخلى عنا أو أنه لم يعد يهتم بنا كمخلوقاته العاقلة. يبقى الله سيد الكون ورب العالمين ويجعل كل الأشياء، كما علمنا الرسول بولس في رسالته إلى أهل الإيمان في رومية بأن تعمل معاً للخير، للذين يحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده. هذه الكلمات المعزيّة تصبح جزءاً من حياتنا ومن تفكيرنا فيما إذا كنا قد اتخذنا القرار المصيري في حياتنا أي أن آمنا بالمسيح يسوع الذي مات على الصليب وقام من بين الأموات لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. آمين.

دنيا الشقاء ١

النص الكتابي: أيوب ٣

قد يمل المستمعون الكرام لدى سماعهم كلماتي التي تصف أيامنا هذه المليئة بالمشكلات التي تصف أيامنا هذه المليئة بالمشكلات التي تقض مضجع البشرية في شتى أنحاء العالم. وكأنني أسمع أحدكم يقول: كفاك الكلام عن الأمور المزعجة التي تدخل الكآبة إلى قلوبنا. لما لا تبحث في مواضيع تجلب السرور والفرح إلى أفئدتنا الكئيبة؟

يكمن جوابي في أنني أعالج مواضيع حياتية معاصرة بصورة موضوعية ولا أرغب في أن أصف أيامنا بشكل لا واقعي. وعلاوة على ذلك، فإنني أرى نفسي محاطة بأخبار مزعجة ومقلقة للغاية تنهمر عليّ وعليك من كل جهة. فلما لا أبحث في موضوع دنيا الشقاء ومن وجهة نظر إيمانية أحاول بكل جهدي لأفهم كيف تتم فواجع الحياة في عالم خلقه الله ولا يزال مهيمناً على جميع مقدراته.

وما يدفعني أيضاً إلى الكلام عن عالم الشقاء هو أن العديد من الفلسفات المعاصرة تحاول طمس الحقيقة عندما تطلي لنا صورة غير حقيقية للحياة البشرية متناسية أن عامل الشرّ كان ولا يزال يعصف بحياة الناس منذ فجر التاريخ. ادّعت هذه النظريات الحياتية في أوائل القرن العشرين بأن البشرية مقبلة على عصر ذهبيّ لامع يعمّ فيه السلام بين الشعوب والأقوام. وعوضاً عن أن نختبر سنين الرخاء والرفاهية، اشتهر قرننا هذا بحربين عالميتين قضتا على الملايين من البشر. وعلاوة على ذلك فإن حروباً صغيرة ومتوسطة انقضت علينا فشردت العديدين من الأبرياء وقذفت بهم إلى قائمة المشردين واللاجئين الهائمين على وجه البسيطة لا مقرّ لهم ولا وطن.

وهكذا أعود للكلام عن موضوع الشقاء الذي ألمّ بدنيانا ولا سيما في السنين الأخيرة من القرن العشرين واضعاً بحثي هذا ضمن إطار الوحي الإلهي لكي لا أضلّ في تأملاتي بل أبقى سائراً على الطريق المستقيم المنار بكلمة الله. أعود إذن إلى البحث في تعاليم سفر أيوب الصديق الذي هو جزء من الكتاب المقدّس بعهد القديم.

كنا قد ذكرنا في عظاتنا السابقة بأن الله سمح للشيطان بأن يهاجم أيوب في صميم حياته وذلك ليمتحن عبده وليظهر بأن إيمان أيوب لم يكن إيماناً نفيعاً بل مؤسساً على ثقته المطلقة بالله وبمحبه له مهما حدث وصار. هاجم الشيطان أيوب أولاً في مقتنياته فسلبه ثروته الكبيرة. ثم أغار الشيطان على عائلة أيوب فأ مات بنيه وبناته يجملتهم. وأخيراً هاجم الشيطان أيوب في جسده مرسلاً عليه مرضاً يشبه مرض البرص المخيف. وعندما حلّت بأيوب هذه الضربات قالت له امرأته: [أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ! جَدِّفْ عَلَى اللَّهِ وَمُتْ!] [أنّك متمسكٌ بعدُ بكَمالك! جدّف على الله ومُتْ!]

١٠ فَقَالَ لَهَا: [تَتَكَلَّمِينَ كَلَامًا كَاخَذَى الْجَاهِلَاتِ! أَلْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالشَّرَّ لَا نَقْبَلُ؟] فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئِ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ.

سمع أصحاب أيوب الثلاثة بكل ما حلَّ به فجاءوا ليرثوا له وليعزّوه: "وَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَبَكُوا وَمَزَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ جُبَّتَهُ وَذَرُّوا تُرَابًا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَعَدُوا مَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ وَلَمْ يُكَلِّمَهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَن كَاتِبَتَهُ كَانَتْ عَظِيمَةً جِدًّا".

عندما يطلعنا الوحي الإلهي على سيرة لأيوب وعلى ما حلَّ به من نوائب فإن القصد منه هو ان نتحلّى بالصبر ونضع ثقتنا الكلية في إلها المحب والشفوق والرحيم. هذا لا يعني بأننا نصبح من جبلة فوق بشرية أو أن الوحي الإلهي يتطلّب منا بأن نسكت كل تساؤلانا أو نخمد شعورنا بالإحباط والفشل تجاه نوائب الحياة. تتعاظم مشكلاتنا كمؤمنين بالله، تتعاظم لأننا نقرّ من جهة بسلطان الله على كل شيء ومن جهة أخرى لا نفهم لماذا سمح الله القدير بأن تنقض علينا فواجع الحياة، نجد أنفسنا في مأزق روحي ونفسي شديد: فنحن نرغب بأن نتشبّث بإيماننا بالقدير ولا نودّ بأن نتخلّى عنه ولكننا لا نرى فائدة نوائب الحياة. وقد تشنّد المعركة الروحية التي نخوض غمارها ونحن نصارع الشرور المنصبة علينا شاعرينا بوطأتها الشديدة وكأننا قد غرقنا في بحر الفشل. وإذ ذاك تفلت من شفاهنا كلمات شديدة الوطأة. وهذا ما حدث لأيوب الصديق.

فبعد وصول رفاقه الثلاثة وصمتهم لمدة سبعة أيام وسبع ليالٍ، لم يستطع أيوب بأن يكبت جماح أفكاره المكتظة بتساؤلات عديدة، فما كان منه إلا أن فتح فاه وسبّ يومه قائلاً:

٣ [أَيَّتُهُ هَلَكَ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ وَاللَّيْلُ الَّذِي قَالَ قَدْ حُبِلَ بِرَجُلٍ! ٤ لَيْكُنْ ذَلِكَ الْيَوْمُ ظُلَامًا. لَا يَعْتَنِي بِهِ اللَّهُ مِنْ فَوْقَ وَلَا يُشْرِقُ عَلَيْهِ نَهَارٌ. ٥ لَيْمِلْكُهُ الظُّلَامُ وَظِلُّ الْمَوْتِ. لِيَحُلَّ عَلَيْهِ سَحَابٌ. لِيُزْعِبْهُ كَاسِفَاتُ النَّهَارِ. ٦ أَمَّا ذَلِكَ اللَّيْلُ فَلْيُمْسِكْهُ الدُّجَى وَلَا يَفْرَحْ بَيْنَ أَيَّامِ السَّنَةِ وَلَا يَدْخُلَنَّ فِي عَدَدِ الشُّهُورِ. ٧ هُوَذَا ذَلِكَ اللَّيْلُ لَيْكُنْ عَاقِرًا! لَا يُسْمَعُ فِيهِ هُتَافٌ. ٨ لِيَلْعَنَهُ لَا عَنُو الْيَوْمِ الْمُسْتَعْدُونَ لِإِيقَاطِ النَّتْنِ. ٩ لِيَنْظِلُمْ نُجُومُ عَشَائِهِ. لِيَنْتَظِرِ الثُّورَ وَلَا يَكُنْ وَلَا يَرِ هُدْبُ الصُّبْحِ ١٠ لِأَنَّهُ لَمْ يُغْلِقْ أَبْوَابَ بَطْنِ أُمِّي وَلَمْ يَسْتُرْ الشَّقَاوَةَ عَنْ عَيْنِي.]

تأمل أيوب في حياته بعد انقضا كل الوليات عليه، بعد أن خسر أمواله وبنيه وبناته وصحته، تأمل في ما وصل إليه من شقاء وتعاسة وأخذ يندب حاله ويتمنى لو لم تحبل به أمه ولو لم يولد. أه، يا ليت لم أوجد، هذا كان لسان حال أيوب. أما كان من المستحسن له لو لم يرى نور النهار؟ هكذا أفكار وهكذا كلمات وفدت على الكثيرين من بني البشر، نعم حتى على الذين واللواتي يؤمنون بالله ويدينون بسلطانه على كل ما في الوجود.

أن يفكر الإنسان المؤمن بهكذا أفكار لأمر طبيعي بمعنى أن كل بشري وحتى المؤمن أيضاً، هو كائن يشعر بمحدوديته وبضعفه اللامتناهي تجاه نوائب الحياة. وتحت وطأتها تنتشعب أفكاره ويبحث عن منفذ ليخرج منه ويتخلص من آلامه المبرحة ومن تعاسته الهائلة، فيتمنى بالمستحيل: أي عدم وجود الموجود، فمجئنا إلى هذه الدنيا ليس بأبدينا، ومع أن الديننا هم سبب ولادتنا إلا أن وراء ذلك وفوق ذلك تكمن الإرادة الإلهية التي شاءت بأن نأتي إلى الوجود ونحيا من زمن معين وفي مكان معين. لا ينفعنا التمادي في طلب المستحيل، ومع ذلك نجد أن أيوب الصديق تابع صراخه قائلاً:

١١ لِمَ لَمْ أَمُتْ مِنَ الرَّجَمِ؟ عِنْدَمَا خَرَجْتُ مِنَ الْبَطْنِ لِمَ لَمْ أَسْلِمِ الرُّوحَ؟ ١٢ لِمَاذَا أَعَانَتْنِي الرُّكْبُ وَلِمَ التَّدِي حَتَّى أَرْضَعَ؟ ١٣ الْآنَ قَدْ كُنْتُ الْآنَ مُضْطَّجِعاً سَاكِناً. حِينَئِذٍ كُنْتُ نِمْتُ مُسْتَرِيحاً ١٤ مَعَ مُلُوكٍ وَمُشِيرِي الْأَرْضِ الَّذِينَ بَنُوا أَهْرَاماً لَأَنْفُسِهِمْ ١٥ أَوْ مَعَ رُؤَسَاءَ لَهُمْ ذَهَبُ الْمَالِيِّينَ بَيُوتُهُمْ فِضَّةٌ ١٦ أَوْ كَسِفُطٍ مَطْمُورٍ فَلَمْ أَكُنْ كَأَحْنَةٍ لَمْ يَرَوْا نُوراً. ١٧ هُنَاكَ يَكْفُ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الشَّعْبِ وَهُنَاكَ يَسْتَرِيحُ الْمُتَعَبُونَ. ١٨ الْأَسْرَى يَطْمَنُّونَ جَمِيعاً. لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ الْمُسَخَّرِ. ١٩ الصَّغِيرُ كَمَا الْكَبِيرُ هُنَاكَ وَالْعَبْدُ حُرٌّ مِنْ سَيِّدِهِ.

عندما يكفهر جو الحياة فلا نرى الإنسان منفذاً للنجاة، تخطر على باله أفكار كالتى وردت على أيوب والتي تفوه بها والتي حفظت لنا ضمن سفر الوحي. وهذا يعني أن الله القدير لا ينظر إلينا شذراً ولا يحتقر إنسان يتنا بل يسمح لنا بأن نتفوه بهكذا أفكار لا لنغرق في بحر اليأس والقنوط بل لنصل في النهاية وبمعونته إلى طلب النجاة منه والركون إلى مشيئته المقدسة. سمح الله لكلمات أيوب لتصبح جزءاً من الوحي أي من الكتاب المقدس بعهده القديم لمنفعتنا ولتعزيتنا عندما تعصف بنا أعاصير الحياة الدنيا. لكن الفصل الثالث من سفر أيوب ليس كل ما في هذا الكتاب بل علينا لأن ننتظر إلى نهايته لنرى عاقبة هذا المناضل الشهم الذي لم ينتصر عليه الشيطان بل صار هو من الظافرين.

وكما ذكرت منذ لحظات هكذا أفكار وما يشابهها ترد علينا عندما تنهمر علينا النوائب ولكنها في النهاية أفكار عقيمة. شاء الله فأوجدنا ووضعنا على هذه الأرض لنمجد اسمه ولنعبده عبادة خالية من النفاق والنفعية.

الرغبة في عدم الوجود هي رغبة لا منطقية ولا واقعية.

استمر أيوب في المقطع الأخير من الفصل الثالث من سفره متسائلاً عن جدوى الحياة في دنيا مليئة بالآلام والمشقات:

لِمَ يُعْطَى لِشَقِيٍّ نُورٌ وَحَيَاةٌ لِمُرِّي النَّفْسِ؟ ٢١ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ وَلَيْسَ هُوَ وَيَحْفَرُونَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنَ الْكُنُوزِ ٢٢ الْمَسْرُورِينَ إِلَى أَنْ يَبْتَهِجُوا الْفَرَحِينَ عِنْدَمَا يَجِدُونَ قَبْرًا.

٢٣ لِرَجُلٍ قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ وَقَدْ سَيَّجَ اللَّهُ حَوْلَهُ. ٢٤ لِأَنَّهُ مِثْلَ خُبْزِي يَأْتِي أَنِّي وَمِثْلَ الْمِيَاهِ تَنْسَكِبُ زَفَرَتِي ٢٥ لِأَنِّي ارْتِعَاباً ارْتَعَبْتُ فَأَتَانِي وَالَّذِي فَزَعْتُ مِنْهُ جَاءَ عَلَيَّ. ٢٦ لَمْ أَطْمَئِنَّ وَلَمْ أَسْكُنْ وَلَمْ أَسْتَرْخَ وَقَدْ جَاءَ الْعُضْبُ].

ذكرنا في عظة سابقة أن أيوب عاش في أيام ما قبل الميلاد وفي القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية. تعذب هذا الرجل المؤمن عذابات مريرة ليس فقط مما حدث له من نوائب بل لأن أصدقاءه الذين جاؤوا لتعزيته انقلبوا عليه وانتقدوه كما سنرى في عظاتنا المقبلة. وعلينا أن نتذكر بأننا نحيا في زمن اكتمال الوحي الإلهي، فقد وفد المسيح عالمنا ومات عنا مكفراً عن خطايانا وفتح لنا باب النعيم. وبكلمة أخرى، لقد منحنا الله كمال وحيه وأظهر لنا أهمية الحياة التي تنتظرنا بعد أن تنتهي مسيرتنا في هذه الدنيا. فعندما نواجه مشكلات الحياة المعاصرة علينا أن نأخذ بعين الاعتبار الدروس التي نتعلمها من سفر أيوب وكذلك من بقية أسفار الكتاب وخاصة من النور الوضّاح الذي يشع من شخصية المسيح يسوع ومن عمله الخلاصي. هذا لا يعني أن ننكر واقعية الآلام التي تصاحب كوارث الحياة الدنيا، بل نقول لأنفسنا ونشهد لمعاصرنا بأن النجاة تنتظرنا إذا ما ثابروا على مسيرتنا الإيمانية. ولقد وضع الرسول بولس موضوع آلام الحياة ضمن الإطار الأوسع أي ضمن هذه الحياة والحياة التي ستظهر على أكملها متى عاد المسيح إلى عالمنا في اليوم الأخير فكتب في الفصل الثامن من رسالته إلى أهل الإيمان في رومية:

١٨ "فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلامَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لَا تُقَاسُ بِالمَجْدِ العَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِيْنَا. ١٩ لِأَنَّ انْتِظَارَ الخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلَانُ أَبْنَاءِ اللَّهِ. ٢٠ إِذْ أُخْضِعَتِ الخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ - لَيْسَ طَوْعاً بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أُخْضِعَهَا - عَلَى الرَّجَاءِ. ٢١ لِأَنَّ الخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضاً سَتُعْتَقُ مِنْ عُبودِيَةِ الفَسَادِ إِلَى حُرِّيَةِ مَجْدِ أولَادِ اللَّهِ. ٢٢ فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الخَلِيقَةِ تَتَنَّمَحَضُ مَعاً إِلَى الآن. ٢٣ وَلَيْسَ هَكَذَا فَقَطْ بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَتَنَّمَحَضُ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَيُّي فِدَاءِ أَجْسَادِنَا. ٢٤ لِأَنَّا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا. وَلَكِنَّ الرَّجَاءَ الْمُنْتَظَرِ لَيْسَ رَجَاءً لَأَنَّ مَا يَنْظُرُهُ أَحَدٌ كَيْفَ يَرْجُوهُ أَيْضاً؟ ٢٥ وَلَكِنْ إِنْ كُنَّا نَرْجُو مَا لَسْنَا نَنْظُرُهُ فَإِنَّا نَتَوَقَّعُهُ بِالصَّبْرِ."

دنيا الشقاء ٢

عندما هاجم الشيطان أيوب في جسده حلّ به مرض يشبه البرص فقالت له امرأته:

[أَنْتِ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ! جَدِّفْ عَلَى اللَّهِ وَمُتْ!] ١٠ فَقَالَ لَهَا: [تَتَكَلَّمِينَ كَلَاماً كَاخَذَى الْجَاهِلَاتِ! الْخَيْرَ نَقَبْلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالشَّرَّ لَا نَقَبْلُ؟] فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئِ أَيُّوبُ بِشَفَقَتَيْهِ.

سمع أصحاب أيوب الثلاثة بكل ما حلّ به فجاءوا ليرثوا له وليعزّوه: "وَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوا وَمَرَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ جُبَّتَهُ وَذَرُّوا ثُرَاباً فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَعَدُوا مَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ وَلَمْ يَكْلِمْهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ كَاتِبَتَهُ كَانَتْ عَظِيمَةً جَدًّا".

لا يطلب منا الوحي الإلهي بأن نسكت تساؤلاتنا أو نخمد شعورنا بالإحباط والفشل تجاه نوائب الحياة. وتتعاظم مشكلتنا كمؤمنين بالله، تتعاظم لأننا نفر من جهة بسلطان الله على كل شيء ومن جهة أخرى لا نفهم لماذا سمح الله القدير بأن تنقض علينا فواجع الحياة، وتشتد المعركة الروحية التي نخوض غمارها ونحن نصارع الشرور المنصبة علينا شاعرينا بوطأتها الشديدة وكأننا قد غرقنا في بحر الفشل . فتقلت من شفاهنا كلمات شديدة الوطأة . وهذا ما حدث لأيوب الصديق .

فبعد وصول رفاقه الثلاثة وصمتهم لمدة سبعة أيام وسبع ليال، لم يستطع أيوب بأن يكبت جماح أفكاره المكتظة بتساؤلات عديدة، فما كان منه إلا أن فتح فاه وسبّ يومه قائلاً :

٣[لَيْتَهُ هَلَكَ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ وَاللَّيْلُ الَّذِي قَالَ قَدْ حُبِلَ بِرَجُلٍ! ٤ لِيَكُنْ ذَلِكَ الْيَوْمُ ظُلَاماً. لَا يَغْتَنِّ بِهِ اللَّهُ مِنْ فَوْقَ وَلَا يُشْرِقُ عَلَيْهِ نَهَارٌ. ٥ لِيَمْلِكُهُ الظُّلَامُ وَظِلُّ الْمَوْتِ. لِيَحِلَّ عَلَيْهِ سَحَابٌ. لِيُزْعِبُهُ كَاسِفَاتُ النَّهَارِ. ٦ أَمَّا ذَلِكَ اللَّيْلُ فَلْيُمْسِكْهُ الدُّجَى وَلَا يَفْرَحْ بَيْنَ أَيَّامِ السَّنَةِ وَلَا يَدْخُلَنَّ فِي عَدَدِ الشُّهُورِ. ٧ هُوَذَا ذَلِكَ اللَّيْلُ لِيَكُنْ عَاقِرًا! لَا يُسْمَعُ فِيهِ هُتَافٌ. ٨ لِيَلْعَنَهُ لَا عُنُو الْيَوْمُ الْمُسْتَعِدُّونَ لِإِقَاطِ النَّيِّينِ. ٩ لِيَتُظْلَمَ نُجُومُ عِشَائِهِ. لِيَنْتَظِرَ النُّورَ وَلَا يَكُنْ وَلَا يَرِ هُذْبُ الصُّبْحِ ١٠ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْلَقْ أَبْوَابَ بَطْنِ أُمِّي وَلَمْ يَسْتُرِ الشَّقَاوَةَ عَنْ عَيْنِي.]

تأمل أيوب في حياته بعد انقضاء كل الويلات عليه، بعد أن خسر أمواله وبنيه وبناته وصحته، تأمل فيما وصل إليه من شقاء وتعاسة وأخذ يندب حاله ويتمنى لو لم تحبل به أمه ولو لم يولد. آه، يا ليت لم أوجد، هذا كان لسان حال أيوب . أما كان من المستحسن له لو لم يرى نور النهار ؟ هكذا أفكار وهكذا كلمات وفدت على الكثيرين من بني البشر، نعم حتى على الذين واللواتي يؤمنون بالله ويدينون بسلطانه على كل ما في الوجود .

أن يفكر الإنسان المؤمن بهكذا أفكار لأمر طبيعيٍّ بمعنى أن كل بشريٍّ وحتى المؤمن أيضاً، هو كائن يشعر بمحدوديته وبضعفه اللامتناهي تجاه نوائب الحياة . وتحت وطأتها تنتشعب أفكاره ويبحث عن منفذ ليخرج منه ويتخلص من آلامه المبرحة ومن تعاسته الهائلة، فيتمنى بالمستحيل : أي عدم وجود الموجود، فمجئنا إلى هذه الدنيا ليس بأيدينا، ومع أن والدنا هم سبب ولادتنا إلا أن وراء ذلك تكمن الإرادة الإلهية التي شاءت بأن نولد ونحيا من زمن معين وفي مكان معين . لا ينفعننا التماذي في طلب المستحيل، ومع ذلك نجد أن أيوب الصديق تابع صراخه قائلاً:

١١ لِمَ لَمْ أَمُتْ مِنَ الرَّجَمِ؟ عِنْدَمَا خَرَجْتُ مِنَ الْبَطْنِ لِمَ لَمْ أَسْلِمِ الرُّوحَ؟ ١٢ لِمَاذَا أَعَانْتَنِي الرُّكْبُ وَلِمَ التَّدْيُّ حَتَّى أَرْضَعَ؟ ١٣ الْآنَ كُنْتُ الْآنَ مُضْطَّجِعاً سَاكِناً. حِينَئِذٍ كُنْتُ نِمْتُ مُسْتَرِيحاً ١٤ مَعَ مَلُوكٍ وَمُشِيرِي الْأَرْضِ الَّذِينَ بَنَوْا أَهْرَاماً لَأَنْفُسِهِمْ ١٥ أَوْ مَعَ رُؤَسَاءَ لَهُمْ ذَهَبُ الْمَالِيِّينَ بَيُوتُهُمْ فِضَّةٌ ١٦ أَوْ كَسِيفٌ مَطْمُورٌ فَلَمْ أَكُنْ كَأَحَنَّةٍ لَمْ يَرَوْا نُوراً. ١٧ هُنَاكَ يَكْفُ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الشَّعْبِ وَهُنَاكَ يَسْتَرِيحُ الْمُتَعَبُونَ. ١٨ الْأَسْرَى يَطْمَئِنُّونَ جَمِيعاً. لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ الْمُسَخَّرِ. ١٩ الصَّغِيرُ كَمَا الْكَبِيرُ هُنَاكَ وَالْعَبْدُ حُرٌّ مِنْ سَيِّدِهِ.

عندما يكفهر جو الحياة فلا يرى الإنسان منفذاً للنجاة، تخطر على باله أفكار كالتى وردت على أيوب والتي تفوه بها والتي حفظت لنا ضمن سفر الوحي . وهذا يعني أن الله القدير لا ينظر إلينا شذراً ولا يحتقر إنسانيتنا بل يسمح لنا بأن نتفوه بهكذا أفكار لا لتغرق في بحر اليأس والقنوط بل لنصل في النهاية وبمعونته إلى طلب النجاة منه والركون إلى مشيئته المقدسة . ليس الفصل الثالث من سفر أيوب كل ما في هذا الكتاب بل علينا أن ننتظر حتى نصل إلى نهايته لنرى عاقبة هذا المناضل الشهم الذي لم ينتصر عليه الشيطان بل صار هو من الظافرين .

استمر أيوب في المقطع الأخير من الفصل الثالث من سفره متسائلاً عن جدوى الحياة في دنيا مليئة بالآلام والمشقات:

[لِمَ يُعْطَى لِشَقِيٍّ نُورٌ وَحَيَاةٌ لِمُرِّي النَّفْسِ؟ ٢١ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ وَلَيْسَ هُوَ وَيَخْفَرُونَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنَ الْكُنُوزِ ٢٢ الْمَسْرُورِينَ إِلَى أَنْ يَبْتَهِجُوا الْفَرَحِينَ عِنْدَمَا يَجِدُونَ قَبْراً. ٢٣ لِرَجُلٍ قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ وَقَدْ سَيَّجَ اللَّهُ حَوْلَهُ. ٢٤ لِأَنَّهُ مِثْلَ خُبْزِي يَأْتِي أَنِّي وَمِثْلَ الْمِيَاهِ تَنْسَكِبُ زَفَرَتِي ٢٥ لِأَنِّي ارْتِعَاباً ارْتَعَبْتُ فَأَتَانِي وَالَّذِي فَرَعْتُ مِنْهُ جَاءَ عَلَيَّ. ٢٦ لَمْ أَطْمَئِنَّ وَلَمْ أَسْكُنْ وَلَمْ أَسْتَرِحْ وَقَدْ جَاءَ الْغَضَبُ].

ذكرنا في عظة سابقة أن أيوب عاش في أيام ما قبل الميلاد وفي القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية . تعذب هذا الرجل المؤمن عذابات مريرة ليس فقط مما حدث له من نوائب بل لأن أصدقاءه الذين جاؤوا لتعزيته انقلبوا عليه وانتقدوه كما سنرى في عظاتنا

المقبلة . وعلينا أن نتذكر بأننا نحيا في زمن اكتمال الوحي الإلهي، فقد وفد المسيح عالمنا ومات عنا مكفراً عن خطايانا وفتح لنا باب النعيم . وبكلمة أخرى، لقد منحنا الله كمال وحيه وأظهر لنا أهمية الحياة التي تنتظرنا بعد أن تنتهي مسيرتنا في هذه الدنيا . فعندما نواجه مشكلات الحياة المعاصرة علينا أن نأخذ بعين الاعتبار الدروس التي نتعلمها من سفر أيوب وكذلك من بقية أسفار الكتاب وخاصة من النور الواصل الذي يشع من شخصية المسيح يسوع ومن عمله الخلاصي، هذا لا يعني أن نكرر واقعية الآلام التي تصاحب كوارث الحياة الدنيا، بل نقول لأنفسنا ونشهد لمعاصرينا بأن النجاة تنتظرنا إذا ما ثابروا على مسيرتنا الإيمانية . ولقد وضع الرسول بولس موضوع آلام الحياة ضمن الإطار الأوسع أي ضمن هذه الحياة والحياة التي ستظهر على أكملها متى عاد المسيح إلى عالمنا في اليوم الأخير فكتب في الفصل الثامن من رسالته إلى أهل الإيمان في رومية :

"^{١٨}فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ أَلَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لَا تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِيْنَا. ^{١٩}لَآنَّ

انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلَانَ أَبْنَاءِ اللَّهِ. ^{٢٠}إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ - لَيْسَ طَوْعاً بَلْ مِنْ

أَجْلِ الَّذِي أُخْضِعَهَا - عَلَى الرَّجَاءِ. ^{٢١}لَآنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضاً سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى

حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلَادِ اللَّهِ. ^{٢٢}فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَتَنَمَّحُضُ مَعاً إِلَى الْآنِ. ^{٢٣}وَلَيْسَ هَكَذَا

فَقَطُ بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَتَنَبَّأُ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّنْبِيَّ فِدَاءً

أَجْسَادِنَا. ^{٢٤}لَآنَّنَا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا. وَلَكِنَّ الرَّجَاءَ الْمَنْظُورَ لَيْسَ رَجَاءً لَآنَّ مَا يَنْظُرُهُ أَحَدٌ كَيْفَ

يَرْجُوهُ أَيْضاً؟ ^{٢٥}وَلَكِنْ إِنْ كُنَّا نَرْجُو مَا لَسْنَا نَنْظُرُهُ فَإِنَّا نَتَوَقَّعُهُ بِالصَّبْرِ." آمين

لماذا يتعذب الناس ١

النص الكتابي: أيوب: ٤

وصلتني هذا الصباح رسالة من أحد مستمعينا الكرام يطلب مني مساعدته للخروج من مأزق حرج وجد نفسه فيه. وكم حزنت وتأسفت في نفس الوقت لعدم إمكانية مساعدته نظراً لعدة عوامل خارجة عن نطاق مقدرتي، ولم تكن هذه الرسالة الأولى من نوعها بل سبقتها المئات من الرسائل المشابهة من أناس طالبين مني يد المساعدة. فبحكم مركزي أي كمذيع تردني رسائل من أماكن عديدة من عالمنا المتصاغر ونظراً لكثرة المشكلات التي تعصف بحياة البشر، لا أستغرب من نوعية بعض الرسائل التي تصف لنا واقعاً حياتياً تراجيدياً. وكبشري أؤكد من قرارة قلبي بأنني أشعر مع كل إنسان قذفت به الحياة إلى دوامة لا مخرج منها. ويا ليت كان بمقدوري أن أساهم في مد يد المعونة إلى أقراني بني البشر المعذبين، المشردين أو الذين تنهك أجسادهم أمراضاً مستعصية، وإذ أتأمل في هكذا حالات بشرية مؤلمة، كيف أستطيع أن أفهم عالمنا المعاصر وكيف أتمكن من الاستمرار في إذاعة هذه البرامج الدينية المبنية على تعاليم الوحي الإلهي؟

جوابي هو أنني كمؤمن بالله القدير آخذ نقطة انطلاق تفكيري من معتقدي. ما أعنيه هو أنني لا أنظر إلى الوجود البشري وكأنه شيء حدث تلقائياً بل إنه يعود في أصله إلى عمل الله في البدء أي عندما أمر الله فجاء الكون إلى حيّز الوجود. عالمنا هذا هو إذن تحت سلطة الله في جميع دوائره وليس هناك ما يحدث أو يتم بدون معرفة الله.

ولكني ما أن أبدأ تفكيري على هذا الأساس القويم أي على أساس معتقدي بالله والصالح والودود حتى أواجه مشكلة أو معضلة الشر ونتائجه في العالم ولا سيما في دنيا البشر. الله صالح وعادل وقدير، فلماذا يتعذب البشر؟ لماذا مات ولا يزال يموت الكثيرون من الأطفال وهم يتضورون جوعاً وعطشاً؟ كيف نفسّر قساوة الإنسان بقرينه الإنسان؟ وكيف نفهم وجود أمراض مستعصية كمرض السرطان أو كالوباء المعاصر المتفشي في عالمنا والمعروف بمرض الأيدز أو السيدا " أي نقص المناعة المكتسب"؟

يمكننا الاسترسال في الكلام عن الأمور العديدة التي تهدّد حياة الإنسان المعاصر وكتابة لائحة كبيرة تضمّ أكثرها. لكن هذا لن ينفعنا. نحن نعلم من اختباراتنا أن حياتنا مهدّدة بصورة مستمرة ولذلك نتوق بأن نفهم لماذا نتعذب ولماذا لا نجد في كثير من الأحيان منفذاً للنجاة؟ لا يمكن الجواب في نظريات فلسفية ملحدة أو مؤلهة للكون بل في تسليم مقاليد حياتنا لإلهنا المحب والشفوق. لا يزال القدير على عرشه ومهما صار وحدث فإننا لن نتخلّى عن إيماننا به

الخطوة الثانية التي علينا أن نعترف بها هي أنه لا توجد دائماً علاقة مباشرة بين مسيرتنا الحياتية والأمر المزعجة التي تعصف بنا. وهذا بالفعل ما نتعلمه من سفر أيوب الصديق الذي ابتدأنا بدراسته منذ مدة قصيرة. فبعد أن خسر هذا الإنسان أمواله وبنيه وبناته وصحته جاء إليه أصحابه الثلاثة لتعزيته ولكنهم ما لبثوا أن انقلبوا عليه مدّعين بأن ما حدث له إنما كان يستحقه نظراً لعمل شرير كان قد ارتكبه هو أو أحد أفراد عائلته. لم يقبل أيوب هكذا تعليل خاطئ لمشكلاته وثابر في جوابه على القول بأنه لم يرتكب خطأ معيناً لتتهمر عليه نواب الحياة. ابتدأ أول أصحابه أليفاز التيماني بالكلام قائلاً:

٢[إِنْ أَمْتَحَنْ أَحَدٌ كَلِمَةً مَعَكَ فَهَلْ تَسْتَأْ؟ وَلَكِنْ مَنْ يَسْتَطِيعُ الْإِمْتِنَاعَ عَنِ الْكَلَامِ! ٣ هَا أَنْتَ قَدْ أُرَشِدْتَ كَثِيرِينَ وَشَدَدْتَ أَيْادِي مُرْتَحِيَةً. ٤ قَدْ أَقَامَ كَلَامُكَ الْعَاثِرَ وَثَبَّتَ الرُّكْبَ الْمُزْتَعِشَةَ. ٥ وَالْآنَ إِذْ جَاءَ عَلَيْكَ ضَجَرْتُ! إِذْ مَسَّكَ ارْتَعْتُ! ٦ أَلَيْسَتْ تَقْوَاكَ هِيَ مُعْتَمَدَكَ وَرَجَاؤُكَ كَمَالُ طُرْفِكَ؟ ٧ أَذْكَرُ مَنْ هَلَكَ وَهُوَ بَرِيءٌ وَأَيْنَ أُبِيدَ الْمُسْتَقِيمُونَ؟ ٨ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ أَنَّ الْحَارِثِينَ إِثْمًا وَالزَّارِعِينَ شَقَاوَةً يَحْصُدُونَهُمَا. ٩ بِنَسَمَةِ اللَّهِ يَبِيدُونَ وَبَرِيحِ أَنْفِهِ يَفْنُونَ. ١٠ أَرْمَجَرَةُ الْأَسَدِ وَصَوْتُ الزَّيْزِيرِ وَأَنْيَابُ الْأَشْبَالِ تَكْسَرُ. ١١ أَلَيْتُ هَالِكٌ لِعَدَمِ الْفَرِيسَةِ وَأَشْبَالُ اللَّبْوَةِ تَبْدَدَتْ.

جاء أليفاز التيماني ليعزي أيوب وكما تعلمنا سابقاً جلس هو وصاحبا الآخرين مع أيوب لمدة سبعة أيام وسبع ليال بدون أن يتفوهوا بكلمة واحدة. وكما ذكرنا في عظتنا السابقة ابتدأ أيوب بالكلام عن قلب مريّر وسبّ يوم ولادته وتمنّى لو لم يولد، فأول ردّ على كلمات لأيوب إنما كان كلام أليفاز. وها هي خلاصة ما جاء في المقطع الأول من الفصل الرابع من سفر أيوب:

يا صاحبنا أيوب، لا تستاء مما سنذكره في ردنا على كلماتك لأنه من المستحيل لنا أن نبقي صامتين. أنت الذي علّمت وأرشدت العديدين من معارف، تذكر ما كنت تتادي به. لا يهلك بريء في دنيانا، بل الذي يزرعه الإنسان فياه يحصد.

لم تكن العلة في كلمات أليفاز في كونها غير منطبقة على الحقيقة بل لأنها بل لأنها لم تأخذ الحقيقة بأسرها بعين الاعتبار. طبعاً كان أيوب الصديق يعلم الناس وينادي بطرق الله المستقيمة. فمن البديهي أن الحارثين إثمًا والزارعين شقاوة يحصدونها. ولكن هذا لا يتم دوماً ولا بصورة آلية. ففي بعض الأحيان يتألم ويتعذب الأبرياء والأشرار لا يعاقبون في دنيانا كما يستحقون. نادى محاضرة أليفاز بنصف الحقيقة، لا بالحقيقة بكاملها.

وتابع أليفاز كلماته اللا معزية والتي سكبها في قالب جعلها تظهر وكأنها انبعثت من مصدر سماوي قائلاً:

١٢ ثُمَّ إِلَيَّ تَسَلَّلْتَ كَلِمَةً فَقَبِلْتُ أُذْنِي مِنْهَا هَمْسًا. ١٣ فِي الْهَوَاجِسِ مِنْ رُؤْيِ اللَّيْلِ عِنْدَ
وُقُوعِ سُبَاتٍ عَلَى النَّاسِ ١٤ أَصَابَنِي رُغْبٌ وَرَعْدَةٌ فَرَجَفَتْ كُلُّ عِظَامِي. ١٥ أَفَمَرَّتْ رُوحٌ
عَلَى وَجْهِي. أَفَشَعَرَ شَعْرُ جَسَدِي. ١٦ وَقَفْتُ وَلَكِنِّي لَمْ أَعْرِفْ مَنْظَرَهَا. شَبَهُ قُدَّامَ عَيْنَيَّ.
سَمِعْتُ صَوْتًا مُنْخَفِضًا: ١٧ الْإِنْسَانُ أَبَرُّ مِنَ اللَّهِ أَمْ الرَّجُلُ أَطْهَرُ مِنْ خَالِقِهِ؟ ١٨ هُوَذَا عَيْبُهُ
لَا يَأْتِمُنُهُمْ وَإِلَى مَلَأِكَتِهِ يَنْسِبُ حَمَاقَةً. ١٩ فَكُمْ بِالْحَرِيِّ سَكَّانُ بُيُوتٍ مِنْ طِينِ الَّذِينَ أَسَاسُهُمْ
فِي التُّرَابِ وَيُسْحَقُونَ مِثْلَ الْعُثِّ؟ ٢٠ بَيْنَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ يُحْطَطَمُونَ. بِدُونِ مُنْتَبِهٍ إِلَيْهِمْ إِلَى
الْأَبَدِ يَبِيدُونَ. ٢١ أَمَا انْتَزَعْتَ حِبَالَ خِيَامِهِمْ؟ يَمُوتُونَ بِلَا حِكْمَةٍ.

وماذا نقول في كلمات ألفاز هذه؟ لقد أصابت كبد الحقيقة. طبعاً لا مقارنة بين الإنسان
المخلوق الضعيف والخطي وبين الله القدوس والقدير، الإنسان أبر من الله أم الرجل
أطهر من خالقه؟ حاشا.. ليسكت الإنسان وليرتعب وهو يتأمل في كمال خالقه وباريه. نقول
أمين إذ نصغي إلى كلمات رفيق أيوب، ولكن، ولكن.... لم تكن في محلها بمعنى أن أيوب
الصديق كان شاعراً كل الشعور بأنه لم يرتكب أية معصية لتنهال عليه نوائب الحياة. أقر
أيوب وشهد في أكثر من مناسبة بأن الله بار وقدوس يتعالى على جميع مخلوقاته من
ملائكة وبشر. لم ينكر أيوب ولا مرة في حياته الحقيقية المتعلقة بربه وباريه. انحصرت
مشكلته في عدم فهمه لسبب كل الكوارث التي انقضت عليه وكأنه كان من أعظم وأكبر
الأشرار والخطاة. فمشكلة أليفاز الذي جاء مع صاحبيه لتعزية أيوب أنه انقلب إلى مشتك
على أيوب لأنه نظر إلى حالة أيوب بمنظور تبسيطي. فالحياة البشرية التي نعيشها في هذه
الدنيا هي معقدة للغاية ولا يمكننا أن نحلل ونفسر تفاصيلها على الطريقة التي لجأ إليها
أصحاب أيوب الثلاثة. في بعض الأحيان ينال المجرم جزاء جرمه ولكن هذا لا يحدث
بصورة دائمة. وفي كثير من الأحيان يتعذب الأبرياء بدون سبب معقول. ليست الحياة الدنيا
حياة بسيطة شفاف بل كثيراً ما تكتنفها ألغاز وأسرار لا نقدر أن نسبر غورها.

نعود إذاً إلى ذكر ما ذكرناه في الماضي بعد أن شرعنا في إذاعة هذه العظات المبنية
على سفر أيوب الصديق بأن الله شاء فأعطانا هذا الكتاب لكي لا نسرع في حكمنا على ما
يحدث لأقراننا بني البشر أو لأنفسنا عندما تنهال علينا نوائب الحياة. نظرتنا الحياتية هي
محدودة إذ أننا لسنا بعلميين بكل شيء. الله وحده عليم وقدير ومهيمن على جميع تفاصيل
دنيا البشر. ولا نكون متهربين من مسؤولياتنا عندما نقول: نحن لا نفهم لماذا تمّ ما تمّ ولماذا
مات والد هذه الأسرة وترك امرأته وأولاده في حالة يرثى لها، نحن لا نفهم لماذا لا يزال
الأسرى بدون حل لمشكلتهم ولماذا لا يزال الجوع يفتك بملايين البشر ولماذا يتقاتل الناس
وقد خلقهم الله ليعيشوا بسلام ووثام.

وكذلك أعطانا الله سفر أيوب لنفهم أنه علاوة على العامل البشري في دنيانا هذه هناك
العامل الشيطاني الذي يعكّر صفو الحياة ويجعل منها كابوساً مخيفاً ومرعباً. لكن عاقبة

أيوب التي سنطلع عليها في المستقبل سترينا أن الغلبة هي لله ولمحببيه والسائرين على طريقه المستقيم.

وبما أن سفر أيوب هو واحد من أقسام العهد القديم أي كتب الوحي التي جاءت في أيام ما قبل الميلاد، يجر بنا نحن الذين نعيش في أيام ما بعد الميلاد أن نسلط نور الحي الكامل على مسيرتنا وعلى مشكلاتنا. ما أعنيه هو أن مجيء المسيح المخلص إلى عالمنا وتتميمه لعمله الخلاصي والفدائي على الصليب يعطينا نور الوحي الكامل الذي يعلمنا أنه بالرغم من جميع الآلام والعذابات التي تعصف بحياتنا فإن النصر حليفنا فيما إذا كنا قد سلّمنا حياتنا للذي انتصر على الشر والموت والشيطان بقيامته الجبارة من بين الأموات.

يا من تتعذب وتتألم وتتخبط في تساؤلاتك عن سبب كل ما حدث لك وصار، هل وجّهت نظرك إلى من جاء إلى عالمنا لينقذنا من كل الشرور التي تهدّدنا؟ هل آمنت بالمسيح يسوع كمخلصك من الخطيئة؟ لا تؤجل إلى المستقبل المجهول أهم قرار في حياتك، أمن بالمخلص اليوم واختبر الغفران والنصر على الشر والشيطان، آمين.

لماذا يتعذب الناس ٢

عندما تكتنف حياتنا مشكلات تجلب علينا الآلام نود بأن نفهم لماذا نتعذب ولماذا لا نجد في كثير من الأحيان منفذاً للنجاة؟ لا يكمن الجواب في نظريات فلسفية ملحدة بل في تسليم مقاليد حياتنا لإلهنا المحب والشفوق. لا يزال القدير على عرشه ومهما صار وحدث فإننا لن نتخلّى عن إيماننا به.

الخطوة الثانية التي علينا أن نخطوها هي الإقرار بأننا نجهل الأسباب القريبة للمشكلات الحياتية التي نواجهها. أن نكون مؤمنين بالله لا يعني أن مسيرتنا الحياتية تصبح لنا في جميع تفاصيلها. هناك أسرار وألغاز نجابهها لأننا بشر ضعفاء ومحدودون ولأن الله لا يشاء بأن يطلعنا في كل دور من أدوار حياتنا على سبب هذا الشيء أو ذاك الذي يحدث لنا.

الخطوة الثالثة التي علينا أن نعترف بها هي أنه لا توجد دائماً علاقة مباشرة بين مسيرتنا الحياتية والأمور المزعجة التي تعصف بنا. وهذا بالفعل ما نتعلمه من سفر أيوب الصديق الذي ابتدأنا بدراسته منذ مدة قصيرة. فبعد أن خسر هذا الإنسان أمواله وبنيه وبناته وصحته جاء إليه أصحابه الثلاثة لتعزيته ولكنهم ما لبثوا أن انقلبوا عليه مدّعين بأن ما حدث له إنما كان يستحقّه نظراً لعمل شرير كان قد ارتكبه هو أو أحد أفراد عائلته. لم يقبل أيوب هكذا تعليل خاطئ لمشكلاته وثابر في جوابه على القول بأنه لم يرتكب خطأ معيناً لتتهمر عليه نوائب الحياة. أجابه أول أصحابه أليهاز التيماني قائلاً:

٢ [إِنْ امْتَحَنَ أَحَدٌ كَلِمَةً مَعَكَ فَهَلْ تَسْتَأْ؟ وَلَكِنْ مَنْ يَسْتَطِيعُ الْإِمْتِنَاعَ عَنِ الْكَلَامِ! ٣ هَا أَنْتَ قَدْ أُرَشِدْتَ كَثِيرِينَ وَشَدَّدْتَ أَيْدِي مُرْتَحِيَةٍ. ٤ قَدْ أَقَامَ كَلَامُكَ الْعَاثِرَ وَثَبَّتَ الرُّكْبَ الْمُرْتَعِشَةَ. ٥ وَالْآنَ إِذْ جَاءَ عَلَيْكَ ضَجَرْتُ! إِذْ مَسَّكَ ارْتَعْتُ! ٦ أَلَيْسَتْ تَفَوَاكِ هِيَ مُعْتَمَدَكَ وَرَجَاؤُكَ كَمَالَ طُرْفِكَ؟ ٧ أَذْكَرُ مَنْ هَلَكَ وَهُوَ بَرِيءٌ وَأَيْنَ أُبَيِّدُ الْمُسْتَقِيمُونَ؟ ٨ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ أَنَّ الْحَارِثِينَ إِنَّمَا وَالزَّرَّارِ عَيْنَ شَقَاوَةٍ يَحْصُدُونَهُمَا. ٩ بِنَسَمَةِ اللَّهِ يَبِيدُونَ وَبَرِيحِ أَنْفِهِ يَفْنَوْنَ. ١٠ رَمْجَةُ الْأَسَدِ وَصَوْتُ الزَّيْبَرِ وَأَنْيَابُ الْأَشْبَالِ تَكْسَرُ. ١١ أَلَيْتُ هَالِكٌ لِعَدَمِ الْفَرِيسَةِ وَأَشْبَالُ اللَّبْوَةِ تَبَدَّدَتْ.

وها هي خلاصة ما جاء في المقطع الأول من الفصل الرابع من سفر أيوب:

يا صاحبنا أيوب، لا تستاء مما سنذكره في ردنا على كلاماتك لأنه من المستحيل لنا أن نبقى صامتين. أنت الذي علّمت وأرشدت العديدين من معارفك، تذكر ما كنت تنادي به. لا يهلك بريء في دنيانا، بل الذي يزرعها الإنسان فإياه يحصد.

لم تكن العلة في كلمات أليفاز في كونها غير منطبقة على الحقيقة بل لأنها لم تأخذ الحقيقة بأسرها بعين الاعتبار. طبعاً كان أيوب الصديق يعلم الناس وينادي بطرق الله المستقيمة. فمن البديهي أن الحارثين إثمًا والزارعين شقاوة يحصدونها. ولكن هذا لا يتم بصورة آلية ففي بعض الأحيان يتألم ويتعذب الأبرياء والأشرار لا يعاقبون كما يستحقون.

وتابع أليفاز كلماته اللامعزية والتي سكبها في قالب جعلها تظهر وكأنها انبعثت من مصدر سماوي قائلاً:

١٢ ثُمَّ إِلَيَّ تَسَلَّلَتْ كَلِمَةٌ فَقَلَبْتُ أُذُنِي مِنْهَا هَمْسًا. ١٣ فِي الْهَوَاجِسِ مِنْ رُؤَى اللَّيْلِ عِنْدَ
وُقُوعِ سُبَاتٍ عَلَى النَّاسِ ١٤ أَصَابَنِي رُعْبٌ وَرَعْدَةٌ فَرَجَفَتْ كُلُّ عِظَامِي. ١٥ فَمَرَّتْ رُوحٌ
عَلَى وَجْهِي. أَفْشَعَرَّ شَعْرُ جَسَدِي. ١٦ وَقَفْتُ وَلَكِنِّي لَمْ أَعْرِفْ مَنْظَرَهَا. شِبْهُ قُدَّامٍ عَيْنِي.
سَمِعْتُ صَوْتًا مُنْخَفِضًا: ١٧ الْإِنْسَانُ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ أَمْ الرَّجُلُ أَطْهَرُ مِنْ خَالِقِهِ؟ ١٨ هُوَذَا عَيْبُهُ
لَا يَأْتِمُنُهُمْ وَإِلَى مَلَائِكَتِهِ يَنْسِبُ حَمَاقَةً. ١٩ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ سَكَّانُ بُيُوتٍ مِنْ طِينِ الَّذِينَ أَسَاسُهُمْ
فِي التُّرَابِ وَيُسْحَقُونَ مِثْلَ الْعُثِّ؟ ٢٠ بَيْنَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ يُحَطِّمُونَ. بِدُونِ مُنْتَبِهٍ إِلَيْهِمْ إِلَى
الْأَبَدِ يَبِيدُونَ. ٢١ أَمَا انْتَزَعْتَ حَبَالُ خِيَامِهِمْ؟ يَمُوتُونَ بِلَا حِكْمَةٍ.

طبعاً لا مقارنة بين الإنسان المخلوق الضعيف والخاطئ وبين الله القدوس القدير، الإنسان أكبر من الله أم الرجل أطهر من خالقه؟ حاشا... ليسكت الإنسان وليرتعب وهو يتأمل في كمال خالقه وباريه. نقول آمين إذ نصغي إلى كلمات رفيق أيوب، ولكن، ولكن... لم تكن في محلها بمعنى أن أيوب الصديق كان شاعراً كل الشعور بأنه لم يرتكب أية معصية فلماذا تنهال عليه نوائب الحياة. أقرّ أيوب في أكثر من مناسبة بأن الله بار وقدس يتعالى على جميع مخلوقاته من ملائكة وبشر. انحصرت مشكلته في عدم فهمه لسبب كل الكوارث التي انقضت عليه وكأنه كان من أعظم وأكبر الأشرار والخطاة.

فمشكلة أليفاز الذي جاء مع صاحبيه لتعزية أيوب أنه انقلب إلى مشتك على أيوب لأنه نظر إلى حالة أيوب بمنظور تبسيطي. فالحياة البشرية التي نعيشها في هذه الدنيا هي معقدة للغاية ولا يمكننا أن نحلل ونفسر تفاصيلها على الطريقة التي لجأ إليها أصحاب أيوب الثلاثة. في كثير من الأحيان يتعذب الأبرياء بدون سبب معقول. ليست الحياة الدنيا حياة بسيطة شفافاً بل تكتنفها ألغاز وأسرار لانقدر أن نسبر غورها.

الله وحده عليم وقدير ومهيمن على جميع تفاصيل دنيا البشر. ولا نكون متهربين من مسؤولياتنا عندما نقول: نحن لا نفهم لماذا تمّ ما تمّ ولماذا مات والد هذه الأسرة وترك امرأته وأولاده في حالة يرثى لها! نحن لا نفهم لماذا لا يزال الأسرى بدون حل لمشكلتهم ولماذا لا يزال الجوع يفتك بملايين البشر ولماذا يتقاتل الناس وقد خلقهم الله ليعيشوا بسلام ووثام!

ولقد أعطانا الله سفر أيوب لنفهم أنه علاوة على العامل البشري في دنيانا هذه هناك العامل الشيطاني الذي يعكر صفو الحياة ويجعل منها كابوساً مخيفاً ومرعباً. لكن عاقبة أيوب التي سنطّلع عليها في المستقبل سترينا أن الغلبة هي لله ولمحبيه والسائرين على طريقه المستقيم.

وبما أن سفر أيوب هو واحد من أقسام العهد القديم أي كتب الوحي التي جاءت في أيام ما قبل الميلاد، يجدر بنا نحن الذين نعيش في أيام ما بعد الميلاد أن نسلّط نور الوحي الكامل على مسيرتنا وعلى مشكلاتنا. ما أعنيه هو أنّ مجيء المسيح المخلص إلى عالمنا وتتميمه لعمله الخلاصي والفدائي على الصليب يعطينا نور الوحي الكامل الذي يعلمنا أنه بالرغم من جميع الآلام والعذابات التي تعصف بحياتنا فإن النصر حليفنا فيما إذا كنا قد سلّمنا مقادير حياتنا للذي انتصر على الشر والموت والشيطان بقيامته الجبارة من بين الأموات.

يا من تتعذب وتتألم وتتخبط في تساؤلاتك عن سبب كل ما حدث لك وصار؟ هل وجّهت نظرك إلى من جاء إلى عالمنا لينقذنا من كل الشرور التي تهددنا هل آمنت بالمسيح يسوع كمخلصك من الخطية؟ لا تؤجّل إلى المستقبل المجهول أهم قرار في حياتك، آمن بالمخلص اليوم واختبر الغفران على الشر والشيطان، آمين.

أهناك عدل على الأرض؟ ١

النص الكتابي: أيوب ٥

يحاول كل بشري بأن يفهم معنى الحياة ولا سيما حيلته الخاصة. وإذا تمعّنًا في دراستنا لحياتنا المعاصرة وتأملنا في المصاعب العديدة التي أحاطت بنا ولا سيما في السنين الأخيرة من القرن العشرين قد نتساءل: أهناك عدل على الأرض؟ نتفوّه بهذه الكلمات لأننا كثيراً ما نلاحظ بأن الأشرار والعتاة لا يعاقبون بينما يتعذب الأبرياء والمساكين وهم لا يدرون سبب شقائهم.

وكما ذكرنا في مناسبات عديدة نقرب من هكذا تساؤلات إما من وجهة نظر لا دينية الحادية منكرة لله ولسيطرته على التاريخ البشري أو من منظور إيماني بالله القدير. يجابه الملحد المعاصر معضلة فكرية ذات أبعاد هائلة لأن نقطة انطلاق تفكيره تبدأ من فلسفة مؤلّهة لأحد أبعاد الوجود. وهي على الغالب فلسفة مادية لا تحتوي في طياتها إلا على أفكار تشاؤمية مهما طلت نفسها بأراء طوباوية / يوتوبية. فعالم الملحد عالم مظلم ينعدم فيه الرجاء ولا يبقى للإنسان المعذب إلا وأن يندب حظه ويستمر في البكاء والعويل.

أما المؤمن المعذب الذي يبدأ تفكيره بما أوحى به الله من تعاليم تخصّ الحياة الدنيا فإنه يقترب من معضلات الحياة مسلماً أمره ليدي الباري الشفوق والمحب. وهو في نفس الوقت يتوق من قرارة قلبه بأن يفهم سبب ما حلّ به. وهنا تكمن إشكالية تفكيره الإيماني إذ يعمل جهده ليصل إلى تفسير مقنع لسبب نوائب الحياة التي انهمرت عليه. ولسان حاله هو: أنا مؤمن بربي وإلهي وأنه على كل شيء قدير. ولكني لا أفهم لماذا صار ما صار وتمّ ما تمّ لي ولغيري من بني البشر المؤمنين؟ ! كيف أوفق بين سلطنة وهيمنة الله على التاريخ بما في ذلك مسيرة حياتي والكوارث التي انهالت عليّ من كل حذب وصوب.

وهنا نحمد الله على إعطائه إيانا كتاباً من كتب الوحي وهو سفر أيوب الصديق حيث تعالج فيه هذه المعضلة التي يجابهها المؤمن المعذب. ونظراً لأن بعض المستمعين الكرام لم يسمعوا العظات السابقة المبنية على سفر أيوب نعيد ذكر بعض الأمور الأساسية التي تساعدنا على فهم الفصل الخامس من هذا الكتاب. عاش أيوب في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية في أيام ما قبل الميلاد. وكان رجلاً ثرياً أنعم عليه الله بسبع صبيان وثلاث بنات. وفي أحد الأيام انصبت عليه المصائب فخسر أولاً ثروته ثم بنيته وبناته وأخيراً خسر صحته الجسدية إذ ألم به داء يشبه مرض البرص. ولم يدر أيوب بأن الشيطان كان واقفاً له بالمرصاد وأنّ الله أذن له بضرب أيوب بكل هذه المصائب.

جاء ثلاثة من أصحاب أيوب لتعزيته ولكنهم انقلبوا عليه مدّعين بأنه كان قد اقترف ذنباً معيناً وإلا لم كان إلهه قد سمح لكل هذه المصائب بأن تنهال عليه. وكنا قد وقفنا في الفصل الرابع على كلمات أليماز التيماني اللامعزية. تابع هذا الصديق المشتكي واعظاً أيوب المعذب وقائلاً:

١] ادْعُ الْآنَ. فَهَلْ لَكَ مِنْ مُجِيبٍ! وَإِلَى أَيِّ الْقَدِيسِينَ تَلْتَفِتُ؟ ٢ لِأَنَّ الْغَيْظَ يَقْتُلُ الْغَبِيَّ وَالْغَيْرَةَ تُمِيتُ الْأَحْمَقَ. ٣ إِنِّي رَأَيْتُ الْغَبِيَّ يَتَأَصَّلُ وَبَغْتَةً لَعْنَتْ مَرْبِضَهُ. ٤ بَنُوهُ بَعِيدُونَ عَنِ الْأَمْنِ وَقَدْ تَحَطَّمُوا فِي الْبَابِ وَلَا مُنْقَذَ. ٥ الَّذِينَ يَأْكُلُ الْجَوْعَانَ حَصِيدَهُمْ وَيَأْخُذُهُ حَتَّى مِنَ الشَّوْكِ وَيَشْتَفُ الظَّمَانَ ثَرَوَتَهُمْ. ٦ إِنَّ الْبَلِيَّةَ لَا تَخْرُجُ مِنَ الثَّرَابِ وَالشَّقَاوَةُ لَا تَنْبُتُ مِنَ الْأَرْضِ ٧ وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ مَوْلُودٌ لِلْمَشَقَّةِ كَمَا أَنَّ الْجَوَارِحَ لَارْتِفَاعِ الْجَنَاحِ.

ليست المشكلة في كلمات صاحب أيوب أنها لم تكن مبنية على الواقع المعاش أو أنها لم تأخذ التجارب الحياتية بعين الاعتبار. تكلم أليماز بجزء من الحقيقة لا الحقيقة بكاملها. من ينكر أن الغيرة تميّت الأحمق؟ هذا صحيح لا جدل فيه. ولكن هذه الكلمات لم تنطبق على أيوب. عاش أيوب حياة متجانسة مع الوصية الإلهية ولم يشعر في قرارة نفسه بأنه ارتكب ذنباً معيناً لتنهمر عليه كل تلك النوائب. لماذا كانت نقطة انطلاق أليماز اعتقاده بأن أيوب كان مجرمًا ولماذا قال لصاحبه المتألم: ادع الآن، فهل لك من مجيب؟ لماذا وصف أيوب وكأنه كان بدون معين أو مجيب؟ وماذا عنى بكلماته هذه: الإنسان مولود للمشقة كما أن الجوارح لارتفاع الجناح؟ هل أراد بأن يقول أن غاية الله في خلقه للإنسان إنما كانت شقاء الإنسان؟ أم هل كان يعني أنه في عالم ساقط في حماة الخطية والشر، يتحتّم على حياة الإنسان بأن تكون شقية ومليئة بالعذابات؟ !

احتاج أيوب إلى تعزية ولكنه لم ينل من صاحبه سوى اللوم !

وتابع أليماز كلامه مجدداً مجدداً عظمة الله القدير ومنتقداً ضمناً صاحبه لأيوب قائلاً:

٩ لَكِنْ كُنْتُ أَطْلُبُ إِلَى اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ أَجْعَلُ أَمْرِي. ٩ الْقَاعِلِ عَظَائِمَ لَا تُفْحَصُ وَعَجَائِبَ لَا تُعَدُّ. ١٠ الْمُنْزَلِ مَطَرًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَالْمُرْسِلِ الْمِيَاءِ عَلَى الْبَرَارِيِّ. ١١ الْجَاعِلِ الْمُتَوَاضِعِينَ فِي الْعُلَى فَيَرْتَفِعُ الْمَخْزُونُونَ إِلَى أَمْنٍ. ١٢ الْمُبْطِلِ أَفْكَارَ الْمُخْتَالِينَ فَلَا تُجْرِي أَيْدِيهِمْ قَصْدًا. ١٣ الْأَخْذِ الْحُكَمَاءَ بِحِيلَتِهِمْ فَتَتَهَوَّرُ مَشُورَةُ الْمَاكِرِينَ. ١٤ فِي النَّهَارِ يَصْدِمُونَ ظُلَامًا وَيَتَلَمَّسُونَ فِي الظُّهيرةِ كَمَا فِي اللَّيْلِ. ١٥ الْمُنْجِيِ الْبَائِسَ مِنَ السَّيْفِ مِنْ فَمِهِمْ وَمِنْ يَدِ الْقَوِيِّ. ١٦ فَيَكُونُ لِلدَّلِيلِ رَجَاءٌ وَتَسُدُّ الْخَطِيئَةُ فَاهَا.

مشكلتنا مع أليفاز، كما ألمحنا سابقاً، لا تكمن في الكثير من عباراته فيما إذا جردناها عن الإطار الذي كان يحيط بها أي أن لم تكن موجّهة إلى أيوب. فمن البديهي أن الله عادل وقدير ومهيمن على دنياه. الله يدافع عن المتواضعين والمساكين ويبطل أفكار المحتالين والماكرين. لم يحتاج أيوب إلى تردد هذه البديهيّات. انحصرت مشكلته في عدم قدرته على تفهم ما حدث له وهو الذي كان يعبد الله عبادة صادقة ويسير على طريقه المستقيم. لماذا أساء أليفاز الظن في صاحبه أيوب؟ وعندما يتعذّب الأبرياء وهم لا يدرون سبب عذاباتهم وهم يعيشون في عالم الله، تزجّ حياتهم في خضمّ محيط الشكوك والتساؤلات. يحتاج المعذبون إلى تعزية شاملة مبنية على وحي الله بأسره، لا على كلمات اللوم والتجريح.

كان أليفاز كغيره من معاصريه وكالعديدين من معاصرينا نحن أيضاً، كان يخال بأن الذي تنهمر عليه مشكلات الحياة إنما كان يستحقّها. لم يخل صديق أيوب بأنه كثيراً ما يتعذّب الأبرياء بدون سبب يفهمونه وأنّ الآلام تصبّح لا تطاق، فيتوجّهون إلى الله باريهم قائلين: لماذا يا الله؟ لم تكن كلمات أليفاز شاملة بل اكتظت بأنصاف الحقيقة فقال واعظاً:

١٧]هُوَذَا طُوبَى لِرَجُلٍ يُؤَدِّبُهُ اللَّهُ. فَلَا تَرَفُضْ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ. ١٨]لَأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ. يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ. ١٩]فِي سِتِّ شَدَائِدٍ يُنَجِّيكَ وَفِي سَبْعٍ لَا يَمْسُكَ سُوءٌ. ٢٠]فِي الْجُوعِ يَقْدِيكَ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْحَرْبِ مِنْ حَذِّ السَّيْفِ. ٢١]مَنْ سَوَّطَ اللِّسَانَ تُخْتَبَأُ فَلَا تَخَافُ مِنَ الْخَرَابِ إِذَا جَاءَ. ٢٢]تَضْحَكُ عَلَى الْخَرَابِ وَالْمَجَاعَةِ وَلَا تَخْشَى وَحُوشَ الْأَرْضِ. ٢٣]لَأَنَّهُ مَعَ حِجَارَةِ الْحَقْلِ عَهْدُكَ وَوُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ تُسَالِمُكَ. ٢٤]فَتَعْلَمُ أَنَّ حَيَمَتَكَ أَمْنَةٌ وَتَتَعَهَّدُ مَرَبِّضَكَ وَلَا تَفْقُدُ شَيْئاً. ٢٥]وَتَعْلَمُ أَنَّ زَرْعَكَ كَثِيرٌ وَذُرِّيَّتَكَ كَعُشْبِ الْأَرْضِ. ٢٦]تَدْخُلُ الْمَدْفَنَ فِي شَيْخُوخَةٍ كَرَفَعَ الْكُدُسُ فِي أَوَانِهِ. ٢٧]هَا إِنَّ ذَا قَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ. كَذَا هُوَ. فَاسْمَعُهُ وَاعْلَمْ أَنَّتَ لِنَفْسِكَ].

لخص أليفاز اجتهاده في تفسير سرّ الآلام مناشداً أيوب بألا يرفض تأديب القدير. هذا أمر حسن على كل بشري أن يتذكره. الله يجرح ويعصب، يسحق ويداه تشفيان. بمعنى أن الله يأخذ عالمه هذا بكل ما فيه من أمور حميدة وغير حميدة، ويجعلها تعمل لمصلحة خائفيه وفائدتهم. ولكن الأمر الذي لم يساعد أيوب في كلمات صاحبه هو أن أليفاز كان يعتقد كل الاعتقاد بأن الإنسان يتألم ويتعذّب بالنسبة إلى الشرور والمعاصي التي يرتكبها في هذه الدنيا. ولذلك أنهى خطابه بهذه الكلمات التي أظهرته وكأنه كان يتمتع بسلطة فوقية بالنسبة إلى أيوب: ها إن ذا قد بحثنا عنه، كذا هو. فاسمعه واعلم أنت لنفسك.

وسنرى ونحن نتابع سيرة أيوب الصديق أن كلمات معزيه كانت عبارة عن سلسلة اتهامات له ولذلك رفضها وتابع رفع قضيته العادلة إلى ربه وباريه. وكما ذكرنا في كل

عظة مبنية على كتب الوحي في أيام العهد القديم أي أيام ما قبل الميلاد، يتوجب علينا نحن الذين نعيش نحو ألفي سنة بعد مجيء المسيح إلى العالم واكتمال الوحي الإلهي، يجر بنا أن نأخذ تعاليم الإنجيل بعين الاعتبار لكي نفهم بصورة أكثر جلاء موضوع الآلام والنوائب التي تحدث لبني البشر بشكل عام وللمؤمنين والمؤمنات بشكل خاص.

نتعلم من الكتاب المقدس بأسره أي من كتب العهد القديم والعهد الجديد، نتعلم بأن المسيح يسوع جاء إلى عالمنا هذا للقضاء على الخطية والشر والشيطان. ولقد أتم له المجد برنامج الله الخلاصي والفدائي بموته على الصليب وقيامته من بين الأموات. وصار كل من يلتجئ إليه مؤمناً ينال الخلاص مجاناً بما في ذلك الحياة الأبدية. لكن هذا لا يعني أن مشاكل الحياة تزول بالنسبة للمؤمنين بالمسيح. على العكس كثيراً ما يضطهد أتباع المسيح لا لسبب إلا لالتجائهم إليه والشهادة بعمله الخلاصي الذي تم في صميم حياتهم. لكن المؤمن يعلم كل العلم أن جميع صعوبات ومشقات الحياة الدنيا تؤول في النهاية لخيره ولنموه في إيمانه القويم.

لا يمكن النظر إلى مشاكل الحياة من منظور ضيق بل من وجهة نظر كتابية شاملة. فيقول كل مؤمن مع الرسول بولس:

"إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا! ^{٣٢}الَّذِي لَمْ يُشْفَقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهْبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ؟ ^{٣٣}مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللَّهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ! ^{٣٤}مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضاً الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الَّذِي أَيْضاً يَشْفَعُ فِينَا! ^{٣٥}مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةً أَمْ ضَيْقٌ أَمْ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عَرِيٌّ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ ^{٣٦}كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ «إِنَّا مِنْ أَجْلِكَ نَمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ». ^{٣٧}وَلَكِنَّا فِي هَذِهِ جَمِيعَهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا. ^{٣٨}فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ وَلَا مَلَأْنِكَةَ وَلَا رُؤْسَاءَ وَلَا قُوَّاتٍ وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبَلَةً ^{٣٩}وَلَا غُلُوَّ وَلَا عُمُقَ وَلَا خَلِيقَةً أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا."

أهناك عدل على الأرض؟ ٢

نظراً لأن بعض المستمعين الكرام لم يسمعوا العظات السابقة المبنية على سفر أيوب نعيد ذكر بعض الأمور الأساسية التي تساعدنا على فهم الفصل الخامس من هذا الكتاب. عاش أيوب في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية في أيام ما قبل الميلاد. وكان رجلاً ثرياً لأنعم الله عليه بسبع صبيان وثلاث بنات. وفي أحد الأيام انصبت عليه المصائب فخرس أولاً ثروته ثم بنيته وبناته وأخيراً خسر صحته الجسدية إذ ألمّ به داء يشبه مرض البرص. ولم يدر أيوب بأن الشيطان كان واقفاً له بالمرصاد وأن الله أذن له ليضرب أيوب بكل هذه المصائب.

جاء ثلاثة من أصحاب أيوب لتعزيته ولكنهم انقلبوا عليه مدّعين بأنه كان قد اقترف ذنباً معيناً وإلا لما كنا قد وقفنا في الفصل الرابع على كلمات أليماز التيماني اللامعزية. تابع هذا الصديق المشتكي واعظاً لأيوب المعذب وقائلاً:

١[ادع الآن. فهل لك من مجيب! وإلى أي القديسين تأنفت؟ ٢لأن الغيظ يقتل الغبي والغيرة تميمت الأحمق. ٣إني رأيت الغبي يتأصل وبغته لعنت مريضه. ٤بنوه بعيدون عن الأمن وقد تحطموا في الباب ولا منقذ. ٥الذين يأكل الجوعان حصيدهم ويأخذونه حتى من الشوك ويشتف الظمان ثروتهم. ٦إن البلية لا تخرج من الشراب والشفوة لا تنبت من الأرض ٧ولكن الإنسان مولود للمسقة كما أن الجوارح لارتفاع الجناح.

ليست المشكلة في كلمات صاحب أيوب أنها لم تكن مبنية على الواقع المعاش أو أنها لم تأخذ التجارب الحياتية بعين الاعتبار. تفوه أليماز بجزء من الحقيقة لا الحقيقة بكاملها. من ينكر أن الغيرة تميمت الأحمق؟ هذا صحيح لا جدل فيه. ولكن هذه الكلمات لم تنطبق على أيوب. عاش أيوب حياة متجانسة مع الوصية الإلهية ولم يشعر في قرارة نفسه بأنه ارتكب ذنباً معيناً لتنهمر عليه كل هذه النوائب. لماذا كانت نقطة انطلاق أليماز اعتقاده بأن أيوب كان مجرمًا ولماذا قال لصاحبه المتألم: ادع الآن، فهل لك من مجيب؟ لماذا وصف أيوب وكأنه كان بدون معين أو مجيب؟ احتاج أيوب إلى تعزية ولكنه لم ينل من صاحبه سوى اللوم!

وتابع أليماز كلامه ممجداً عظمة الله القدير ومنتقداً ضمناً صاحبه أيوب قائلاً:

٩[لكن كنت أطلب إلى الله وعلى الله أجعل أمري. ٩القائل عظام لا تُفحص وعجائب لا تُعد. ١٠المُنزل مطراً على وجه الأرض والمرسل المياه على البراري. ١١الجاعل المتواضعين في العلى فيرتفع المخزؤون إلى أمن. ١٢المُبطل أفكار المختالين فلا تجري أيديهم قصداً. ١٣الأخذ الحكماء بجيئتهم فتتهوّر مشورة الماكريين. ١٤في النهار يصدمون

ظَلاماً وَيَتَلَمَّسُونَ فِي الظَّهِيرَةِ كَمَا فِي اللَّيْلِ. ١٥ الْمُنْجِي الْبَائِسَ مِنَ السَّيْفِ مِنْ فَمِهِمْ وَمِنْ يَدِ الْقَوِيِّ. ١٦ فَيَكُونُ لِلذَّلِيلِ رَجَاءٌ وَتَسُدُّ الْخَطِيئَةُ فَاَهَا.

لم يحتاج أيوب إلى ترداد هذه البديهيّات. انحصرت مشكلته في عدم قدرته على تفهم ما حدث له وهو الذي كان يعبد الله عبادة صادقة ويسير على طريقه المستقيم. لماذا أساء أليفاز الظن في صاحبه أيوب؟ وعندما يتعدّب الأبرياء تزجّ حياتهم في خضمّ محيط الشكوك والتساؤلات. يحتاج المعذبون إلى تعزية شاملة مبنية على وحي الله بأسره، لا على كلمات اللوم والتجريح.

لم تكن كلمات أليفاز شاملة بل اكتظت بأنصاف الحقيقة واعظاً:

١٧]هُوَذَا طُوبَى لِرَجُلٍ يُؤَدِّبُهُ اللَّهُ. فَلَا تَرُفُضْ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ. ١٨ لِأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ. يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ. ١٩ فِي سِتِّ شِدَائِدٍ يُنْجِيكَ وَفِي سَبْعٍ لَا يَمْسُكَ سُوءٌ. ٢٠ فِي الْجُوعِ يَقْدِيكَ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْحَرْبِ مِنْ حَذِّ السَّيْفِ. ٢١ مِنْ سَوْطِ اللِّسَانِ تُخْتَبَأُ فَلَا تَخَافُ مِنَ الْخَرَابِ إِذَا جَاءَ. ٢٢ تَضْحَكُ عَلَى الْخَرَابِ وَالْمَجَاعَةِ وَلَا تَخْشَى وَحُوشَ الْأَرْضِ. ٢٣ لِأَنَّهُ مَعَ حِجَارَةِ الْحَقْلِ عَهْدُكَ وَوُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ تُسَالِمُكَ. ٢٤ فَتَعْلَمُ أَنَّ حَيَمَتَكَ أَمْنَةٌ وَتَتَعَهَّدُ مَرْبُضَكَ وَلَا تَفْقُدُ شَيْئاً. ٢٥ وَتَعْلَمُ أَنَّ زَرْعَكَ كَثِيرٌ وَذُرِّيَّتَكَ كَعُشْبِ الْأَرْضِ. ٢٦ تَدْخُلُ الْمَدْفَنَ فِي شَيْخُوخَةٍ كَرَفَعَ الْكُدْسُ فِي أَوَانِهِ. ٢٧ هَا إِنَّ دَا قَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ. كَذَا هُوَ. فَاسْمَعُهُ وَاعْلَمْ أَنَّتَ لِنَفْسِكَ].

الأمر الذي لم يساعد أيوب في كلمات صاحبه هو أن أليفاز كان يعتقد كل الاعتقاد بأن الإنسان يتألم ويتعدّب بالنسبة إلى الشرور والمعاصي التي يرتكبها. ولذلك أنهى خطابه بهذه الكلمات التي أظهرته وكأنه كان يتمتع بسلطة فوقيّة بالنسبة إلى أيوب: ها ان ذا قد بحثنا عنه، كذا هو. فاسمعه واعلم أنت لنفسك.

وكما ذكرنا في كل عظة مبنية على كتب الوحي في أيام العهد القديم أي أيام ما قبل الميلاد، يتوجّب علينا نحن الذين نعيش نحو ألفي سنة بعد مجيء المسيح إلى العالم واكتمال الوحي الإلهي، يجدر بنا أن نأخذ تعاليم الإنجيل بعين الاعتبار لكي نفهم بصورة أكثر جلاء موضوع الآلام والنوائب التي تحدث لبني البشر بشكل عام وللمؤمنين والمؤمنات بشكل خاص.

نتعلم من الكتاب المقدّس أي من كتب العهد القديم والعهد الجديد، بأن المسيح يسوع جاء إلى عالمنا هذا للقضاء على الخطيئة والشر والشیطان. ولقد أتمّ له المجد برنامج الله الخلاصي والفدائي بموته على الصليب وبقيامته من بين الأموات. وصار كل من يلتجئ إليه مؤمناً ينال الخلاص مجاناً بما في ذلك الحياة الأبدية. لكن هذا لا يعني أن مشاكل الحياة

تزول بالنسبة للمؤمنين بالمسيح. على العكس كثيراً ما يضطهد أتباع المسيح لا لسبب إلا لالتجائهم إليه والشهادة بعمله الخلاصي الذي تمّ في صميم حياتهم. لكن المؤمن يعلم كل العلم أن جميع صعوبات ومشقات الحياة الدنيا تؤول في النهاية خيره ولنموه في إيمانه القويم.

لا يمكن النظر إلى مشاكل الحياة من منظور ضيق بل من وجهة نظر كتابية شاملة. ولذلك يشهد المؤمن مع الرسول بولس قائلاً:

"إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا! ^{٣٢}الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهْبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟ ^{٣٣}مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَيَّ مُخْتَارِي اللَّهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ! ^{٣٤}مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضاً الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الَّذِي أَيْضاً يَشْفَعُ فِينَا! ^{٣٥}مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةً أَمْ ضَيْقٌ أَمْ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ ^{٣٦}كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ «إِنَّا مِنْ أَجْلِكَ نَمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ». ^{٣٧}وَلَكِنَّا فِي هَذِهِ جَمِيعَهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا. ^{٣٨}فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ وَلَا مَلَأْنِكَةَ وَلَا رُؤْسَاءَ وَلَا قُوَّاتٍ وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبَلَةً ^{٣٩}وَلَا غُلُوَ وَلَا عُمُقَ وَلَا خَلِيقَةً أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا."

العذابات في عالم الله ١

النص الكتابي: أيوب ٦

كثيراً ما أحاور نفسي قائلاً: هل أستمع إلى نشرة الأخبار أم لا؟ وعندما تصلني المجلة الأسبوعية المكتظة بالأخبار والمقالات الأدبية، هل أكتفي بقراءة باب المقالات ممتنعاً عن قراءة تفاصيل الأنباء؟

وقد تقول لي أيها المستمع العزيز، لماذا تتردد في موضوع الاستماع إلى نشرة الأخبار أو قراءة التقارير الواردة على صفحات المجلة؟ هل تريد أن تحيا حياة الانعزاليين؟ وجوابي هو: أنني كغيري من بني البشر أتردد في متابعتي للأخبار لأنني لست قادراً نفسياً على احتمال تكرار أبناء الكوارث الطبيعية منها وتلك التي يجلبها البشر على أقرانهم بني البشر. أنا لا أريد أن أتهرب من مسؤوليتي في متابعة ما يجري للإنسان في هذه السنين الأخيرة من القرن العشرين أو من القيام بواجبي لمساعدة الناس بقدر طاقتي وإمكاناتي. لكنني في نفس الوقت أجد صعوبة كبيرة في متابعة كل تفاصيل قساوة الإنسان تجاه قرينه الإنسان. يفتك الناس بالأبرياء والمساكين والأطفال وكأنهم حشرات ضارة! يا ترى ماذا حدث لنا نحن البشر؟

وكما ذكرت في عظة سابقة، يجابه كل بشري مشكلة الحياة المعاصرة بما فيها من متناقضات وعذابات، وهو متسلح بمنظور ما: قد يكون منظوراً دينياً أو إلحادياً. يعتقد الملحد المعاصر بأننا نعيش في عالم جاء إلى حيز الوجود بصورة تلقائية وأن الكون الشاسع الذي يحيط بنا هو أزلي ولا شخصي، وفي أوائل القرن العشرين كان الإلحاد المعاصر متغذياً من قبل ايدولوجيات طوباوية فوعد أتباعه وأنصاره باقتراب مجيء عصر ذهبي تنعدم فيه مشاكل الحياة وتضمحل فطياته جميع المتناقضات. ولكن جميع تلك الأحلام اندثرت وانهار صرح جميع النظريات المادية / الإلحادية وأتينا على رؤية أنقاض تلك الايدولوجيات التي أظهرت أيضاً ليس فقط فشلها في الاتيان بنعيم أرض بل لأنها في كثير من الأحيان جاءت بما يشبه بجحيم لا يطاق تعذب فيه الملايين من بني البشر.

لقد فشلت جميع النظريات والآراء الفلسفية الإلحادية في تفسير معنى الوجود أو في حل مشاكل الحياة المستعصية. نأتي إذن إلى مواجهة موضوع عذابات الحياة الدنيا من منظور إيماني مبني على الوحي الإلهي. وإذ نتفوه بهكذا كلمات هل نعني بأننا قادرون على تحليل كل ما يجري في دنيانا وخاصة تفسير معنى العذابات التي تصيب الملايين من أقراننا بني البشر؟ ومتى تسلحنا بإيماننا بالله فهذا لا يعني أننا نحصل على منظور حياتي تبسيطي

إذ نجابه معضلات الحياة ومشاكلها. هذا الدرس الأساسي الذي نتعلمه من سفر أيوب الصديق وهو أحد كتب الوحي الإلهي في أيام ما قبل الميلاد.

العذابات في عالم الله-٢

كان أيوب أحد رجال الله الأتقياء وكان الله قد أنعم عليه بثروة طائلة. لكن الشيطان ادعى بأن أيوب إنما كان يخاف الله ويسير على طريقه المستقيم نظراً لتلك البركات التي نالها من ربه. فسمح الله للشيطان بأن يجرب أيوب، فخسر أولاً ثروته ثم بنيته وبناته وأخيراً صحته إذ مني بمرض يشبه داء البرص. ولم يترك أيوب مسيرته الإيمانية ولكنه لم يفهم كيف سمح الله لجميع تلك المصائب بأن تنهال عليه ولم يدر بأن الشيطان لعب دوراً هاماً في كل ما حدث له. خضع أيوب الصديق للمشيئة الإلهية وتمنى من قرارة قلبه بأن يمن عليه الله بالشفاء وبحل مقنع لمصيبته.

ومما زاد في محنة أيوب أن أصدقاءه الثلاثة الذين جاؤوا لتعزيته صاروا من منتقديه. وكان منطقهم أن الذي تصيبه هكذا نوائب لا بد أن يكون قد استحقها. فنصحوا أيوب بأن يتواضع أمام الله ويقرّ بخطيته ويستغفر باريه طالباً منه الصفح والغفران. لم يقبل أيوب تعليل أصدقائه لمشكلته الحادة فأجابهم في الفصل السادس قائلاً:

٢] لَيْتَ كَرْبِي وَزَنَ وَمَصِيبَتِي رُفِعَتْ فِي الْمَوَازِينِ جَمِيعَهَا. ٣ لِأَنَّهَا الْآنَ أَثْقَلُ مِنْ رَمْلِ الْبَحْرِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَعَا كَلَامِي. ٤ لِأَنَّ سِهَامَ الْقَدِيرِ فِيَّ تَشْرَبُ رُوحِي سُمُّهَا. أَهْوَالُ اللَّهِ مُصْطَفَّةٌ ضِدِّي. ٥ هَلْ يَنْهَقُ الْفَرَاءُ عَلَى الْعُشْبِ أَوْ يَخُورُ الثَّوْرُ عَلَى عَافِهِ؟ ٦ هَلْ يُؤْكَلُ الْمَسِيخُ بِلَا مِلْحٍ أَوْ يُوجَدُ طَعْمٌ فِي مَرَقِ الْبَقْلَةِ؟ ٧ عَافَتْ نَفْسِي أَنْ تَمْسَهَا فَصَارَتْ خُبْرِي الْكَرِيه!

كان أصحاب أيوب الثلاثة من المؤمنين بالله ولكنهم تسرّعوا في حكمهم على أيوب واستنتجوا بناءً على اجتهاداتهم الخاطئة، استنتجوا بأن أيوب كان مذنباً ولذلك كان مستحقاً لكل ما حدث له وصار. فلسفتهم الحياتية كانت تبسيطية للغاية. أعني بكلمة تبسيطية أنها كانت تنظر إلى الحياة من منظور بسيط للغاية بينما الحياة البشرية المعاشة هي أكثر تعقيداً وتفصيلها أكثر تشابكاً مما يظن الناس. كثيراً ما يتألم الأبرياء ويعذبون بينما لا يعاقب الخطاة والأثمة ومرتكبو المعاصي والشرور. نحن لا نحيا في عالم تجري فيه الأمور بصورة آلية أو ميكانيكية. وعندما نقرّ بإيماننا بالله القدير فهذا لا يعني أننا نصبح عالمين بسبب كل ما يجري ويتم في دنيا البشر. الله وحده عليم بكل شيء.

كان أيوب الصديق يتوق إلى من يؤاسيه ويشعر معه ويسانده في محنته الشديدة التي ألّمت به بصورة فجائية. جاء أصحابه لتعزيته فكان من المنتظر منهم بأن يزنوا مصيبته وأن يظهروا تكاتفهم معه وهو ينتظر من الله العون والنجاة. طبعاً كان أيوب يؤمن في

قرارة قلبه بسلطة الله على كل ما يجري في العالم، فلما سمح القدير بأن تنهال سهامه على عبده أيوب؟ ألم يكن باستطاعة الله بأن يجيز عن عبده كل تلك الأهوال؟

[يَا لَيْتَ طَلَبْتَنِي تَأْتِي وَيُعْطِينِي اللَّهُ رَجَائِي! ٩ أَنْ يَرْضَى اللَّهُ ٨ تَابِعَ أَيُوبُ كَلَامَهُ فَقَالَ:
بِأَنْ يَسْحَقَنِي وَيُطْلِقَ يَدَهُ فَيَقْطَعَنِي. ١٠ فَلَا تَزَالُ تَعْزِيَّتِي وَابْتِهَاجِي فِي عَذَابٍ لَا يُشْفِقُ أَنِّي لَمْ
أَجِدَ كَلَامَ الْقُدُوسِ. ١١ مَا هِيَ قُوَّتِي حَتَّى أُنْتَظَرَ وَمَا هِيَ نِهَائِي حَتَّى أُصَبِّرَ نَفْسِي؟ ١٢ هَلْ
قُوَّتِي قُوَّةُ الْحَجَارَةِ؟ هَلْ لَحْمِي نُحَاسٌ؟ ١٣ أَلَا إِنَّهُ لَيْسَتْ فِيَّ مَعُونَتِي وَالْمُسَاعَدَةُ مَطْرُودَةٌ
عَنِّي!]

لم يتألم أيوب فقط بسبب خسرانه لثروته أو لبنيه وبناته أو صحته، بل تألم أيوب لأنه
وهو المؤمن والسائر على طريق الله، وصل إلى حالته هذه التي لا تطاق. لم يشعر أيوب
بأنه كان قد ارتكب ذنباً أو معصية تستحق ما ألم به، إنني لم أجد كلام القدوس. لماذا إذن
أصابتنني كل هذه المصائب؟ كان أيوب إنساناً لا مخلوقاً جباراً هرقلياً. لا يتمتع المؤمن
بقوة الحجارة ولحمه ليس من نحاس! يا الله لماذا يتعذب المؤمنون؟

وعندما يسير المؤمن في درب الآلام ينتظر من أصحابه ورفاقه تعزية لا انتقاداً. لماذا
جاء إليه أصحابه بنقدهم اللاذع وبحكمهم الجائر؟ هذا ما زاد من محنة أيوب فقال لأصحابه
معاتباً:

[١٤] حَقُّ الْمَحْزُونِ مَعْرُوفٌ مِنْ صَاحِبِهِ وَإِنْ تَرَكَ خَشْيَةَ الْقَدِيرِ. ١٥ أَمَّا إِخْوَانِي فَقَدْ
عَذَرُوا مِثْلَ الْعَدِيرِ. مِثْلَ سَاقِيَةِ الْوُدَيَانِ يَعْزُرُونَ. ١٦ الَّتِي هِيَ عَكْرَةٌ مِنَ الْبَرْدِ وَيَحْنَفِي فِيهَا
الْجَلِيدُ. ١٧ إِذَا جَرَتْ انْقَطَعَتْ. إِذَا حَمِيَتْ جَفَّتْ مِنْ مَكَانِهَا. ١٨ تَحِيدُ الْقَوَافِلُ عَنْ طَرِيقِهَا
تَدْخُلُ النَّيَّةَ فَتَهْلِكُ. ١٩ نَظَرْتُ قَوَافِلَ تَيْمَاءَ. مَوَاكِبُ سَبَا رَجَوْهَا. ٢٠ خَزَوْا فِي مَا كَانُوا
مُطْمَئِنِّينَ. جَاءُوا إِلَيْهَا فَخَجَلُوا. ٢١ فَالآنَ قَدْ صِرْتُمْ مِثْلَهَا. رَأَيْتُمْ ضَرْبَةً فَفَزِعْتُمْ. ٢٢ هَلْ قُلْتُ:
أَعْطُونِي شَيْئاً أَوْ مِنْ مَالِكُمْ ارْشُوا مِنْ أَجْلِي ٢٣ أَوْ نَجُونِي مِنْ يَدِ الْخَصْمِ أَوْ مِنْ يَدِ الْعِتَاءِ
أَفْدُونِي؟ ٢٤ عَلِّمُونِي فَأَنَا أَسْكُتُ وَفَهْمُونِي فِي أَيِّ شَيْءٍ ضَلَلْتُ. ٢٥ مَا أَشَدَّ الْكَلَامَ الْمُسْتَقِيمَ
وَأَمَّا التَّوْبِيخُ مِنْكُمْ فَعَلَى مَاذَا يُبْرَهَنُ؟ ٢٦ هَلْ تَحْسِبُونَ أَنْ تُوبِّخُوا كَلِمَاتٍ وَكَلَامَ الْيَائِسِ
لِلرَّيْحِ! ٢٧ بَلْ تُلْقُونَ عَلَى الْيَتِيمِ وَتَحْفَرُونَ حُفْرَةً لِصَاحِبِكُمْ! ٢٨ وَالآنَ تَفَرَّسُوا فِيَّ فَإِنِّي عَلَى
وُجُوْهِكُمْ لَا أَكْذِبُ. ٢٩ ارْجِعُوا. لَا يَكُونَنَّ ظُلْمٌ. ارْجِعُوا أَيْضاً. فِيهِ حَقِّي. ٣٠ هَلْ فِي لِسَانِي
ظُلْمٌ أَمْ حَنَكِي لَا يُمَيِّزُ فَسَاداً؟]

يا لها من كلمات رائعة! ويا ليت نسجلها على عقولنا وأفئدتنا! عندما نواجه مشاكل
الحصاة المستعصية كمرض عضال حلّ بنا أو بأحد أحبائنا، أو عندما نخسر مصدر قوتنا
لا عمل لنا ولا رجاء. ألا تزداد بليتنا عندما ينقلب معزونا إلى مشتكين علينا؟ ما العمل؟
والى من نلتجئ؟

يكمن الجواب الوحيد والمقنع في كتاب الله المقدس. فعندما عاش أيوب الصديق وحفظت لنا سيرته ضمن الأسفار المقدسة كانت أيامه أيام ما قبل الميلاد أيام الانتظار، انتظار قدوم مسيح الله وتتميمه لعمله الخلاصي والفدائي لصالح البشرية المعذبة والساقطة في وهدة الشر والخطية. نعيش نحن في أواخر القرن العشرين أي بعد نحو ألفي سنة من أيام المسيح المخلص ولذلك يجدر بنا أن نتسلح بتعاليم الكتاب بأسره. وإذ نتأمل في سيرة السيد المسيح وما قام به من أعمال باهرة كشفاء المرضى وإقامة الموتى، وخاصة إذ نأخذ بعين الاعتبار الآلام التي قاساها المسيح في الأسبوع الأخير من سيرته على الأرض وفي موته وقيامته من بين الأموات، لا بد لنا أننذ من تكوين منظور حياتي سليم. فلا نتسرع في الحكم على أقراننا بني البشر عندما تنهال عليهم مصائب الحياة. نقرّ بمحدوديتنا وبعدم مقدرتنا على فهم كل ما يجري في دنيانا هذه. ولكننا نقرّ في نفس الوقت بأن القدير لا يزال مهيمناً على جميع مقدرات العالم وأنه يجعل جميع تفاصيل حياتنا تؤول في النهاية لخيرنا الأبدي. فإن اكتفينا بالنظر إلى الحياة الدنيا وكأنها الكل في الكل فإننا إذا ذاك نصاب بخيبة أمل كبيرة.

وسنرى ونحن نتابع دراستنا لسفر أيوب أهمية التسلح بالإيمان والصبر لأننا لا نبقي وحيدين في عالم الله بل يسير القدير معنا في كل خطوة من خطوات حياتنا. وعلينا أن نتسلح قبل كل شيء بإيمان حي بمن أرسله الله كمخلص العالم الوحيد أي بيسوع المسيح. متى خطونا هذه الخطوة الأساسية فإننا نكون سائرين على الطريق الوحيد الذي يؤمن لنا انتصاراً أكيداً على جميع قوى الشر والظلام التي تعصف بحياة البشر ولا سيما في هذه الأيام العصيبة. ساعدنا الله القدير لنكون من المؤمنين بالفادي والمخلص المسيح، آمين.

كان أيوب أحد رجال الله الأتقياء وكان الله قد أنعم عليه بثروة طائلة. لكن الشيطان ادعى بأن أيوب 'نما كان يخاف الله ويسير على طريقه المستقيم نظراً لتلك البركات التي نالها من ربه. فسمح الله للشيطان بأن يجرب أيوب، فخسر أولاً ثروته ثم بنيته وبناته وأخيراً صحته إذ مني بمرض يشبه داء البرص. ولم يترك أيوب مسيرته الإيمانية ولكنه لم يفهم كيف سمح الله لجميع تلك المصائب بأن تنهال عليه ولم يدر بأن الشيطان لعب دوراً هاماً في كل ما حدث له.

ومما زاد في محنة أيوب أن أصدقاءه الثلاثة الذين جاؤوا لتعزيته صاروا من منتقديه. وكان منطقهم أن الذي تصيبه هكذا نوائب لابد أن يكون قد استحقها. فنصحوا أيوب بأن يتواضع أمام الله ويقرّ بخطيته ويستغفر باريه طالباً منه الصفح والغفران. لم يقبل أيوب تعليل أصدقائه لمشكلته الحادة فأجابهم في الفصل السادس قائلاً:

٢] لَيْتَ كَرْبِي وَزَنَ وَمَصِيبَتِي رُفِعَتْ فِي الْمَوَازِينِ جَمِيعَهَا. ٣ لِأَنَّهَا الْآنَ أَثْقَلُ مِنْ رَمْلِ الْبَحْرِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَعَا كَلَامِي. ٤ لِأَنَّ سِهَامَ الْقَدِيرِ فِيَّ تَشْرَبُ رُوحِي سُمَّهَا. أَهْوَالُ اللَّهِ مُصْطَفَّةٌ ضِدِّي. ٥ هَلْ يَنْهَقُ الْفَرَاءُ عَلَى الْعُشْبِ أَوْ يَخُورُ الثَّوْرُ عَلَى عَافِهِ؟ ٦ هَلْ يُؤْكَلُ الْمَسِيحُ بِلَا مَلْحٍ أَوْ يُوجَدُ طَعْمٌ فِي مَرَقِ الْبَقْلَةِ؟ ٧ عَافَتْ نَفْسِي أَنْ تَمَسَّهَا فَصَارَتْ خُبْزِي الْكَرِيهَ!

كان أصحاب أيوب الثلاثة من المؤمنين بالله ولكنهم تسرعوا في حكمهم على أيوب واستنتجوا بناء على اجتهداتهم الخاطئة، استنتجوا بأن أيوب كان مذنباً ولذلك كان مستحقاً لكل ما حدث له وصار. فلسفتهم الحياتية كانت تبسيطية للغاية بمعنى أنها كانت تنظر على الحياة من منظور بسيط للغاية بينما الحياة البشرية المعاشة هي أكثر تعقيداً وتفصيلها أكثر تشابكاً مما يظن الناس. فكثيراً ما يتألم الأبرياء ويعذبون بينما لا يعاقب الخطاة والأثمة ومرتكبوا المعاصي والشرور. نحن لا نحيا في عالم تجري فيه الأمور بصورة آلية أو ميكانيكية. وعندما نقرّ بإيماننا بالله القدير فهذا لا يعني أننا نصبح عالمين بسبب كل ما يجري ويتم في دنيا لبشر. الله وحده عليم بكل شيء.

كان أيوب الصديق يتوق إلى من يؤاسيه ويشعر معه ويسانده في محنته الشديدة التي ألمت به بصورة فجائية. جاء أصحابه لتعزيته فكان من المنتظر منهم بأن يزنوا مصيبتهم وأن يظهروا تكاتفهم معه وهو ينتظر من الله العون والنجاة. طبعاً كان أيوب يؤمن في قرارة قلبه بسلطة الله على كل ما يجري في العالم، فلما، لما سمح القدير بأن تنهال سهامه على عبده أيوب؟ ألم يكن باستطاعة الله بأن يجيز عن عبده كل تلك الأهوال؟

تابع أيوب كلامه فقال: ٨] يَا لَيْتَ طَلَبْتِي تَأْتِي وَيُعْطِينِي اللَّهُ رَجَائِي! ٩ أَنْ يَرْضَى اللَّهُ بِأَنْ يَسْحَقَنِي وَيُطْلِقَ يَدَهُ فَيَقْطَعَنِي. ١٠ فَلَا تَزَالُ تَعْزِيَّتِي وَابْتِهَاجِي فِي عَذَابٍ لَا يُشْفِقُ أُنِّي لَمْ أَجِدْ كَلَامَ الْقُدُّوسِ. ١١ مَا هِيَ قُوَّتِي حَتَّى أُنْتَظَرَ وَمَا هِيَ نَهَائِي حَتَّى أُصَبِّرَ نَفْسِي؟ ١٢ هَلْ قُوَّتِي قُوَّةُ الْحَجَارَةِ؟ هَلْ لَحْمِي نُحَاسٌ؟ ١٣ أَلَا إِنَّهُ لَيْسَتْ فِيَّ مَعُونَتِي وَالْمُسَاعَدَةُ مَطْرُودَةٌ عَنِّي!

لم يتألم أيوب فقط بسبب خسرانه لثروته أو لبنيه وبناته أو صحته، بل تألم أيوب لأنه وهو المؤمن والسائر على طريق الله، وصل إلى حالته هذه التي لا تطاق. لم يشعر أيوب بأنه كان قد ارتكب ذنباً أو معصية تستحق ما ألم به، إنني لم أجد كلام القدوس. لماذا إذاً أصابتنني كل هذه المصائب؟ كان أيوب إنساناً لا مخلوقاً جباراً هرقلياً. لا يتمتع المؤمن بقوة الحجارة ولحمه ليس من نحاس! يا أله لماذا يتعذب المؤمنون؟

وعندما يسير المؤمن في درب الآلام ينتظر من أصحابه ورفاقه تعزية لا انتقاداً. لماذا جاء إليه أصحابه بنقدهم اللاذع وبحكمهم الجائر؟ هذا ما زاد من محنة أيوب فقال لأصحابه معاتباً:

١٤ [حَقُّ الْمَحْزُونِ مَعْرُوفٌ مِنْ صَاحِبِهِ وَإِنْ تَرَكَ خَشْيَةَ الْقَدِيرِ. ١٥ أَمَّا إِخْوَانِي فَقَدْ غَدَرُوا مِثْلَ الْعَدِيرِ. مِثْلَ سَاقِيَةِ الْوُدَيَانِ يَغْبُرُونَ. ١٦ الَّتِي هِيَ عَكْرَةٌ مِنَ الْبَرْدِ وَيَخْتَفِي فِيهَا الْجَلِيدُ. ١٧ إِذَا جَرَتْ انْقَطَعَتْ. إِذَا حَمِيَتْ جَفَّتْ مِنْ مَكَانِهَا. ١٨ تَحِيدُ الْقَوَافِلُ عَنْ طَرِيقِهَا تَدْخُلُ النَّيَّةَ فَتَهْلِكُ. ١٩ نَظَرْتُ قَوَافِلُ تَيْمَاءَ. مَوَاكِبُ سَبَأٍ رَجَوْهَا. ٢٠ خَزَرُوا فِي مَا كَانُوا مُطْمَئِنِّينَ. جَاءُوا إِلَيْهَا فَخَجَلُوا. ٢١ فَالآنَ قَدْ صِرْتُمْ مِثْلَهَا. رَأَيْتُمْ ضَرْبَةَ فَقْرٍ عَثُمَ. ٢٢ هَلْ قُلْتُ: أَعْطُونِي شَيْئاً أَوْ مِنْ مَالِكُمْ ارْشُوا مِنْ أَجْلِي ٢٣ أَوْ نَجُونِي مِنْ يَدِ الْحَصَمِ أَوْ مِنْ يَدِ الْعُتَاةِ افْدُونِي؟ ٢٤ عَلِّمُونِي فَأَنَا أَسْكُتُ وَفَهْمُونِي فِي أَيِّ شَيْءٍ ضَلَلْتُ. ٢٥ مَا أَشَدَّ الْكَلَامَ الْمُسْتَقِيمَ وَأَمَّا التَّوْبِيخُ مِنْكُمْ فَعَلَى مَاذَا يُبْرَهِنُ؟ ٢٦ هَلْ تَحْسِبُونَ أَنْ تُوبَّخُوا كَلِمَاتٍ وَكَلَامَ الْيَائِسِ لِلرَّيْحِ! ٢٧ بَلْ تُلْقُونَ عَلَى الْيَتِيمِ وَتَحْفَرُونَ حُفْرَةً لِصَاحِبِكُمْ! ٢٨ وَالْآنَ تَفَرَّسُوا فِيَّ فَإِنِّي عَلَى وُجُوهِكُمْ لَا أَكْذِبُ. ٢٩ ارْجِعُوا! لَا يَكُونَنَّ ظُلْمٌ. ارْجِعُوا أَيْضاً. فِيهِ حَقِّي. ٣٠ هَلْ فِي لِسَانِي ظُلْمٌ أَمْ حَنَكِي لَا يُمَيِّزُ فَسَاداً؟

يكمن الجواب الوحيد والمقنع في كتاب الله المقدس. فعندما عاش أيوب الصديق وحفظت لنا سيرته ضمن الأسفار المقدسة كانت أيامه أيام ما قبل الميلاد، أيام الانتظار، انتظار قدوم المسيح الله وتتميمه لعمله الخلاصي والفدائي لصالح البشرية المعذبة والساقطة في وهدة الشر والخطية. نعيش نحن في أواخر القرن العشرين أي بعد نحو ألفي سنة من أيام المسيح المخلص ولذلك يجدر بنا أن نتسلح بتعاليم الكتاب بأسره. وإذ نتأمل في سيرة السيد المسيح وما قام به من أعمال باهرة كشفاء المرضى وإقامة الموتى، وخاصة إذ نأخذ بعين الاعتبار الآلام التي قاساها المسيح في الأسبوع الأخير من سيرته على الأرض وفي موته وقيامته من بين الأموات، لا بد لنا أن ندرك من تكوين منظور حياتي سليم. فلا نتسرع في الحكم على أقراننا بني البشر عندما تنهال عليهم مصائب الحياة. نقرّ بمحدوديتنا وبعدم مقدرتنا على فهم كل ما يجري في دنيانا هذه. ولكننا نقرّ في نفس الوقت بأن القدير لا يزال مهيمناً على جميع مقدرات العالم وأنه يجعل جميع تفاصيل حياتنا تؤول في النهاية لخيرنا الأبدي. فإن اكتفينا بالنظر إلى الحياة الدنيا وكأنها الكل في الكل فإننا إذا ذاك نصاب بخيبة أمل كبيرة.

وسنرى ونحن نتابع دراستنا لسفر أيوب أهمية التسلح بالإيمان والصبر لأننا لا نبقي وحيداً في عالم الله بل يسير القدير معنا في كل خطوة من خطوات حياتنا. وعلينا أن نتسلح قبل كل شيء بإيمان حيّ بمن أرسله الله كمخلص العالم الوحيد أي بيسوع المسيح. متى خطونا هذه الخطوة الأساسية فإننا نكون سائرين على الطريق الوحيد الذي يؤمن لنا

انتصاراً أكيداً على جميع قوى الشر والظلام التي تعصف بحياة البشر ولا سيما في هذه الأيام العصيبة. ساعدنا الله القدير لنكون من المؤمنين بالفادي والمخلص المسيح، آمين.

ما هو الإنسان ؟ ١

النص الكتابي: أيوب ٧

لست أعلم فيما إذا كانت هذه المرة الأولى التي تستمع فيها إلى موعظة مبنية على سفر أيوب الصديق أم لا؟! لقد ابتدأت منذ بضعة أسابيع في سلسلة جديدة من عظات ساعة الإصلاح أبحث فيها عن التعاليم والعبر التي نستقيها من هذا الكتاب الذي أوحى به الله في أيام ما قبل الميلاد. على كل حال، إن كنت قد سمعتني أنادي بمحتويات سفر أيوب لأكثر من مرة ربما قد تقول في نفسك: لماذا يستمر المذيع في الكلام عن مصائب أيوب من أسبوع إلى آخر؟ أليست هناك مواضيع أخرى تجلب للقلب السعادة والاطمئنان؟ لما الاستمرار في الكلام عن سيرة أحد رجال الله الذي عاش منذ آلاف من السنين والذي مني بمصائب قلما حلت بغيره من بني البشر؟

وجوابي على هذا السؤال وعلى ما يشابهه من أسئلة قد تخطر على بال المستمعين يقع في قسمين:

أولاً: شاء الله القدير وهو العليم باحتياجاتنا نحن بني البشر، شاء فأوحى بكتاب أو سفر كبير بحث فيه موضوع سرّ الآلام والعذابات التي تلحق بالمؤمنين السائرين على طريقه القويم. فإن كنت قد كرّست نفسي للمناداة بكلمة الله وإن قادني الله منذ مدة قصيرة إلى دراسة سفر أيوب وإذاعة عدّة عظات مبنية عليه، لا أظن أنني بحاجة للدفاع عن هذا القرار. الله أعلم مني ومنك باحتياجاتنا الروحية.

ثانياً: علّمتني اختباراتي الحياتية التي عاصرت قسماً كبيراً من القرن العشرين ومطالعاتي لتاريخنا الحديث والمعاصر في بلاد الشرق، علّمتني بأن حياة العديدين منا كانت محيطة بفواجع ذات أبعاد هائلة. وليس ذلك فقط بل يشاركني بعض المستمعين الأعداء بهمومهم ومشكلاتهم الشخصية والعائلية والتي تطلعي بكل موضوعية أننا لا نحيا في عالم مفروش بالورود والرياحين، بل العديدون منا ذاقوا ولا يزالون يذوقون الأمرين في دنيانا هذه. فإن كنت كمؤمن بالله وبسلطانه اللا محدود على التاريخ أجابه كل هذه التحديات والتساؤلات، يترتب عليّ أن أحاول فهم سرّ الآلام لا بناء على فلسفات منبعها عقل الإنسان المحدود بل وحي الله المنير. هذا إذن ما قادني إلى البدء بتأملاتي في سفر أيوب والذي يحتثني على التعليق على فصوله العديدة.

ونظراً لأن بعض مستمعينا الكرام لم يسمعوا هذه البرامج من أولها فإنني أعيد ذكر بعض الأمور الهامة المختصة بأيوب الصديق. عاش هذا الرجل في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية وكان الله قد أنعم عليه بثروة طائلة ومنحه سبعة بنين وثلاث بنات.

ادعى الشيطان بأن تقوى أيوب كانت تعود إلى هذه النعم والبركات الزمنية التي نالها من الله وأن أيوب كان سيحود عن الإيمان فيما لو خسر هذه البركات. سمح الله للشيطان بأن يسلب أيوب ثروته وبنيه وبناته فلم يحد أيوب عن طريق الإيمان. وأخيراً ضرب الشيطان أيوب بمرض عضال يشبه البرص.

جاء رفاق أيوب لتعزيته ولكنهم ما لبثوا أن انقلبوا عليه مدعين بأن أيوب كان مستحقاً لجميع تلك الضربات التي حلت به. لم يقبل أيوب تعليل رفاقه لحالته الصعبة واستمر في تساؤلاته عن سبب كل الضربات التي حلت به. قال في فاتحة الفصل السابع:

[أَلَيْسَتْ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ جِهَاداً عَلَى الْأَرْضِ وَكَيَّامِ الْأَجِيرِ أَيَّامُهُ؟ ٢ كَمَا يَتَشَوَّقُ الْعَبْدُ إِلَى الظِّلِّ وَكَمَا يَتَرَجَّى الْأَجِيرُ أَجْرَتَهُ ٣ هَكَذَا تَعَيَّنَ لِي أَشْهُرُ سُوءٍ وَلَيَالِي شَقَاءٍ فُسِمَتْ لِي. ٤ إِذَا اضْطَجَعْتُ أَقُولُ مَتَى أَقُومُ. اللَّيْلُ يَطُولُ وَأَشْبَعُ قَلْقاً حَتَّى الصُّبْحِ. ٥ لَيْسَ لَحْمِي الدُّودَ مَعَ الطَّيْنِ. جِلْدِي تَشَقَّقُ وَتَفْتَحُ. ٦ أَيَّامِي أَسْرَعُ مِنَ الْمَكُوكِ وَتَنْتَهِي بِغَيْرِ رَجَاءٍ.]

كانت حياة أيوب قبل انهيار المصائب على رأسه، كانت حياة سعيدة رغيدة رافقتها نوع من الروتين الجميلة. أما الآن وقد اكفهر جو حياته وانهمرت عليه النوائب بشكل فجائي، صار ينظر على حياته من وجهة نظر الفقراء والمعدومين الذين يكافحون من أجل كسب قوتهم اليومي وهم لا يدرون ماذا يخبئ لهم الغد من مصاعب وأتراح. حياة الإنسان حياة جهاد مستمر وكأن قد تعيّن له أشهر سوء وليال شقاء. ونظراً للآلام المبرحة التي كانت تصاحب مرض أيوب كان يترجى بأن يجلب له الليل الراحة، ولكن النوم كان يهرب منه فصار ليله طويلاً مشبعاً بالقلق، فانتظر الصباح لعله يجد فيها الخلاص. فما لبث أمله بأن ذهب أدراج الرياح. لأنه ما أم بزغ نور الصباح وأخذ يتأمل في جسده حتى هاله ما كان يشاهده ! أيامه كانت مسرعة بخطى وثيدة نحو الموت والاضمحلال.

وهنا نذكر أنه في أيام الوحي الأولى أي في أيام ما قبل الميلاد، لم يكن الله قد أعلن بعد وبصورة واضحة وجلية حقيقة القيامة التي تنتظر كل بشري في اليوم الأخير. علينا أن نأخذ هذه الحقيقة المستقاة من أسفار العهد القديم لنفهم فقدان الإشارة إلى عقيدة القيامة من بين الأموات. هذا لا يعني بأن المؤمنين والمؤمنات في أيام ما قبل الميلاد كانوا أقل إيماناً منا نحن الذين نعيش في أيام ما بعد الميلاد. ما أعنيه هو أننا إذ نعيش بعد نحو ألفي سنة من أيام السيد المسيح، لدينا كمال الوحي الإلهي في أسفار الإنجيل أو العهد الجديد ونعلم بأن مصير الإنسان ليس الاندثار والاضمحلال بل هناك قيامة، قيامة سعيدة للمؤمنين والمؤمنات وقيامة رهيبة للذين لم يتصلحوا مع الله.

تابع أيوب رثاء حياته قائلاً في القسم الثاني من الفصل السابع:

7]أَذْكُرُ أَنَّ حَيَاتِي إِنَّمَا هِيَ رِيحٌ وَعَيْنِي لَا تَعُودُ تَرَى خَيْرًا. ٨ لَا تَرَانِي عَيْنٌ نَاطِرِي. عَيْنَاكَ عَلَيَّ وَلَسْتُ أَنَا! ٩ السَّحَابُ يَضْمَلُ وَيَزُولُ. هَكَذَا الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى الْهَالِيَةِ لَا يَصْعَدُ. ١٠ لَا يَرْجِعُ بَعْدُ إِلَى بَيْتِهِ وَلَا يَعْرِفُهُ مَكَانُهُ بَعْدُ. ١١ أَنَا أَيْضًا لَا أَمْنَعُ فَمِي. أَتَكَلَّمُ بِضَيْقِ رُوحِي. أَشْكُو بِمَرَارَةِ نَفْسِي. ١٢ أَبْحَرُ أَنَا أَمْ تَتَيْنُنِي حَتَّى جَعَلْتَ عَلَيَّ حَارِسًا؟ ١٣ إِنَّ قُلْتُ: فِرَاشِي يُعْزِيْنِي مَضْجَعِي يَنْزِعُ كُرْبَتِي ١٤ أَثْرِيْعُنِي بِالْأَحْلَامِ وَتُرْهِبُنِي بِرُؤْيَى ١٥ فَأَخْتَارْتُ نَفْسِي الْخَنَقَ وَالْمَوْتَ عَلَى عِظَامِي هَذِهِ. ١٦ أَقَدْ ذُبْتُ. لَا إِلَى الْأَبَدِ أَحْيَا. كُفَّ عَنِّي لِأَنَّ أَيَّامِي نَفْخَةٌ! ١٧ مَا هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَعْتَبِرَهُ وَحَتَّى تَضَعَ عَلَيْهِ قَلْبَكَ ١٨ وَتَتَعَهَّدَهُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ تَمْتَحِنُهُ! ١٩ حَتَّى مَتَى لَا تَلْتَفِتُ عَنِّي وَلَا تُرْخِيْنِي رَيْنَمَا أَبْلُعُ رِيْقِي؟ ٢٠ أَلْأَخْطَأْتُ؟ مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ يَا رَقِيبَ النَّاسِ! لِمَاذَا جَعَلْتَنِي هَدَفًا لَكَ حَتَّى أَكُونَ عَلَى نَفْسِي حِمْلًا! ٢١ وَلِمَاذَا لَا تَغْفِرُ ذَنْبِي وَلَا تُزِيلُ إِثْمِي لِأَنِّي الْآنَ أَضْطَجِعُ فِي التُّرَابِ؟ تَطْلُبْنِي فَلَا أَكُونُ!].

مستمعي الكرام. ليست هذه الكلمات التي اقتبسناها كلمات إنسان غير مؤمن بالله. مشكلة أيوب هي أنه مع إيمانه بالقدِير اختبر مصائباً قلماً حَلَّتْ ببشري. وإذ لم يكن ضوء الحي الكامل قد سطع في أيامه بخصوص القيامة عبّر عن أفكاره السوداء قائلاً: السحاب يضمحلّ ويزول، هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد، لا يرجع إلى بيته، ولا يعرفه مكانه بعد.

قد نتعجب من هذه الكلمات التي تفوّه بها أيوب قائلين: كيف تجرّأ على قول ذلك في حضرة الله؟ والجواب هو: لقد سمح الله له بأن يتكلم على تلك الطريقة لأن الله مهتم بنا نحن البشر ولا يعاملنا وكأننا أعداؤه بل يطلب خيراً الزماني والأبدى. وكما ذكرت في أكثر من مناسبة لقد حفظت لنا هذه كلمات أيوب في سفر أو في كتاب مقدّس لنعلم أنه يجوز لنا أن نسأل ونتساءل بخصوص مشكلات الحياة ونوائبها بشرط أن نبقي على منصة الإيمان وننتظر من الله، لا من فلسفات البشر وآرائهم الواهية، العون والنجاة!

وإذ نعيش نحن في أيام اكتمال الوحي الإلهي ونظراً لأننا نتمتع بالنور الوضاح الذي شخّ على عالمنا بمجيء المسيح يسوع إلى دنيانا وتتميمه للعمل الخلاصي الذي أنيط به وذلك بواسطة آلامه وموته وقيامته، فإننا ننظر إلى التعليم المتكامل بخصوص مسيرتنا في هذه الدنيا، ذلك التعليم الكائن على صفحات العهد الجديد، أي كتب الوحي التي أعطانا إياها الله في القرن الأول الميلادي. كتب الرسول بولس في القسم الأخير من رسالته الأولى إلى جماعة الإيمان في كورنثوس قائلاً:

٢٠ وَلَكِنْ الْآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ. ٢١ فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ. ٢٢ لِأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. ٢٣ وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ. الْمَسِيحُ بَاكُورَةُ ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَحِيئِهِ.

٢٤ وَبَعْدَ ذَلِكَ النَّهَائِيَّةُ مَتَى سَلَّمَ الْمَلِكُ لِلَّهِ الْآبِ مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَّاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ.
٢٥ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الْأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. ٢٦ آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ...

٣٥ لَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: «كَيْفَ يُقَامُ الْأَمْوَاتُ وَبِأَيِّ جِسْمٍ يَأْتُونَ؟» ٣٦ يَا غَبِيٍّ! الَّذِي تَزْرَعُهُ لَا يُحْيَا إِنْ لَمْ يَمُتْ. ٣٧ وَالَّذِي تَزْرَعُهُ لَسْتَ تَزْرَعُ الْجِسْمَ الَّذِي سَوْفَ يَصِيرُ بَلْ حَبَّةٌ مُجَرَّدَةٌ رُبَّمَا مِنْ حِنْطَةٍ أَوْ أَحَدِ الْبَوَاقِي. ٣٨ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهَا جِسْماً كَمَا أَرَادَ...

٤٢ هَكَذَا أَيْضاً قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمٍ فَسَادٍ. ٤٣ يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ...

ونظراً للقيامة السعيدة التي تنتظر المؤمنين والمؤمنات بالمسيح يسوع قال الرسول بولس: ٥٧ وَلَكِنْ شُكْراً لِلَّهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْعَلْبَةَ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. ٥٨ إِذَا يَا إِخْوَتِي الْأَحِبَّاءَ كُونُوا رَاسِخِينَ غَيْرَ مُتَزَعِّزِينَ مُكْثَرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلِّ حِينٍ عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ. آمين.

ما هو الإنسان؟ ٢

نظراً لأن بعض مستمعينا الكرام لم يسمعوا هذه البرامج من أولها فإنني أعيد ذكر بعض الأمور الهامة المختصة بأيوب الصديق. عاش هذا الرجل في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية وكان الله قد أنعم عليه بثروة طائلة ومنحه سبعة بنين وثلاث بنات. ادعى الشيطان بأن تقوى أيوب كانت تعود إلى هذه النعم والبركات الزمنية التي نالها من الله وأن أيوب كان سيحود عن الإيمان فيما لو خسر هذه البركات. سمح الله للشيطان بأن يسلب أيوب ثروته وبنيه وبناته فلم يحد أيوب عن طريق الإيمان. وأخيراً ضرب الشيطان أيوب بمرض عضال يشبه البرص.

جاء رفاق أيوب لتعزيته ولكنهم ما لبثوا أن انقلبوا عليه مدّعين بأن أيوب كان مستحقاً لجميع تلك الضربات التي حلت به. لم يقبل أيوب تعليل رفاقه لحالته الصعبة واستمر في تساؤلاته عن سبب كل الضربات التي حلت به. قال في فاتحة الفصل السابع: ١ [أَلَيْسَتْ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ جِهَاداً عَلَى الْأَرْضِ وَكَايَامِ الْأَجِيرِ أَيَّامُهُ؟ ٢ كَمَا يَتَشَوَّقُ الْعَبْدُ إِلَى الظِّلِّ وَكَمَا يَتَرَجَّى الْأَجِيرُ أَجْرَتَهُ ٣ هَكَذَا تَعَيَّنَ لِي أَشْهُرُ سُوءٍ وَلَيَالِي شَقَاءٍ قُسِمَتْ لِي. ٤ إِذَا اضْطَجَعْتُ أَقُولُ مَتَى أَقُومُ. اللَّيْلُ يَطُولُ وَأَشْبَعُ قَلْقاً حَتَّى الصُّبْحِ. هَلَيْسَ لَحْمِي الدُّودُ مَعَ الطِّينِ. جُلْدِي تَشَقَّقُ وَتَقْيَحُ. ٦ أَيَّامِي أَسْرَعُ مِنَ الْمَكُوكِ وَتَنْتَهِي بِغَيْرِ رَجَاءٍ. كانت حياة أيوب قبل انهمار الصائب على رأسه، كانت حياة سعيدة رגיذة رافقتها نوع من الروتين الجميلة. أما الآن وقد اكفهر جو حياته وانهمرت عليه النوائب بشكل فجائي، صار ينظر إلى حياته من وجهة نظر الفقراء والمعدومين الذين يكافحون من أجل كسب قوتهم اليومي وهم لا يدرون ماذا يخبئ لهم الغد من مصاعب وأتراح. حياة الإنسان حياة جهاد مستمر وكان قد تعين له أشهر سوء وليالي شقاء. ونظراً للآلام المبرحة التي كانت تصاحب مرض أيوب كان يترجى بأن يجلب له الليل الراحة، ولكن النوم كان يهرب منه فصار ليله طويلاً مشبعاً بالقلق، فانتظر الصبح لعلّه يجد فيها الخلاص. فما لبث أمله بأن يذهب أدراج الرياح. لأنه ما أن بزغ نور الصباح وأخذ يتأمل في جسده حتى هاله ما كان يشاهده! أيامه كانت مسرعة بخطى وبئدة نحو الموت والاضمحلال.

وهنا نذكر أنه في أيام الوحي الأولى أي في أيام ما قبل الميلاد، لم يكن الله قد أعلن بعد وبصورة واضحة وجلية حقيقة القيامة التي تنتظر كل بشري في اليوم الأخير. علينا أن نأخذ هذه الحقيقة المستقاة من أسفار العهد القديم لنفهم فقدان الإشارة إلى عقيدة القيامة من بين الأموات.

هذا لا يعني بأن المؤمنين والمؤمنات في أيام ما قبل الميلاد كانوا أقل إيماناً منا نحن الذين نعيش في أيام ما بعد الميلاد. ما أعنيه هو أننا إذ نعيش بعد نحو ألفي سنة من أيام

السيد المسيح، لدينا كمال الوحي الإلهي في أسفار الإنجيل أو العهد الجديد ونعلم بأن مصير الإنسان ليس الاندثار والاضمحلال بل هناك قيامة، قيامة سعيدة للمؤمنين والمؤمنات وقيامة رهيبة للذين لم يتصلحوا مع الله.

تابع أيوب رثاء حياته قائلاً في القسم الثاني من الفصل السابع:

7]أَذْكُرُ أَنَّ حَيَاتِي إِنَّمَا هِيَ رِيحٌ وَعَيْنِي لَا تَعُودُ تَرَى خَيْرًا. ٨لَا تَرَانِي عَيْنُ نَاطِرِي. عَيْنَاكَ عَلَيَّ وَلَسْتُ أَنَا! ٩السَّحَابُ يَضْمَحِلُّ وَيَزُولُ. هَكَذَا الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى الْهَاوِيَةِ لَا يَصْعَدُ. ١٠لَا يَرْجِعُ بَعْدُ إِلَى بَيْتِهِ وَلَا يَعْرِفُهُ مَكَانُهُ بَعْدُ. ١١أَنَا أَيْضًا لَا أَمْنَعُ فَمِي. أَتَكَلَّمُ بِضَيْقِ رُوحِي. أَشْكُو بِمَرَارَةِ نَفْسِي. ١٢أَبْحَرُ أَنَا أَمْ تَتَيْنُنِي حَتَّى جَعَلْتَ عَلَيَّ حَارِسًا؟ ١٣إِنْ قُلْتُ: فِرَاشِي يُعْزِزِينِي مَضْجَعِي يَنْزِعُ كُرْبَتِي ١٤أُثْرِيعُنِي بِالْأَحْلَامِ وَتُرْهِبُنِي بِرُؤْيَى ١٥فَاخْتَارْتُ نَفْسِي الْخَنَقَ وَالْمَوْتَ عَلَى عِظَامِي هَذِهِ. ١٦أَقَدْ ذُبْتُ. لَا إِلَى الْأَبَدِ أَحْيَا. كُفَّ عَنِّي لِأَنَّ أَيَّامِي نَفْخَةٌ! ١٧مَا هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَعْتَبِرَهُ وَحَتَّى تَضَعَ عَلَيْهِ قَلْبَكَ ١٨وَتَتَعَهَّدَهُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ تَمْتَحِنُهُ! ١٩حَتَّى مَتَى لَا تَلْتَفِتَ عَنِّي وَلَا تُرْخِنِي رِيثَمَا أَبْلُعُ رِيقِي؟ ٢٠أَأَخْطَأْتُ؟ مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ يَا رَقِيبَ النَّاسِ! لِمَاذَا جَعَلْتَنِي هَدَفًا لَكَ حَتَّى أَكُونَ عَلَى نَفْسِي حِمْلًا! ٢١وَلِمَاذَا لَا تَغْفِرُ ذَنْبِي وَلَا تُزِيلُ إِثْمِي لِأَنِّي الْآنَ أَضْطَجِعُ فِي التُّرَابِ؟ تَطْلُبْنِي فَلَا أَكُونُ!].

مستمعي الكرام. ليست هذه الكلمات التي اقتبسناها كلمات إنسان غير مؤمن بالله. مشكلة أيوب هي أنه مع إيمانه بالقدير ومسيرته الإيمانية التي كانت معروفة لدى الناس، اختبر نوائب ومصائب قلما حلت ببشري. أحسَّ بمحدودية الحياة البشرية وقلة أيامها. أقرَّ أيوب بأنه كان متكلاً كل الاتكال على الله باريه والمعتني به. ولكنه لم يفهم، لم يفقه لماذا استمرت الأهوال تنقض عليه بدون رحمة أو شفقة في عالم يهيمن عليه الله. وكما ذكرنا منذ لحظات لم يكن ضوء الوحي الكامل قد سطع في أيامه بخصوص القيامة ولذلك عبّر عن أفكاره السوداء قائلاً: السحاب يضمحلّ ويزول، هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد، لا يرجع إلى بيته ولا يعرفه مكان بعد. كان أيوب يتوق إلى انتهاء محنته لكي يتذوق أيام الراحة والطمأنينة قبل انتقاله من هذه الديار الفانية. لكن جو حياته كان لا يزال مكفهرًا ولم يكن هناك بصيص نور واحد يلهمه بأن أيام العذابات كانت على وشك بأن تنتهي. لم يجد راحة في فراشه ولا في نومه، إذ كانت تقلقه أحلام مخيفة. فانفجرت من فمه هذه الكلمات: قد ذبت، لا إلى الأبد أحياناً! فتوجّه متألماً ومحتاراً إلى ربه قائلاً: حتى متى لا تلتفت عني، ولا ترخيني ريثما أبلع ريقِي؟ أخطأت؟ ماذا أفعل لك يا رقيب الناس؟

قد نتعجب من هذه الكلمات التي تفوّه بها أيوب قائلين: كيف تجرّأ على قول ذلك في حضرة الله؟ والجواب هو: لقد سمح الله له بأن يتكلّم على تلك الطريقة لأن الله مهتم بنا نحن البشر ولا يعاملنا وكأننا أعداؤه بل يطلب خيرنا الزمني والأبدي. وكما ذكرت في أكثر

من مناسبة لقد حفظت لنا هذه كلمات أيوب في سفر أو كتاب مقدس لنعلم أنه يجوز لنا أن نسأل ونتساءل بخصوص مشكلات الحياة ونوائبها بشرط أن نبقي على منصة الإيمان وننتظر من الله، لا من فلسفات البشر وآرائهم الواهية، العون والنجاة!

وإذ نعيش نحن في أيام اكتمال الوحي الإلهي ونظراً لأننا نتمتع بالنور الوضاح الذي شِعَّ على عالمنا بمجيء المسيح يسوع إلى دنيانا وتتميمه للعمل الخلاصي الذي أنيط به وذلك بواسطة آلامه وموته وقيامته، فإننا ننظر إلى التعليم المتكامل بخصوص مسيرتنا في هذه الدنيا، ذلك التعليم الكائن على صفحات العهد الجديد، أي كتب الوحي التي أعطانا إياها الله في القرن الأول الميلادي. كتب الرسول بولس في القسم الأخير من رسالته الأولى إلى جماعة الإيمان في كورنثوس قائلاً:

٢٠ وَلَكِنْ الْآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ. ٢١ فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ بِإِنْسَانٍ أَيْضاً قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ. ٢٢ لِأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. ٢٣ وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ. الْمَسِيحُ بَاكُورَةُ ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ. ٢٤ وَبَعْدَ ذَلِكَ النَّهَايَةُ مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكُ لِلَّهِ الْآبِ مَتَى أُنْطَلَ كُلُّ رِيَاسَةٍ وَكُلُّ سُلْطَانٍ وَكُلُّ قُوَّةٍ. ٢٥ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الْأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. ٢٦ آخِرُ عَدُوٍّ يُنْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ...

٣٥ لَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: «كَيْفَ يَقَامُ الْأَمْوَاتُ وَبِأَيِّ جِسْمٍ يَأْتُونَ؟» ٣٦ يَا غَبِي! الَّذِي تَزْرَعُهُ لَا يُحْيَا إِنْ لَمْ يَمُتْ. ٣٧ وَالَّذِي تَزْرَعُهُ لَسْتَ تَزْرَعُ الْجِسْمَ الَّذِي سَوْفَ يَصِيرُ بَلْ حَبَّةٌ مُجَرَّدَةٌ رُبَّمَا مِنْ حِنْطَةٍ أَوْ أَحَدِ الْبَوَاقِي. ٣٨ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهَا جِسْماً كَمَا أَرَادَ...

٤٢ هَكَذَا أَيْضاً قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. ٤٣ يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ...

ونظراً للقيامة السعيدة التي تنتظر المؤمنين والمؤمنات بالمسيح يسوع قال الرسول بولس: ٥٧ وَلَكِنْ شُكْراً لِلَّهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْعُلْبَةَ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. ٥٨ إِذَا يَا إِخْوَتِي الْأَحِبَّاءَ كُونُوا رَاسِخِينَ غَيْرَ مُتَرَعِّزِينَ مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلِّ حِينٍ عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ. آمين.

ما هو السبب؟ ١

النص الكتابي: أيوب ٨

عندما تنهمر المتاعب على الإنسان وصار ينوء تحت حملها يجابه تواء موضوعين رئيسيين:

١: كيفية مجابهة هذه المصاعب والتغلب عليها أو تخطيطها للمثابرة على مسيرته الحياتية. هذا أمر هام لا يستطيع المعدب أن يتركه ليوم آخر. وفيما هو يعمل جهده للوصول إلى حل معقول يكون مفكراً في نفس الوقت بموضوع آخر ليس أقل أهمية من الموضوع الأول وهو:

٢: ما هو السبب الذي يكمن وراء كل ما صار وحدث له؟ وبكلمة أخرى لماذا حلت به هذه النوائب؟ وإن كان هذا الإنسان مؤمناً بالله وسائراً على طريقه المستقيم تكبر مشكلته لأنه إذ ذاك لا يستطيع أن يفهم كيف سمح الله القدير سمح لهذه الأمور المحزنة بأن تنقض على خائفه انقضا الصاعقة؟

وليست هذه أسئلة نظرية بل تنبعث من معترك الحياة اليومية التي يحياها خائفو الله والسائرون على طريقه القويم. وكما ذكرت في عظة سابقة، تردني رسائل من مستمعينا الأعزاء يشاركون فيها بمشكلاتهم الحياتية الحادة. عبؤهم ثقيل وهم يعملون للتخلص منه ويتوقون من قرارة قلوبهم للوصول إلى فهم سبب متاعبهم ومصاعبهم.

ونظراً لأهمية هذه الموضوع أعطانا الله كتاباً مقدساً ضمن أسفار العهد القديم حيث تبحث فيه مشكلة العذابات والآلام التي تحل ببني البشر. وهذا هو سفر أيوب الذي هو جزء من كتب الوحي التي أعطانا إياها الله في أيام ما قبل الميلاد. وكنا قد ابتدأنا منذ بضعة أسابيع في البحث في تعاليم هذا السفر راجين بأن تؤول هذه العظات لتقوية إيماننا ولتعزيتنا في هذه الأيام العصيبة التي نمرّ بها في أواخر القرن العشرين.

وبما أن بعض المستمعين الكرام لم يسمعوا هذه العظات من أولها نعود إلى ذكر بعض الأمور الهامة التي تعلّمناها من الفصول السبعة الأولى من سفر أيوب الصديق. عاش هذا الإنسان في أيام ما قبل الميلاد في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية وكان من أغنى رجال المشرق. وقد وهبه الله سبعة بنين وثلاث بنات وكانت حياته حياة رغيدة ولم يسمح لثروته بأن تصبح عائقاً بينه وبين ربه وإلهه بل كان يتعبد لله. وفي كل أسبوع كان يقدّم محرقات لله عن بنيته وبناته قائلاً: ربما أخطئ بنيّ وجدّفوا على الله في قلوبهم. هكذا كان يفعل أيوب كل الأيام.

لكن الشيطان عدو الله والإنسان ، كان واقفاً لأيوب بالمرصاد. مثل في أحد الأيام أمام عرش الله واشتكى على أيوب قائلاً: "هل مجاناً يتقي أيوب الله؟ أليس أنك سيّجتْ حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية؟ ولكن ابسط الآن يدك ومسّ كل ما له فإنه في وجهك يجذّف عليك."

سمح الله للشيطان بأن يسلب أيوب ماله وبنيه وبناته وفي النهاية سمح الله بأن يسلب الشرير صحة أيوب فصار هذا الأخير مصاباً بداء البرص. ومهما صار لأيوب فإنه لم ينكر الله ولم يتفوّه في بادئ الأمر بأية كلمة سلبية.

جاء أصحاب أيوب لتعزيته وكان لسان حالهم أن الإنسان يتعذّب في هذه الدنيا بمقدار الآثام والمعاصي والشرور التي كان قد ارتكبها. هذه كانت نقطة انطلاق تفكيرهم. وهكذا ما رأوا أيوب في حالته التعيسة حتى هالهم الأمر وجلسوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليال صامتين بدون أن يتفوّها بكلمة واحدة. وبعد أن تكلم أيوب عن مصيبيته وذكر عدم فهمه لكل ما صار له أخذ أصدقاؤه الثلاثة، أليفاز التيماني وبلدد الشوحي وصوفر النعماتي، أخذوا يوجهون إليه الانتقادات اللاذعة لأنهم، حسب منظورهم الحياتي، حكموا على أيوب مسبقاً مستنتجين بأنه كان مذنباً وإلا لما لحق به ما لحق ولما انهالت عليه الكوارث من كل حذب وصوب. طبعاً كان أيوب يجهل الدور الهام الذي لعبه الشيطان في مصائبه وكذلك تجاهل أصحاب أيوب الثلاثة استقامة أيوب وأكدوا بأن سبب عذاباتِه كان في أيوب نفسه. وبعد أن دافع أيوب عن نفسه في الفصل السابع جاء دور رفيقه بلدد فقال له مؤنباً:

٢]إِلَى مَتَى تَقُولُ هَذَا وَتَكُونُ أَفْوَالَكْ رِيحاً شَدِيدَةً! ٣ هَلِ اللَّهُ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ أَوِ الْقَدِيرُ يَعْكِسُ الْحَقَّ؟ ٤ إِذْ أَخْطَأَ إِلَيْهِ بَنُوكَ دَفَعَهُمْ إِلَى يَدِ مَعْصِيَتِهِمْ. ٥ فَإِنْ بَكَرْتَ أَنْتَ إِلَى اللَّهِ وَتَضَرَّعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ - ٦ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ زَكِيّاً مُسْتَقِيماً فَإِنَّهُ الْآنَ يَتَنَبَّهُ لَكَ وَيُسَلِّمُ مَسْكَنَ بَرِّكَ. ٧ وَإِنْ تَكُنْ أَوْ لَكَ صَغِيرَةٌ فَأَخِرْتُكَ تَكْثُرُ جِداً.

كان أصحاب أيوب يتألمون في المصائب التي ألمّت به ويعلّلونها على أساس إنها حدثت نظراً لعمل شرير خاص اقترفه أبناء أيوب. عدّوا جميع احتجاجات أيوب وكأنها مجرد كلمات فارغة، كريح شديدة ! كان منطق بلدد الشوحي يسير على هذا النمط: مات بنو وبنات أيوب ميتة مريضة، إذن لا بد أنهم كانوا خطاة، أثمة، فجار. ولكن أيوب كان يعلم علم الأكيد أن أبناءه وبناته لم يكونوا عصاة متمردين على شريعة الله. كان منطق بلدد ورفيقه منطقاً خاطئاً لأن الإنسان لا يعاقب دوماً في هذه الدنيا بصورة متناسبة مع أخطائه ومعاصيه. يتعذّب العديدون من الأبرياء بدون سبب يدرونه. هذا هو اختبار العديدين من أناس الله الأتقياء.

وناشد بلدد أيوب بأن يبتكر متضرراً إلى القدير ليبعد عنه جميع هذه الشرير التي أحاقت به لكن هذه النصيحة لم تكن في محلها لأن أيوب كان بالفعل يصلي إلى الله ويدعو باسمه ويقدم الذبائح بصورة مستمرة ومنتظمة. وبكلمة أخرى لم يكن بحاجة إلى نصيحة بلدد وكأنه لم يكن عابداً لله بصورة مستقيمة. لم يفكر أيوب بأنه كان بغنى عن تعزية أصحابه ولكنه لم يكن بحاجة إلى محاضرات طويلة وعريضة عن كيفية التقرب من الله ونيل رضاه.

تابع بلدد محاضراته ولم يكن موقفه من أيوب موقف الرفيق الذي يؤاسي رفيقه ويظهر تكاتفه معه في آلامه بل وجه محاضراته بصورة فوقية مشدداً بصورة مستمرة على منطقته الخاطي والملخص بأن المعذب لا بد أن يكون قد استحق ما وقع عليه من نوائب لأنه كان قد ارتكب معصية معينة. وجهة نظر بلدد كانت مبنية على أن تصفية الحسابات تتم بصورة جازمة في هذه الدنيا فقط! وهكذا استمر قائلاً لأيوب المعذب:

٨ [إِسْأَلِ الْقُرُونِ الْأُولَى وَتَأْكُذْ مَبَاحِثَ آبَائِهِمْ. ٩ لَأَتْنَا نَحْنُ مِنْ أُمَسٍ وَلَا نَعْلَمُ لَأَنَّ أَيَّامَنَا عَلَى الْأَرْضِ ظِلٌّ. ١٠ فَهَلَّا يُعْلَمُونَكَ. يَقُولُونَ لَكَ وَمِنْ قُلُوبِهِمْ يُخْرِجُونَ أَقْوَالَ قَائِلِينَ ١١ هَلْ يَنْمُو الْبَرْدِيُّ فِي غَيْرِ الْمُسْتَنْقَعِ أَوْ تَنْبُتُ الْحَلْفَاءُ بِلَا مَاءٍ؟ ١٢ وَهُوَ بَعْدُ فِي نَضَارَتِهِ لَمْ يُقَطَّعْ يَبْسُ قَبْلَ كُلِّ الْعُشْبِ. ١٣ هَكَذَا سُبُلُ كُلِّ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ وَرَجَاءُ الْفَاجِرِ يَخِيبُ ١٤ فَيَنْقَطِعُ اعْتِمَادُهُ وَمَتَّكَلُهُ يَبُتُّ الْعَنَكُوتِ! ١٥ يَسْتَنْدُ إِلَى بَيْتِهِ فَلَا يَنْبُتُ. يَتَمَسَّكُ بِهِ فَلَا يَقُومُ. ١٦ هُوَ رَطْبٌ تُجَاهَ الشَّمْسِ وَعَلَى جَنْبِهِ تَنْبُتُ أَغْصَانُهُ. ١٧ وَأَصُولُهُ مُشْتَبِكَةٌ فِي الرُّجْمَةِ فَتَرَى مَحَلَّ الْحَجَارَةِ. ١٨ إِنْ أَقْتَلَعَهُ مِنْ مَكَانِهِ يَجْعَدُهُ قَائِلًا: مَا رَأَيْتُكَ. ١٩ هَذَا هُوَ فَرْحُ طَرِيقِهِ وَمِنْ التُّرَابِ يَنْبُتُ آخَرُ.]

ثابر بلدد على مهاجمة أيوب مستعيناً بأسلوب أدبي منمق. فادعى بأنه غير ملمّ بأمور الحياة كما يجب ولذلك استشهد بحكمة القدماء طالباً

من أيوب أن يستجوب تلك الحكمة الموروثة عنهم ليرى من جديد أنه لا بد أن يكون هناك سببا معيناً لآلامه وعذابات له لقد استحقها أولاده لأنهم لا بد من أن يكونوا المعصية. ولم تكن لدى بلدد أية قرينة تثبت تلك الجريمة المزعومة. لننسى شهود عيان ولنؤكد صحة فلسفة أصحاب أيوب المعذب يستحق عذابه لأنه هونتيحة حنمية لمعصية اقترفها المعذب. هذا التفكير الذي كان يدور في حلقة مفرغة كان تفكيراً عميقاً إلا أن بلدد ورفيقه ردداه بصورة مستمرة. رجاء الفاجر يخيب. هذا أكيد , هذا صحيح , ولكن يا صاحبنا بلدد , لماذا قفرت من ذها القول الصائب إلى تأكيد بأن أولاد أيوب كانوا قد نسوا الله أو تناسوه في حياتهم؟ ألا تظن بأن الحياة الدنيا مكتنفة بأسرا وألغاز لا يستطيع العقل البشري سبر غورها؟ لما لا تقر بمحدوديتك وتشهد بأن الحكمة لله وحده فقط؟ وأنهى بلدد محاضراته

بكلام صحيح في جوهره ولكنه لم يكن منطبقا على حالة أيوب: [هُودَا اللَّهُ لَا يَرْفُضُ الْكَامِلَ وَلَا يَأْخُذُ بِيَدِ فَأَعْلِي الشَّرِّ. ٢١ عِنْدَمَا يَمْلَأُ فَمَكَ ضَحِكًا وَشَفَتَيْكَ هُتَافًا ٢٢ يَلْبِسُ مُبْغُضُوكَ خَزِيًّا. أَمَّا حَيِمَةُ الْأَشْرَارِ فَلَا تَكُونُ].

وهنا لا بد من تكرار ما ذكرناه منذ بدء هذه السلسلة الجديدة من العظات المبينة على سفر أيوب: كان أفق أيوب منحصرًا فيما كان الله قد أوحى به في تلك الأيام أي أن أمور الحياة الآتية لم تكن واضحة. ولذلك كان قديسو أيام ما قبل الميلاد أي أيام النظام القديم , كانوا يقفون حائرين تجاه معضلات الحياة الدنيا والمصائب التي تلم بالمؤمنين والمؤمنات. ناضل أيوب وغيره من رجال تلك الأيام ناضلوا نضالًا شديدًا ليحلوا مشكلة العذاب والآلام وحفظت لنا أقوالهم وثمار نضالهم الروحي ضمن الأسفار المقدسة. ونحن الذين من علينا الله أن نعيش في أيام ما بعد الميلاد , فإنه تعالى منحنا بأن نستفيد من الضوء الواضح الذي وفد عالمنا بمجيء المسيح يسوع إلى عالمنا لتنفيذ تدبيره أو برنامجه الخلاصي. قد تم ذلك في آلامه و موته

الكفاري وقيامته من بين الأموات. هذا ليعني أن وطأة المصائب في أيامنا هذه هي أقل من أيام أيوب الصديق ولكننا نعلم أولاً: أن المعذبين لم يكونوا قد استحقوا عقاباتهم بصورة أوتوملتيكية. كثيرًا يسمح الله للابرياء بأن يتألموا. وثانيًا يعد الله المؤمنين والمؤمنات بالخلاص التام في اليوم الأخير. وقد جاء هذا الوصف المعزي في آخر سفر من أسفار الوحي , في سفر رؤيا يوحنا:

١ ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لِأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لَا يَوْجَدُ فِي مَا بَعْدُ. ٢ وَأَنَا يُوْحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُهَيَّاةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. ٣ وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «هُودَا مَسْكُنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا. وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِيَّاهُمْ. ٤ وَسَيَمَسُخُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صَرَخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ». ٥ وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا». ٦ وَقَالَ لِي: «اكَتُبْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ». ٧ ثُمَّ قَالَ لِي: «قَدْ تَمَّ! أَنَا هُوَ الْأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ. أَنَا أُعْطِيَ الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا. ٨ مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلَهًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا. ٩ وَأَمَّا الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجْسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعِبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذِبَةِ فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبَحِيرَةِ الْمُتَقَدَّةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيَةٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي».

ما هو السبب؟ ٢

عاش أيوب هذا في أيام ما قبل الميلاد في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية وكان من أغنى رجال المشرق. وقد وهبه الله سبعة بنين وثلاث بنات وكانت حياته حياة رغبة ولم يسمح لثروته بأن تصبح عائقاً بينه وبين ربه والله بل كان يتعبد لله. وفي كل أسبوع كان يقدم محرقات لله عن بنيهِ وبناته قائلاً: ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله في قلوبهم. هكذا كان يفعل أيوب كل الأيام.

سمح الله للشيطان بأن يسلب أيوب ماله وبنيه وبناته وصحته فأصيب أيوب بداء البرص. لكنه لم ينكر الله ولم يتفوه في بادئ الأمر بأية كلمة سلبية.

جاء أصحاب أيوب لتعزيته وكان لسان حالهم أن الإنسان يتعذب بمقدار الآثام والمعاصي والشرور التي كان قد ارتكبها. هذه كانت نقطة انطلاق تفكيرهم. وهكذا ما رأوا أيوب في حالته التعيسة حتى هالهم الأمر "وجلسوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليالٍ" صامتين بدون أن يتفوهوا بكلمة واحدة. وبعد أن تكلم أيوب عن مصيبتِهِ أخذ أصدقاؤه الثلاثة , أليفاز التيماني وبلدد الشوحي وصوفر النعماتي , أخذوا يوجهون إليه الانتقادات اللاذعة لأنهم , حكموا على أيوب مسبقاً بأنه كان مذنباً وإلا لما لحق به ما لحق. وبعد أن دافع أيوب عن نفسه في الفصل السابع جاء دور رفيقه بلدد فقال له مؤنباً:

٢]إِلَى مَتَى تَقُولُ هَذَا وَتَكُونُ أَقْوَالُكَ رِيحاً شَدِيدَةً! ٣ هَلِ اللَّهُ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ أَوِ الْقَدِيرُ يَعْكِسُ الْحَقَّ؟ ٤ إِذْ أَخْطَأَ إِلَيْهِ بَنُوكَ دَفَعَهُمْ إِلَى يَدِ مَعْصِيَتِهِمْ. ٥ فَإِنْ بَكَرْتَ أَنْتَ إِلَى اللَّهِ وَتَضَرَّعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ - ٦ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ زَكِيّاً مُسْتَقِيماً فَإِنَّهُ الْآنَ يَتَنَبَّأُ لَكَ وَيُسَلِّمُ مَسْكَنَ بَرِّكَ. ٧ وَإِنْ تَكُنْ أَوْ لَكَ صَغِيرَةٌ فَأَخِرْتُكَ تَكْثُرُ جِداً.

كان منطق بلدد الوحشي يسير على هذا النمط: مات بنو وبنات أيوب ميتة مريعة، اذا لابد أنهم كانوا خطاة، أثمة، فجار. ولكن أيوب كان يعلم علم اليقين أن أبناءه وبناته ام يكونوا عصاة متمردين على شريعة الله.

كان منطق بلدد ورفيقيه منطقاً خاطئاً لأن الإنسان لا يعاقب دوماً بصورة متناسبة مع أخطائه ومعاصيه. يتعذب العديدون من الأبرياء بدون سبب يدرونه. هذا هو اختبار العديدين من أناس الله الأتقياء.

وناشد بلدد أيوب بأن يبكر متضرعاً إلى القدير ليبعد عنه جميع هذه الشرير التي أحاقَت به ولكن هذه النصيحة لم تكن في محلها لأن أيوب كان بالفعل يصلي إلى الله ويدعوا باسمه ويقدم الذبائح بصورة مستمرة ومنظمة. لم يكن بحاجة إلى نصيحة بلدد

زكائه لم يكن عابداً لله بصورة مستقيمة. لم يكن أيوب ببساطة إلى محاضرات عن كيفية التقرب من الله ونيل رضاه.

تابع بلدد محاضراته قائلاً لأيوب المعذب:

٨ [إِسْأَلِ الْقُرُونِ الْأُولَى وَتَأْكُذْ مَبَاجِثَ آبَائِهِمْ. ٩ لِأَنَّنَا نَحْنُ مِنْ أَمْسٍ وَلَا نَعْلَمُ لَأَنَّ أَيَّامَنَا عَلَى الْأَرْضِ ظِلٌّ. ١٠ فَهَلْ يُعْلَمُونَكَ. يَقُولُونَ لَكَ وَمِنْ قُلُوبِهِمْ يُخْرِجُونَ أَقْوَالاً قَائِلِينَ ١١ هَلْ يَنْمُو الْبَرْدِيُّ فِي غَيْرِ الْمُسْتَنْقَعِ أَوْ تَنْبُثُ الْحَلَفَاءُ بِلَا مَاءٍ؟ ١٢ وَهُوَ بَعْدُ فِي نَضَارَتِهِ لَمْ يُقْطَعْ يَبْسُ قَبْلَ كُلِّ الْعُشْبِ. ١٣ هَكَذَا سُبُلُ كُلِّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَرَجَاءُ الْفَاجِرِ يَخِيبُ ١٤ فَيَنْقَطِعُ اعْتِمَادُهُ وَمُتَّكَلُهُ يَبِثُ الْعَنَكُوتِ! ١٥ ايسْتَنْدُ إِلَى بَيْتِهِ فَلَا يَنْبُثُ. يَتَمَسَّكُ بِهِ فَلَا يَقُومُ. ١٦ هُوَ رَطْبٌ نَجَاهُ الشَّمْسِ وَعَلَى جَنْبِهِ تَنْبُثُ أَغْصَانُهُ. ١٧ وَأَصُولُهُ مُشْتَبِكَةٌ فِي الرُّجْمَةِ فَتَرَى مَحَلَّ الْحَجَارَةِ. ١٨ إِنْ اقْتَلَعَهُ مِنْ مَكَانِهِ يَجِدْهُ قَائِلًا: مَا رَأَيْتَكَ. ١٩ هَذَا هُوَ فَرَحُ طَرِيقِهِ وَمِنْ التُّرَابِ يَنْبُثُ آخَرُ.]

ثابر بلدد على مهاجمة أيوب مستعينا بأسلوب أدبي منمق. فادعى بأنه غير ملم بأمور الحياة كما يجب ولذلك استشهد بحكمة القدماء:

المعذب يستحق عذابه لأنه هو نتيجة حتمية لمعصية اقترفها المعذب. هذا التفكير الذي كان يدور في حلقة مفرغة كان تفكيراً عميقاً إلا أن بلدد ورفيقه ردداه بصورة مستمرة. رجاء الفاجر يخيب. هذا أكيد , هذا صحيح , ولكن يا صاحبنا بلدد , لماذا قفرت من ذها القول الصائب إلى تأكيد بأن أولاد أيوب كانوا قد نسوا الله أو تناسوه في حياتهم؟ ألا تظن بأن الحياة الدنيا مكتنفة بأسرا وألغاز لا يستطيع العقل البشري سبر غورها؟ لما لا تقر بمحدوديتك وتشهد بأن الحكمة لله وحده فقط؟ وأنهى بلدد محاضراته بكلام صحيح في جوهره ولكنه لم يكن منطبقاً على حالة أيوب: [هُوَذَا اللَّهُ لَا يَرْفُضُ الْكَامِلَ وَلَا يَأْخُذُ بِيَدِ فَاعِلِي الشَّرِّ. ٢١ عِنْدَمَا يَمْلَأُ فَمَكَ ضَحِكاً وَشَفَقَتِكَ هُتَافاً ٢٢ يَلْبِسُ مُبْغِضُوكَ خِزياً. أَمَّا خِيَمَةُ الْأَشْرَارِ فَلَا تَكُونُ.]

وهنا لا بد من تكرار ما ذكرناه منذ بدء هذه السلسلة الجديدة من العظات المبينة على سفر أيوب: كان أفق أيوب منحصرًا فيما كان الله قد أوحى به في تلك الأيام أي أن أمور الحياة الآتية لم تكن واضحة. ولذلك كان قديسو أيام ما قبل الميلاد أي أيام النظام القديم , كانوا يقفون حائرين تجاه معضلات الحياة الدنيا والمصائب التي تلم بالمؤمنين والمؤمنات. ناضل أيوب وغيره من رجال تلك الأيام ناضلوا نضالاً شديداً ليحلوا مشكلة العذاب والآلام وحفظت لنا أقوالهم وثمار نضالهم الروحي ضمن الأسفار المقدسة. ونحن الذين من علينا الله أن نعيش في أيام ما بعد الميلاد , فانه تعالى منحنا بأن نستفيد من الضوء الوضاح

الذي وفد عالمنا بمجيء المسيح يسوع إلى عالمنا لتنفيذ تدبيره أو برنامجه الخلاصي. قد تم ذلك في آلامه و موته

الكفاري وقيامته من بين الاموات. هذا ليعني أن وطأة المصائب في أيامنا هذه هي أقل من أيام أيوب الصديق ولكننا نعلم أولاً: أن المعذبين لم يكونوا قد استحقوا عقاباتهم بصورة أوتوملتيكية. كثيراً يسمح الله للابرياء بأن يتألموا. وثانياً يعد الله المؤمنين والمؤمنات بالخلاص التام في اليوم الأخير. وقد جاء هذا الوصف المعزي في آخر سفر من أسفار الوحي، في سفر رؤيا يوحنا:

١ ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءَ جَدِيدَةٍ وَأَرْضاً جَدِيدَةً، لِأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لَا يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. ٢ وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُهَيَّأَةً كَعَرْوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. ٣ وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْباً. وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهاً لَهُمْ. ٤ وَسَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ». ٥ وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيداً». وَقَالَ لِي: «اكَتُبْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَآمِينَةٌ». ٦ ثُمَّ قَالَ لِي: «قَدْ تَمَّ! أَنَا هُوَ الْأَلْفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ. أَنَا أُعْطِيَ الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّاناً. ٧ مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلَهاً وَهُوَ يَكُونُ لِي ابناً. ٨ وَأَمَّا الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجْسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعِبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذَّابَةِ فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَقَدَّةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيَةٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي».

آمين.

كيف يتبرر الإنسان عند الله؟ ١

النص الكتابي: أيوب ٩

عندما تلقى نظرة خاطفة على القرن العشرين نلاحظ تَوّاً ظاهرة قوية جداً تميزه عن القرون الماضية ألا وهي انتشار نظرات حياتية أو إيديولوجيات دهرية. وما أعنيه بكلمة دهرية هو ذلك المنظور الحياتي الذي يعطي دنيانا هذه الأهمية الكلية وكأنه ليس وجود لله ولا للعالم غير المنظور. وقد سيطرة هذه الفلسفات الحياتية على عقول وقلوب الملايين من الناس إلى أن ظهر إفلاسها المدقع في أوائل التسعينيات عندما لفظت أنفاسها في بقاع مختلفة من عالمنا. والإنسان مهما غرق في بحر المادية يبقى مخلوقاً صنعه الله على صورته وشبهه كما ورد في توراة موسى وهو لن يعرف السلام الحقيقي إلا متى عاد إلى ربه معترفاً ببرنامجه الخلاصي.

ومن جراء انتشار الدهرية وخاصة في العالم الفكري وفي المؤلفات المتعددة التي ظهرت في أنحاء عديدة من دنيانا قل التفكير السليم بخصوص الله وتظاهر إنسان اليوم وكأنه سيد حياته المنطق. وما أكثر العبارات التي يتلفظ بها البعض وهم يظهرون ازدراءهم بكل ما له علاقة بأمور الغيب أي بأمور ما فوق الطبيعة! وعندما يواجه الناس مشكلات ذات أبعاد هائلة كانتشار وباء الإيدز أو السيد أي مرض نقص المناعة المكتسب، لا يفكر العقل لدهرية بالشرعية الألهية التي تحرّم الخطايا الجنسية وتأمّر بالطهارة والعفة. كل ما نسمعهم دعاة مكافحة هذا الطاعون المعاصر هو ضرورة اتخاذ بعض الاحتياطات الوقائية أثناء ممارسة الجنس المحرم !

ولكننا ما أن نعود إلى الأخذ بأهمية النظرة الحياتية الإيمانية تواجهنا صعوبات عقائدية وعملية عديدة. فعندما نقر بالله وبسيطرته على جميع مقدرات العالم، نجابه معضلة الشر والآلام التي تقض مضجع البشرية منذ فجر التاريخ. كيف يمكننا أن نفهم وجود هذه الأمور المحزنة في عالم خلقه الله القدوس؟ وتزداد حدة مشكلتنا عندما تنقض النوائب والكوارث على خائفي الله والمتعبدين له. ونحن نبحت في هذا الموضوع الهام لا من وجهة نظر فلسفة بشرية معينة بل بناء على تعاليم الوحي الإلهي. وهكذا نعود إلى دراستنا لسفر أيوب الصديق. عاش هذا الرجل الشهم في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية قبل مئات السنين من أيام المسيح. وكان الله قد منّ عليه بالخيرات العديدة ووهبه سبعة بنين وثلاث بنات.

ادعى الشيطان بأن أيوب كان يتقي الله نظراً للخيرات الزمنية التي استلمها من ربه. فظهر أمام عرش الله قائلاً: هل مجاناً يتقى أيوب الله؟ أليس انك سيجت حوله وحول بيته

وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية. باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه في الأرض. ولكن أبسط الآن ومس كل ما لديه فانه يجدف عليك.

سمح الله للشيطان بأن يسلب أيوب ثروته وبنيه وبناته وكذلك صحته إذ ضرب الشيطان أيوب بمرض خبيث يشبه داء البرص. جاء أصحاب أيوب من أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية لمواساته وتعزيتة ولمنهم ما لبثوا أن انقلبوا عليه وصاروا ينتقدونه انتقادا مرا. وكان رأيهم أن الإنسان المعذب لا بد أن يكون قد استحق ما صار له وما عليه إلا أن يتوب عن غيئه طالبا الرحمة من الله. لم يقبل أيوب هذا التحليل التبسيطي لمشكلة الآلام والعذابات بل ثابر على شهادته بأنه لم يعمل أي شيء خاص لتنهمر عليه هذه الويلات. وكانت مشكلة أيوب العقائدية هي أن أصحابه الثلاثة تكلموا بأنصاف الحقائق لا بالحقيقة بأسرها نظرا لأنهم كانوا يتكلمون على اجتهدا تهم الخاصة لا على الوحي الإلهي الذي ينجي الإنسان من التفكير الخاطئ.

ومما قاله أيوب في الفصل التاسع من سفره وأجابه على وعظ بلدد الوحشي:

٢[صَحِيحٌ. قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَذَا. فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ؟ ٣إِنْ شَاءَ أَنْ يُحَاجَّهُ لَا يُجِيبُهُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَلْفٍ. ٤هُوَ حَكِيمُ الْقَلْبِ وَشَدِيدُ الْقُوَّةِ. مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلِمَ؟ ٥الْمُرْخَزُ الْجِبَالِ وَلَا تَعْلَمُ. الَّذِي يَقْلِبُهَا فِي غَضَبِهِ ٦الْمُرْعَزُ الْأَرْضِ مِنْ مَقَرِّهَا فَتَنْتَزِلُ أَعْمَدَتُهَا ٧الْأَمْرُ الشَّمْسِ فَلَا تُشْرِقُ وَيَخْتِمُ عَلَى النُّجُومِ. ٨الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحَدَهُ وَالْمَاشِي عَلَى أَعَالِي الْبَحْرِ. ٩صَانِعُ النَّعْشِ وَالْجَبَّارِ وَالثَّرِيَّ وَمَخَادِعِ الْجُنُوبِ. ١٠فَاعِلُ عَظَائِمَ لَا تُفْحَصُ وَعَجَائِبَ لَا تُعَدُّ.

أقر أيوب الصديق بكلماته هذه، أقر بأن هناك هون شاسع بين الإنسان والله. فعندما يقف الإنسان أمام الله كيف يستطيع أن يتبرر أي أن يعد نفسه باراً وخالياً من كل خطيئة أو إثم أو معصية؟ والوصف الشعري الذي وهبنا إياه أيوب لقوة الله وجبروته وتعاليه على دنيانا هذه يعد من أروع ما كتب في تاريخ البشرية. ونحن أهل القسم الأخير من القرن العشرين، نحن الذين بهرنا من كثرة الاختراعات البشرية، علينا أن نتذكر أنه مهما تفنن الإنسان في مبتكراته إلا أنها كلا شيء بالنسبة لما قام به الله في عمل الخليفة وفي ما يقوم به في كل يوم بل في كل لحظة في اعتنائه بأمور هذا الكون الشاسع الذي يعج بالملايين من النجوم الهائلة الأحجام.

ولم يكتف أيوب بالكلام عن قوة الله الظاهرة في أرضنا وفيما يحيط بها من أفلاك وسيارات بل ذهب إلى الكلام عن موقف الإنسان المؤمن من الله باريه فقال:

١١] هُوَذَا يَمُرُّ عَلَيَّ وَلَا أَرَاهُ وَيَجْتَاوِرُ فَلَا أَشْعُرُ بِهِ. ١٢ إِذَا خَطَفَ فَمَنْ يَرُدُّهُ وَمَنْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟ ١٣ اللَّهُ لَا يَرُدُّ غَضَبَهُ. يَنْحَنِي تَحْتَهُ أَعْوَانُ رَهَبٍ. ١٤ أَكَمْ بِالْأَقَلِّ أَنَا أَجَابُهُ وَأَخْتَارُ كَلَامِي مَعَهُ. ١٥ الْإِنِّي وَإِنْ تَبَرَّرْتُ لَا أَجَابُ بَلْ أَسْتَرْجِمُ دِيَانِي. ١٦ لَوْ دَعَوْتُ فَاسْتَجَابَ لِي لَمَا آمَنْتُ بِأَنَّهُ سَمِعَ صَوْتِي. ١٧ ذَلِكَ الَّذِي يَسْحَقُنِي بِالْعَاصِفَةِ وَيُكْثِرُ جُرُوحِي بِلَا سَبَبٍ. ١٨ لَا يَدْعُنِي أَخَذُ نَفْسِي وَلَكِنْ يُشْبِعُنِي مَرَارٍ. ١٩ إِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ قُوَّةِ الْقَوِيِّ يَقُولُ: هَتَّنَذَا. وَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْقَضَاءِ يَقُولُ: مَنْ يُحَاكِمُنِي؟ ٢٠ إِنْ تَبَرَّرْتُ يَحْكُمُ عَلَيَّ فَمِي؟ وَإِنْ كُنْتُ كَامِلًا يَسْتَنْدِنُنِي.

شهد أيوب بكلماته هذه، شهد بأنه كان كل شيء عندما تأمل في قدرة الله وعظمته وحكمته التي لا يمكن للعقل البشري بأن يفهمها بصورة تامة. وبكلمة مختصرة: ما إن وقف أيوب أمام الله وتأمل في صفاته الكاملة حتى أقر واعترف بأنه لا يقدر أن يتجادل مع الله أو يطلب من القدير أن يقدم حساباً له على كل ما يجري ويتم في دنيانا هذه. لا يتبرر الإنسان أمام الله بناء على بره المزعوم. كان أيوب يشعر كل الشعور بأنه لم يكن كاملاً، لكنه في نفس الوقت لم يكن ملماً بأي شر أو معصية أو إثم كان قد ارتكبه لتنتهال عليه الويلات من كل حذب وصوب. فما إن انتهى من تأملاته في عظمة الله ومجده حتى نظر إلى نفسه وأخذ يندب أيامه المليئة بالأفراح فقال:

[كَامِلٌ أَنَا. لَا أَبَالِي بِنَفْسِي. رَذَلْتُ حَيَاتِي. ٢٢ هِيَ وَاحِدَةٌ. لِذَلِكَ قُلْتُ إِنَّ الْكَامِلَ ٢١ وَالشَّرِيرَ هُوَ يُفْنِيهِمَا. ٢٣ إِذَا قَتَلَ السَّوْطُ بَعْتَهُ يَسْتَهْزِئُ بِتَجَرِبَةِ الْأَبْرِيَاءِ. ٢٤ الْأَرْضُ مُسَلَّمَةٌ لِيَدِ الشَّرِيرِ. يُعْشِي وَجُوهَ قُضَاتِهَا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ فَإِذَا مَنْ؟ ٢٥ أَيَّامِي أَسْرَعُ مِنْ عَدَاءٍ تَفِرُّ وَلَا تَرَى خَيْرًا. ٢٦ تَمُرُّ مَعَ سَفْنِ الْبَرْدِيِّ. كَنَسِرٍ يَنْقُضُ إِلَى صَيْدِهِ. ٢٧ إِنْ قُلْتُ: أَنْسَى كُرْبَتِي. أَطْلُقُ وَجْهِي وَأَبْتَسِمُ ٢٨ أَخَافُ مِنْ كُلِّ أَوْجَاعِي عَالِمًا أَنَّكَ لَا تُبَرِّئُنِي. ٢٩ أَنَا مُسْتَدْنِبٌ فَلِمَاذَا أَتَعَبُ عَبَثًا؟ ٣٠ وَلَوْ اغْتَسَلْتُ فِي الثَّلْجِ وَنَطَفْتُ يَدَيَّ بِالْأَشْنَانِ ٣١ فَإِنَّكَ فِي النَّفْعِ تَغْمِسُنِي حَتَّى تَكْرَهَنِي نِيَابِي. ٣٢ لِأَنَّهُ لَيْسَ هُوَ إِنْسَانٌ أَمْثَلِي فَأَجَابَهُ فَنَأْتِي جَمِيعاً إِلَى الْمُحَاكَمَةِ. ٣٣ لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْنَا! ٣٤ لِيَرْفَعْ عَنِّي عَصَاهُ وَلَا يَبْغِثَنِي رُعْبُهُ. ٣٥ إِذَا أَتَكَلَّمُ وَلَا أَخَافُهُ. لِأَنِّي لَسْتُ هَكَذَا عِنْدَ نَفْسِي.

لم ينكر أيوب، لم ينكر أنه كان بحاجة ماسة إلى رحمة الله وغفرانه. لكن مشكلته تمحورت في عدم مقدرته على فهم قضاء الله في هذا العالم. إذ كثيراً ما ظهر له أن الله يعامل الكامل والشرير وكأنه لا فرق بينهما. وهنا كلمة كامل تعني الكمال النسبي، لا الكمال المطلق، الكمال الذي يحصل عليه المؤمن المتعلق بالله وبكلمته الخلاصية. وإذ ثابر أيوب الصديق على

يضع يده عليه وعلى الله. عبرت هذه الكلمات عما كانت تصبو إليه نفس أيوب المعذبة. ياليت هناك وسيط بين الله والإنسان ليساعده على الحصول على الغفران التام وعلى فهم بعض أسرار وألغاز الحياة الدنيا !

وما كانت تصبو إليه نفس أيوب وغيره من أتقياء أيام ما قبل الميلاد صار حقيقة واقعة عندما وفد عالمنا هذا يسوع المسيح مرسل الله الذي أتم خلاصنا بموته على الصليب وقيامته من بين الاموات. وعندما نتأمل في هذا العالم الخلاصي الفريد نصفه أيضا كعمل الوسيط الذي عينه الله ليصالحنا معه. لأن كل بشري هو ملوث بالخطيئة الموروثة عن معصية آدم وبحاجة إلى التخلص منها. وفر هذا الموضوع كاتب الرسالة إلى العبرانيين قائلا:

١١ وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الْأَعْظَمِ وَالْأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ. ١٢ وَلَيْسَ بِدَمِ ثِيُوسٍ وَغُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. ١٣ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَثِيُوسٍ وَرَمَادُ عِجَلَةٍ مَرَشُوشٌ عَلَى الْمُتَجَسِّسِينَ يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، ١٤ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحِ أَرْلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلَا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مِيتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللَّهَ الْحَيَّ! ١٥ وَلِأَجْلِ هَذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ، لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوعُونَ - إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ التَّعَدِّيَّاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الْأَوَّلِ - يَنَالُونَ وَعْدَ الْمِيرَاثِ الْأَبَدِيِّ.

فما تمناه أيوب منذ آلاف السنين تم في حياة المسيح وموته وقيامته من بين الاموات وأصبح بذلك وسيطا لعهد أفضل ! وإذ نحيا نحن بعد نحو ألفي سنة من تتميم مواعيد الله في المسيح يسوع، نذهب إلى وسيطنا وشفيعنا الوحيد في كل مناسبة ولا سيما عندما تمر حياتنا بمشكلات عديدة لا نرى مخرجا منها. لسنا إذن وحيدين في دنيا الآلام والعذابات بل يأتي المسيح إلى نجدتنا متى أمانا به و يمكننا من تكميل مسيرتنا الإيمانية حتى نصل إلى شاطئ الأبدية فننعم آنئذ بالسلام التام في حضرة الله، آمين.

كيف يتبرر الإنسان عند الله؟ ٢

عندما نقر بالله وبسيطرته على جميع مقدرات العالم، نجابه معضلة الشر و الآلام التي تقض مضجع البشرية منذ فجر التاريخ. وتزداد حدة مشكلتنا عندما تنقض النوائب والكوارث على خائفي الله والمتعبدين له. ونحن نبحت في هذا الموضوع لا من جهة نظر فلسفية معينة بل بناء على تعاليم الوحي. وهكذا نعود إلى دراستنا لسفر أيوب الصديق. عاش هذا الرجل الشهم في القسم الشمالي من الجزيرة العربية قبل مئات السنين من أيام المسيح وكان الله قد من عليه بالخيرات العديدة ووهبه سبعة بنين و ثلاثة بنات.

ادعى الشيطان بان أيوب كان يتقي الله نظراً للخيرات الزمنية التي استلمها من ربه فظهر أمام عرش الله قائلاً نظراً للخيرات الزمنية التي استلمها من ربه. فظهر أمام عرش الله: قائلاً: "هل مجاناً يتقى أيوب الله؟ أليس انك سيجت حوله وحول بيته وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية. باركت أعمل يديه فانتشرت مواشيه في الأرض. ولكن أبسط الآن ومس كل ما لديه فانه يجدف عليك".

سمح الله للشيطان بأن يسلب أيوب ثروته وبنائه وكذلك صحته اذ ضرب الشيطان أيوب بمرض خبيث يشبه داء البرص. جاء أصحاب أيوب من أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية لمؤسساته وتعزيتته ولكنهم ما لبثوا أن انقلبوا عليه وصاروا ينتقدونه انتقاداً مراً. وكان رأيهم أن الإنسان المعذب لا بد أن يكون قد استحق ما صار له وما عليه إلا أن يتوب عن غيه طالبا الرحمة من الله. ليم يقبل أيوب هذا التحليل التبسيطي لمشكلة الآلام بل ثابر على شهادته بأنه لم يعمل أي شيء خاص لتنهمر عليه هذه الويلات.

ومما قاله أيوب في الفصل لتاسع من سفره وإجابة على وعظ بلدد الشوحي:

٢[صَحِيحٌ. قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَذَا. فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ؟ ٣إِنْ شَاءَ أَنْ يُحَاجَّهُ لَا يُجِيبُهُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَلْفٍ. ٤هُوَ حَكِيمُ الْقَلْبِ وَشَدِيدُ الْقُوَّةِ. مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلِمَ؟ ٥الْمُرْخَزُ الْجِبَالِ وَلَا تَعْلَمُ. الَّذِي يَقْلِبُهَا فِي غَضَبِهِ ٦الْمُرْعَزُ الْأَرْضِ مِنْ مَقَرِّهَا فَتَنْزَلُ أَعْمَدَتُهَا ٧الْأَمِيرُ الشَّمْسِ فَلَا تُشْرِقُ وَيَخْتِمُ عَلَى النُّجُومِ. ٨الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحَدَهُ وَالْمَاشِي عَلَى أَعَالِي الْبَحْرِ. ٩صَانِعُ النَّعْشِ وَالْجَبَّارِ وَالْثَرَيَّا وَمَخَادِعِ الْجُنُوبِ. ١٠فَاعِلُ عَظَائِمَ لَا تُفْحَصُ وَعَجَائِبَ لَا تُعَدُّ.

أقر أيوب الصديق بأنه هناك بون شائع بين الإنسان والله. والوصف الشعري الذي وهبنا إياه أيوب لقوة الله وجبروته وتعالیه على دنيانا يعد من أروع ما كتب في تاريخ البشرية. ولم يكتف أيوب بالكلام عن قوة الله الظاهرة في أرضنا وفيما يحيط بها من أفلاك وسيارات بل ذهب إلى الكلام عن موقف الإنسان المؤمن من باريه فقال:

١١] هُوَذَا يَمُرُّ عَلَيَّ وَلَا أَرَاهُ وَيَجْتَاوِرُ فَلَا أَشْعُرُ بِهِ. ١٢ إِذَا خَطَفَ فَمَنْ يَرُدُّهُ وَمَنْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟ ١٣ اللَّهُ لَا يَرُدُّ غَضَبَهُ. يَنْحَنِي تَحْتَهُ أَعْوَانُ رَهَبٍ. ١٤ أَكَمْ بِالْأَقَلِّ أَنَا أَجَابُهُ وَأَخْتَارُ كَلَامِي مَعَهُ. ١٥ الْإِنِّي وَإِنْ تَبَرَّرْتُ لَا أَجَابُ بَلْ أَسْتَرْجِمُ دِيَانِي. ١٦ لَوْ دَعَوْتُ فَاسْتَجَابَ لِي لَمَّا آمَنْتُ بِأَنَّهُ سَمِعَ صَوْتِي. ١٧ ذَلِكَ الَّذِي يَسْحَقُنِي بِالْعَاصِفَةِ وَيُكْثِرُ جُرُوحِي بِلَا سَبَبٍ. ١٨ لَا يَدْعُنِي أَخَذُ نَفْسِي وَلَكِنْ يُشْبِعُنِي مَرَارٍ. ١٩ إِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ قُوَّةِ الْقَوِيِّ يَقُولُ: هَنْتَذَا. وَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْقَضَاءِ يَقُولُ: مَنْ يُحَاكِمُنِي؟ ٢٠ إِنْ تَبَرَّرْتُ يَحْكُمُ عَلَيَّ فَمِي؟ وَإِنْ كُنْتُ كَامِلًا يَسْتَنْدُبُنِي.

ما أن وقف أيوب أمام الله وتأمل في صفاته الكاملة حتى أقر واعترف بأنه لا يقدر أن يقدم له حسابا عن كل ما يجري في دنيانا. لا يتبرر الإنسان أمام الله بناء على بره المزعوم. كان أيوب يشعر كل الشعور بأنه لم يكن ملما بأنه لم يكن كاملا , ولكنه في نفس الوقت لم يكن ملما بأي شر أو معصية أو إثم كان ارتكبه لنتهال عليه الوليات. فما أن انتهى من حتى نظر إلى نفسه وأخذ يندب أيامه المليئة بالأتراح فقال:

[كَامِلٌ أَنَا. لَا أَبَالِي بِنَفْسِي. رَذَلْتُ حَيَاتِي. ٢٢ هِيَ وَاحِدَةٌ. لِذَلِكَ قُلْتُ إِنَّ الْكَامِلَ ٢١ وَالشَّرِيرَ هُوَ يُفْنِيهِمَا. ٢٣ إِذَا قَتَلَ السَّوْطُ بَغْتَةً يَسْتَهْزِئُ بِتَجْرِبَةِ الْأَبْرِيَاءِ. ٢٤ الْأَرْضُ مُسَلَّمَةٌ لِبَيْدِ الشَّرِيرِ. يُعْشَى وَجُوهُ فُضَاتِهَا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ فَإِذَا مَنْ؟ ٢٥ أَيَّامِي أَسْرَعُ مِنْ عَدَاءٍ تَفْرُ وَلَا تَرَى خَيْرًا. ٢٦ تَمُرُّ مَعَ سُفْنِ الْبَرْدِيِّ. كُنَسِرٍ يَنْقُضُ إِلَى صَيْدِهِ. ٢٧ إِنْ قُلْتُ: أَنَسَى كُرْبَتِي. أَطْلُقُ وَجْهِي وَأَبْتَسِمُ ٢٨ أَخَافُ مِنْ كُلِّ أَوْجَاعِي عَالِمًا أَنَّكَ لَا تُبَرِّئُنِي. ٢٩ أَنَا مُسْتَنْدَبٌ فَلِمَذَا أَتَعَبُ عَبَثًا؟ ٣٠ وَلَوْ اغْتَسَلْتُ فِي الثَّلْجِ وَنَطَقْتُ يَدَيَّ بِالْأَشْنَانِ ٣١ فَإِنَّكَ فِي النَّفْعِ تَغْمِسُنِي حَتَّى تَكْرَهَنِي نِيَابِي. ٣٢ لِأَنَّهُ لَيْسَ هُوَ إِنْسَانٌ أَمْثَلِي فَأَجَابُهُ فَنَاتِي جَمِيعًا إِلَى الْمُحَاكَمَةِ. ٣٣ لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى كِلَيْنَا! ٣٤ لَيَرْفَعُ عَنِّي عَصَاهُ وَلَا يَبْعَثَنِي رُعْبُهُ. ٣٥ إِذَا أَتَكَلَّمْتُ وَلَا أَخَافُهُ. لِأَنِّي لَسْتُ هَكَذَا عِنْدَ نَفْسِي.

لم ينكر أيوب أنه كان بحاجة ماسة إلى رحمة الله وغفرانه. لكن مشكلته تمحورت في عدم مقدرت على فهم قضاء الله في هذا العالم. إذ كثيرا ما ظهر له أن الله يعامل الكامل والشرير وكأنه لا فرق بينهما. وهنا كلمة كامل تعني الكمال النسبي , لا الكمال المطلق , الكمال الذي يحصل عليه المؤمن المتعلق بالله وبكلمته الخلاصية. وإذ ثابر أيوب الصديق على معركته الروحية خائضا غمارها بكل قواه الفكرية والروحية , اقترب من كيد الحقيقة عندما كانت هناك مصالح يضع يده عليه وعلى الله. عبرت هذه الكلمات عما كانت تصبو إليه نفس أيوب المعذبة. ياليت هناك وسيط بين الله والإنسان ليساعده على الحصول على الغفران التام وعلى فهم أسرار وألغاز الحياة الدنيا ! وما كانت تصبو أليس نفس أيوب وغيره من أتقياء أيام ما قبل الميلاد صار حقيقة واقعة عندما وفد عالمنا هذا يسوع المسيح

مرسل الله الذي أتم خلاصنا بموته على الصليب وقيامته من بين الموات. وقد تطرق إلى الكلام عن هذا الموضوع كاتب الرسالة إلى العبرانيين قائلا:

١١ وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةِ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الْأَعْظَمِ وَالْأَكْمَلِ،
غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ. ١٢ وَلَيْسَ بِدَمِ ثِيُوسٍ وَغُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ
نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. ١٣ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَثِيُوسٍ
وَرَمَادُ عِجَلَةٍ مَرَشُوشٌ عَلَى الْمُتَنَجِّسِينَ يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، ١٤ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ
الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحِ أَرْلِي قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلَا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدُمُوا
اللَّهَ الْحَيَّ! ١٥ وَلِأَجْلِ هَذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ، لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوعُونَ - إِذْ صَارَ مَوْتُ لِفِدَاءِ
التَّعَدِّيَّاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الْأَوَّلِ - يَنَالُونَ وَعْدَ الْمِيرَاثِ الْأَبَدِيِّ.

فما تنهاه أيوب منذ آلاف السنين تم في حياة المسيح وموته وقيامته وأصبح بذلك
وسيطا لعهد أفضل ! واذ نحيا نحن بعد نحو ألفي سنة من تتميم مواعيد الله في المسيح
يسوع و نذهب إلى وسيطنا زم شفيعنا الوحيد في كل مناسبة ولا سيما عندما تمر حياتنا
بمشكلات عديدة لا نرى مخرجا منها. لسنا إذن وحيدين في دنيا الآلام والعذابات بل يأتي
المسيح إلى نجدتنا متى آمنا به ويمكننا من تكميل مسيرتنا الايمانية حتى نصل إلى شاطئ
الأبدية فننعم آنئذ بالسلام التام في حضرة الله , آمين.

شكوى المؤمن ١

النص الكتابي: أيوب ١٠

كيف نصف تاريخ البشرية , القديم , القديم والحديث المعاصر؟ هل هو عبارة عن تقدم مستمر في حقول العلم والفلسفة والاختراعات؟ أم هل هو سلسلة فوجع انقضت على الملايين من بني البشر في شتى أنحاء دنيانا؟

لست أود الظهور بمظهر المتشائم الذي ليرى إلا المشكلات العديدة التي تنهمر على الناس. أنا ملم كل الإلمام بالتقدم الباهر في مختلف حقول العلم والمعرفة وال تكنولوجيا ذلك التقدم الذي أضاف عاملا مهما ومساعدًا لحياة البشر في أيامنا هذه ولكني لا أستطيع أن أتجاهل حدة الآلام التي لحقت والتي لا تزال تلحق بعدد لا تحصى من أقراني بني البشر. كيف أفهم كل ما يجري في هذا العصر من مآسي وكوارث ضمن معتقدي الشامل الفائقة , أجد نفسي معاصرا لمعضلات فكرية عديدة إذ أجد صعوبة كبيرة في كيفية تفهم مجرى تاريخنا المعاصر ضمن اطار ايماني ز أنا لست مستعدا بأن أترك ايماني بالله عاى حدة وأنا أجابه مشكلة الآلام والعذابات التي يقاسيها أناس اليوم في بقاع شتى من عالمنا المتصاغر.

لا بد أنك لاحظت أيها المستمع الكريم عبارة عالمنا المتصاغر التي تفوهت بها منذ برهة وجيزة. لم أعن أن مساحة عالمنا قد تقلصت جغرافيا. ما أعنيه بعبارة عالمنا المتصاغر هو أن دنيانا هذه أصبحت صغيرة جدا نظرا لطرق المواصلات والاتصالات التي ننع بها , فمن البديهي أن كلا من الراديو والتلفزة قد أحدثا ثورة فكرية ذات أبعاد كبيرة. فعندما كان الناس ي العصور القديمة يتأثرون من جراء الحروب والمجاعات والزلازل التي كانت تلق بهم لم يدر بذلك سوى المتضررين أنفسهم. أما الآن فإننا نقف على ما يجري في أقاصي الأرض في نفس اليوم وإيانا في نفس الساعة التي تتم بها الداث الهامة. وعندما ترينا شاشة التلفزيون صورا مريعة لأطفال يتضورون جوعا أو آخرين لاقوا حتفهم من جراء هذا الجوع تصاب أنفسنا بذهول. وما أن نعود إلى توازننا الفكري حتى تبدأ عقولنا تسال وتتساءل عن سبب زمعنى كل ما حدث وصار. إن كان الله قديرا ومسيطرًا ومهيمنًا على مقدرات دنياه , لماذا سمح ل هكذا أمور مخيفة بأن تحدث؟ ألم يكن بوسع القدير أن يمنع الحروب والمجاعات والكوارث التي تنهك جسم البشرية في هذه السنين الأخيرة من القرن العشرين؟

وكما ذكرت في أكثر من مناسبة في هذه السلسلة الجديدة من عظات ساعة الإصلاح. لن أسعى للوصول إلى حل مشكلة الفكرية والروحية اتكالا على آراء بشرية محضة بل

أبني أفكاري على الوحي الإلهي ولاسيما على ذلك الجزء الذي نتأمل فيه في المدة الأخيرة أي سفر أيوب الصديق.

عاش هذا الرجل في أيام ما قبل الميلاد وكان غنيا جدا وكان له سبعة بنين وثلاث بنات. وكان الشيطان واقفا له بالمرصاد فسمح الله له بأن يسلب أيوب ماله وأولاده وصحته. لم يردد أيوب عن إيمانه بالله ولكنه جاهد بكل قواه الفكرية والروحية ليعلم لماذا صار له ما صار ولم يستفد من مجيء أصدقائه الثلاثة لتعزيته لأنهم ما لبثوا أن انقلبوا عليه بأن إنسانا كأيوب وقد حلت به تلك الكوارث لا بد أن يكون قد استحقها لشر كان قد عمله.

عبر أيوب في الفصل العاشر عن أفكاره المتشعبة قائلا:

١] قَدْ كَرِهْتُ نَفْسِي حَيَاتِي. أُسَيِّبُ شُكْوَايَ. أَتَكَلَّمُ فِي مَرَارَةٍ نَفْسِي ٢ قَائِلًا لِلَّهِ: لَا تَسْتَذِيبْنِي. فَهَمْنِي لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي! ٣ أَحْسَنُ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ أَنْ تَرُدُّ عَمَلَ يَدَيْكَ وَتُشْرِقَ عَلَى مَشُورَةِ الْأَشْرَارِ؟ ٤ أَلَيْكَ عَيْنَا بَشَرٍ أَمْ كَنْظَرُ الْإِنْسَانِ تَنْظُرُ؟ ٥ أَيَّامُكَ كَأَيَّامِ الْإِنْسَانِ أَمْ سِنُوكَ كَأَيَّامِ الرَّجُلِ ٦ حَتَّى تَبْحَثَ عَنْ إِثْمِي وَتُقَنِّشَ عَلَى خَطِيئَتِي؟ ٧ فِي عِلْمِكَ أَنِّي لَسْتُ مُذْنِبًا وَلَا مُنْقَذٌ مِنْ يَدِكَ.

وكما ذكرنا في عظمتنا السابقة كان أيوب متيقنا ببراءته. لم يعن أنه كان كاملا كل الكمال ولكنه لم يشعر ولم يلم بأي خطأ معين كان قد ارتكبه لتحل عليه كل تلك النوائب. واذ كان أيوب مؤمنا كل الإيمان بقدرة الله وسلطانه على كل ما يجري في العالم , أحس وكأن الله صار خصما له نظر أيوب إلى حالته من وجه نظر تبسيطي أحادية بمعنى أنه تأمل خصما له. بقدرة الله اللامحدودة. طبعاً الله على كل شيء قدير ولكن قدرة الله لا تصف كل الصفات الله , فهو عادل ومحِب ورحيم. لم يتأمل أيوب في جميع صفات الله التي ورد ذكرها في الوحي ولذلك تساءل أما م الله قائلا: أحسن عندك أن تظلم؟ ألك عينا بشر أم كنظر الإنسان تنظر؟

انتقل أيوب بعد كلماته هذه انتقل إلى التأمل في عمل الله الخالق والمحِب لمخلوقاته فرفع كلماته هذه إلى الله قائلا:

[يَدَاكَ كَوْنَتَانِي وَصَنَعَتَانِي كُلِّي جَمِيعًا. أَفْتَبْلِغُنِي؟ ٩ أَذْكُرُ أَنَّكَ جَبَلْتَنِي كَالطِّينِ. أَفْتُعِيدُنِي إِلَى التُّرَابِ؟ ١٠ أَلَمْ تَصُبَّنِي كَاللَّيْنِ وَخَثَرْتَنِي كَالْجُبْنِ؟ ١١ كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا فَتَسَجَّتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ. ١٢ مَنَحْتَنِي حَيَاةً وَرَحْمَةً وَحَفِظْتَ عَيْنَيْكَ رُوحِي. ١٣ لَكِنَّكَ كَتَمْتَ هَذِهِ فِي قَلْبِكَ. عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عِنْدَكَ. ١٤ إِنَّ أَخْطَأْتُ ثَلَاثِينَ وَلَا تُبْرِئْنِي مِنْ إِثْمِي. ١٥ إِنَّ أَدْنَبْتُ فَوَيْلٌ لِي. وَإِنْ تَبَرَّرْتُ لَا أَرْفَعُ رَأْسِي. إِنَّي شَبَعَانٌ هَوَانًا وَنَاطِرٌ مَذَلَّتِي. ١٦ وَإِنْ أَرْتَفَعَ رَأْسِي

تَصْطَادُنِي كَأَسَدٍ ثُمَّ تَعُودُ وَتَتَجَبَّرُ عَلَيَّ! ١٧ تَجِدُّ شُهُودَكَ تُجَاهِي وَتَزِيدُ غَضَبَكَ عَلَيَّ.
مَصَائِبُ وَجَيْشٍ ضِدِّي.

لم يسر أيوب وهو يواجه حالته اليائسة , لم يسر على طريق الإلحاد المعاصر المنكر لله في أيامنا هذه. تابع أيوب مسيرته الإيمانية بالرغم من كل الظلمات المحيطة به موجهًا تساؤلاته إلى خالفه. اعترف أيوب بأن الله هو باره وصانعه. لماذا ظهر القدير وكأنه على وشك بأن يبتلعه؟ يعيده إلى التراب؟ قال أيوب لله: منحتني حياة ورحمة وحفظت عنايتك روحي. يقر هذا الإنسان المعذب , يقر بصلاح الله ورحمته وعنايته التي تشمل كل أيام يأتته , ولكنه لا يفهم لماذا ظهر الله وكأنه قد انقلب عليه وصار ضدا له , وكأن القدير لا يسر إلا بإشباع عبده مذلة وهوانا ! حلل أيوب كل تفاصيل حياته وتأمل في كل ما فعله وقام به ولم يتذكر أي شر عمله لتصل حياته إلى هذا الحضيض.

الله هو الخالق والمعتني بمخلوقاته العاقلة والغير عاقلة. هذا هو أساس الإيمان وهذا كان معتقد أيوب. وما أن شهد بهذه الحقيقة الجوهرية حتى عاد إلى التأمل في حالته التي يرثي لها والتي لم يجد أي مخرج منها حسب تصوره ولذلك أفلتت من فمه هذه الكلمات الشديدة اللهجة الموجهة إلى الله. قال أيوب المتوجع والغارق في بحر الألغاز:

[فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنِي مِنَ الرَّحِمِ؟ كُنْتُ قَدْ أَسْلَمْتُ الرُّوحَ وَلَمْ تَرْنِي عَيْنٌ! ١٩ فَكُنْتُ كَأَنِّي ١٨
لَمْ أَكُنْ فَأَقَادَ مِنَ الرَّحِمِ إِلَى الْقَبْرِ. ٢٠ أَلَيْسَتْ أَيَّامِي قَلِيلَةً؟ أَتْرُكُ! كُفَّ عَنِّي فَأَبْتَسِمُ قَلِيلًا
٢١ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلَا أَعُودَ. إِلَى أَرْضٍ ظُلْمَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ ٢٢ أَرْضٍ ظَلَامٍ مِثْلَ دُجَى ظِلِّ
الْمَوْتِ وَبِلَا تَرْتِيبٍ وَإِشْرَاقِهَا كَالدُّجَى].

قد نتعجب من كلمات أيوب الصديق قائلين: كيف يتفوه مؤمن بهكذا كلمات وكيف يرجو لو مات منذ ولادته؟ نحن لا نستطيع أن نسبر غور آلام وعذابات أيوب أو أي إنسان آخر أن عاش في العصور السالفة أو أن كان من معاصرنا أو من معارفنا. فعندما تشتد آلام الإنسان , نعم حتى يلام الإنسان المؤمن بالله , فانه يفكر بهكذا أفكار سوداء لا لأنه يكره الحياة , بل لأنه لا يرغب في استمرار حياة هي اقرب من الموت منها من حياة صحيحة. وكما ذكرنا في الماضي , لم يكن الوحي الإلهي قد أعطي بشكل تام في أيام ما قبل الميلاد وخاصة تلك المواضيع المتعلقة بالحياة بعد الموت. انحصرت تصورات أيوب ومعاصريه في كون مصير الإنسان بعد الموت مصيرا مظلما.

وعلينا أن نذكر إننا لا لنا بعد في القسم الأول من هذا السفر الإلهي ولذلك يجدر بنا أن نتحلى بالصبر منتظرين العظات المقبلة التي سترينا إن الله أعاد لأيوب صحته وكل ما كان قد خسره معلما إياه وإيانا أهمية الصبر والاتكال التام والمطلق على الله. وكذلك يجدر بنا أن نذكر أن الله أكمل وحيه في أيام المسيح وأعطانا صورة أكمل عن الحياة الدنيا وما

ينتظرنا في المستقبل بعد انتقالنا من هذه الديار الفانية إلى ديار النعيم على شرط أن نكون من المؤمنين.

ومما ورد في الإنجيل المقدس بخصوص موضوعنا هذه الكلمات التي تفوه بها المسيح عندما توفي لعاذر أخ مريم ومرتا: (إنجيل يوحنا):

١٧ فَلَمَّا أَتَى يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ فِي الْقَبْرِ. ١٨ وَكَانَتْ بَيْتُ عَنِيَا قَرِيبَةً مِنْ أَوْرُشَلِيمَ نَحْوَ خَمْسِ عَشْرَةِ غَلْوَةً. ١٩ وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْثَا وَمَرْيَمَ لِيَعَزُّوهُمَا عَنْ أَخِيهِمَا. ٢٠ فَلَمَّا سَمِعَتْ مَرْثَا أَنَّ يَسُوعَ آتٍ لِأَقْنَتُهُ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَاسْتَمَرَّتْ جَالِسَةً فِي الْبَيْتِ. ٢١ فَقَالَتْ مَرْثَا لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتُ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي. ٢٢ لَكِنِّي الْآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ». ٢٣ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «سَيَقُومُ أَخُوكِ». ٢٤ قَالَتْ لَهُ مَرْثَا: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ». ٢٥ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا ٢٦ وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهَذَا؟» ٢٧ قَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ».

إن نور الوحي الكامل الذي أشع على عالمنا بمجيء المسيح إلى العالم يعطينا فكرة واضحة عن ذلك المستقبل الباهر الذي ينتظر كل مؤمن ومؤمنة بالمسيح يسوع المسيح المخلص. هذا لا يعني أن المؤمنين لا يختبرون العذابات في هذه الدنيا , على العكس , كثيرا ما يتألمون وخاصة من أجل إيمانهم ولشهادتهم أمام الملأ أنهم قد اختبروا خلاص الله. لكنهم يتتابعون مسيرتهم الإيمانية متحلين بالصبر ومتيقنين بأن النصر حليفهم مهما تلبدت سماؤهم بالغيوم الحالكة. ساعدنا الله لنضع ثقتنا التامة بالمخلص المسيح الذي يمسك بيدنا هذه الأيام العصيبة التي نعيشها قائدا إيانا إلى شاطئ الأمان في نعيم الله. ومن آمن بالمسيح وان مات فسبحيا , آمين.

شكوى المؤمن ٢

إن كان الله قديراً ومهيماً على مقدرات دنياه , لماذا يسمح للكوارث بأن تحدث؟ أليس بوسع القدير أن يمنع الحروب والمجاعات التي تنهك جسم البشرية في هذه السنين الأخيرة من القرن العشرين.

وكما ذكرت في أكثر من مناسبة في هذه السلسلة الجديدة من عظات ساعة الإصلاح و لن أسعى للوصول إلى حل مشكلة الفكرية والروحية اتكالا على آراء بشرية محضة بل أنبي أفكاري على الوحي الإلهي ولاسيما على ذلك الجزء الذي نتأمل فيه في المدة الأخيرة أي سفر أيوب الصديق.

عاش هذا الرجل المؤمن في أيام المؤمن في أيا ما قبل الميلاد وكان غنيا جدا وكان له سبعة بنين وثلاث بنات. وكان الشيطان واقفا له بالمرصاد فسمح له بان يسلب أيوب ماله وأولاده وصحته. لم يرتد أيوب عن إيمانه بالله ولكنه جاهد بكل قواه الفكرية والروحية ليعلم لماذا صار له ما صار. عبر أيوب في الفصل العاشر عن أفكاره المتشعبة قائلا:

١] قَدْ كَرِهْتُ نَفْسِي حَيَاتِي. أُسَيِّبُ شَكْوَايَ. أَتَكَلَّمُ فِي مَرَارَةِ نَفْسِي ٢ قَائِلًا لِلَّهِ: لَا تَسْتَنْدِ بِنَبِي. فَهَمَّنِي لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي! ٣ أَحْسَنُ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ أَنْ تَرُدَّ عَمَلُ يَدَيْكَ وَتُشْرِقَ عَلَى مَشُورَةِ الْأَشْرَارِ؟ ٤ أَلَيْكَ عَيْنًا بَشَرٌ أَمْ كَنْظَرُ الْإِنْسَانِ تَنْظُرُ؟ ٥ أَيَّامُكَ كَأَيَّامِ الْإِنْسَانِ أَمْ سِنُوكَ كَأَيَّامِ الرَّجُلِ ٦ حَتَّى تَبْحَثَ عَنْ إِثْمِي وَتُقَيِّشَ عَلَى خَطِيئَتِي؟ ٧ فِي عِلْمِكَ أَنِّي لَسْتُ مُدْنِبًا وَلَا مُنْقَذٌ مِنْ يَدِكَ.

نظر أيوب إلى حالته من وجه نظر تبسيطي أحادية بمعنى انه تأمل فقط بقدرة الله اللامحدودة. طبعاً الله على كل شيء قدير ولكن قدرة الله تصف كل صفاته , فهذه عادلة ومحبة ورحيم.

انتقال أيوب بعد كلماته هذه انتقل إلى التأمل في عمل الله الخالق والمحبة لمخلوقاته إلى الله قائلا:

[يَدَاكَ كَوْنَتَانِي وَصَنَعَتَانِي كُلِّي جَمِيعاً. أَقْتَبِلُغْنِي؟ ٩ أَذْكُرُ أَنَّكَ جَبَلْتَنِي كَالطِّينِ. أَفْتَعِيدُنِي إِلَى التُّرَابِ؟ ١٠ أَلَمْ تَصُبَّنِي كَاللَّيْنِ وَخَثَرْتَنِي كَالْجُبْنِ؟ ١١ كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا فَتَسَجَّتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ. ١٢ مَحَنَتَنِي حَيَاةً وَرَحْمَةً وَحَفِظْتَ عِنَايَتَكَ رُوحِي. ١٣ لَكِنَّكَ كَتَمْتَ هَذِهِ فِي قَلْبِكَ. عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عِنْدَكَ. ١٤ إِنَّ أَخْطَأْتُ تُلَاحِظُنِي وَلَا تُبْرِئُنِي مِنْ إِثْمِي. ١٥ إِنَّ أَدْنَبْتُ فَوَيْلٌ لِي. وَإِنْ تَبَرَّرْتُ لَا أَرْفَعُ رَأْسِي. إِنَّي شَبَعَانُ هَوَانًا وَنَاطِرٌ مَذَلَّتِي. ١٦ وَإِنْ أَرْتَفَعَ رَأْسِي

تَصْطَادُنِي كَأَسَدٍ ثُمَّ تَعُودُ وَتَتَجَبَّرُ عَلَيَّ! ١٧ تُجَدِّدُ شُهُودَكَ تُجَاهِي وَتَزِيدُ غَضَبَكَ عَلَيَّ.
مَصَائِبُ وَجَيْشٌ ضِدِّي.

لم يسر أيوب وهو يواجه حالته اليائسة , لم ير على طريق الالاد المعاصر المنكر لله في أيامنا هذه. تابع أيوب مسيرته الإيمانية بالرغم من كل الظلمات المحيطة به موجهًا تساؤلاته إلى خالقه. اعترف أيوب بأن الله هو باريه وصانعه. لماذا ظهر القدير وكأنه على وشك بأن يبتلعه وأن يعيده إلى التراب؟ قال أيوب لله: منحتني حياة ورحمة وحفظت عنايتك روحي. يقر هذا الإنسان المعذب , يقر بصلاح الله ورحمته وعنايته التي تشمل كل أيام حياته , ولكنه لا يفهم لماذا ظهر الله وكأنه قد انقلب عليه وصار ضدا له , وكأن القدير لا يسر إلا بإشباع عبده مذلة وهوانا. !

الله هو الخالق والمعتني بمخلوقاته العاقلة والغير عاقلة. هذا هو أساس الإيمان السليم وهذا كان معتقد أيوب. وما أن شهد بهذه الحقيقة الجوهرية حتى عاد إلى التأمل في حالته التي يرثي لها فأفلتت من فمه هذه الكلمات الشديدة اللهجة. قال أيوب المتوجع والغارق في بحر الألغاز.

[فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنِي مِنَ الرَّحِمِ؟ كُنْتُ قَدْ أَسْلَمْتُ الرُّوحَ وَلَمْ تَرْنِي عَيْنٌ! ١٩ فَكُنْتُ كَأَنِّي ١٨
لَمْ أَكُنْ فَأَقَادَ مِنَ الرَّحِمِ إِلَى الْقَبْرِ. ٢٠ أَلَيْسَتْ أَيَّامِي قَلِيلَةً؟ أَتْرُكُ! كُفَّ عَنِّي فَأَبْتَسِمُ قَلِيلًا
٢١ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلَا أَعُودَ. إِلَى أَرْضٍ ظُلْمَةٌ وَظِلِّ الْمَوْتِ ٢٢ أَرْضٍ ظُلَامٍ مِثْلِ دُجَى ظِلِّ
الْمَوْتِ وَبِلَا تَرْتِيبٍ وَإِشْرَاقِهَا كَالدُّجَى].

قد نتعجب من كلمات أيوب الصديق قائلين: كيف يتفوه مؤمن بهكذا كلمات و كيف يرجو له لو مات منذ ولادته؟ نحن لا نستطيع أن نسبر غور و آلام وعذابات أيوب أو أي إنسان آخر إن عاش في العصور السالفة أو إن كان من معاصرنا أو من معارفنا. فعندما تشتد آلام الإنسان ،نعم حتى آلام الإنسان المؤمن بالله، فإنه يفكر بهكذا أفكار سوداء لا لأنه يكره الحياة، بل لأنه لا يرغب في استمرارية حياة هي أقرب من الموت منها من حياة صحيحة. وكما ذكرنا في الماضي، لم يكن الوحي الإلهي قد أعطي بشكل تام في أيام ما قبل الميلاد و خاصة تلك المواضيع المتعلقة بالحياة بعد الموت. انحصرت تصورات أيوب و معاصريه في كون مصير الإنسان بعد الموت مصير مظلماً.

وعلينا أن نذكر أننا لازلنا بعد في القسم الأول من هذا السفر الإلهي ولذلك يجدر بنا أن نتحلى لا بصبر منتظرين العظات المقبلة التي سترينا أن الله أعاد لأيوب صحته وكل ما كان قد خسره معلماً إياه وإيانا أهمية الصبر والانتكال التام والمطلق على الله. وكذلك يجدر بنا أن نذكر أن الله أكمل وحيه في أيام المسيح وأعطانا صورة أكمل عن الحياة الدنيا وما

ينتظرنا وما ينتظرنا في المستقبل بعد انتقالنا من هذه ديار النعيم على شرط أن تكون من المؤمنين.

ومما ورد في الإنجيل المقدس بخصوص موضوعنا هذه الكلمات التي تفوه بها المسيح عندما توفي لعازار أخ مريم ومرتا:

١٧ فَلَمَّا أَتَى يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ فِي الْقَبْرِ. ١٨ وَكَانَتْ بَيْتُ عَنِيَا قَرِيبَةً مِنْ أُورُشَلِيمَ نَحْوَ خَمْسِ عَشْرَةِ غَلْوَةً. ١٩ وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْتَا وَمَرْيَمَ لِيَعَزُّوهُمَا عَنْ أَخِيهِمَا. ٢٠ فَلَمَّا سَمِعَتْ مَرْتَا أَنَّ يَسُوعَ آتٍ لِأَقْنَتُهُ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَاسْتَمَرَّتْ جَالِسَةً فِي الْبَيْتِ. ٢١ فَقَالَتْ مَرْتَا لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتُ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي. ٢٢ لَكِنِّي الْآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ». ٢٣ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «سَيَقُومُ أَخُوكِ». ٢٤ قَالَتْ لَهُ مَرْتَا: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ». ٢٥ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا ٢٦ وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهَذَا؟» ٢٧ قَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ».

إن نور الوحي الكامل الذي أشع على عالمنا بمجيء المسيح إلى العالم يعطينا فكرة واضحة عن المستقبل الباهر الذي ينتظر كل مؤمن العذابات في هذه الدنيا , على العكس , كثيرا ما يتألمون وخاصة من أجل إيمانهم ولشهادتهم أمام الملأ أنهم اختبروا خلاص الله. لكنهم يتتابعون مسيرتهم الإيمانية متحلين بالصبر ومتيقنين بأن النصر حليفهم مهم تلبدت سماؤهم بالغيوم الحالكة.

ساعدنا الله لنضع ثقتنا التامة بالمخلص المسيح الذي يمسك بيدنا وسط هذه الأيام العصيبة التي نعيشها قائدا إيانا إلى شاطئ الأمان في نعيم الله. ومن آمن بالمسيح وإن مات فسبحيا , آمين.

ليت الله يتكلم ١

النص الكتابي: أيوب ١١

قد نتساءل إذ نجابه مرضاً عضالاً حل بنا: لماذا هجم علينا هذا المرض؟ وإن فاجأنا مشكلة كبيرة كخسران بيتنا أو ثروتنا أو عزيز لنا، نقول: أهنأك عدل في هذه الدنيا؟ لماذا حدث لنا هذا الأمر المزعج ونح نعيش في عالم تحت سلطة الله القدير؟

وما أن ابتدأنا بالكلام عن معضلات الحياة حتى أتينا على ذكر الله فنحن لا نستطيع البحث في موضوع الحياة البشرية وما يكتنفها من ألغاز إلا وإن نأخذ الله بعين الاعتبار. فنحن نقر به ولا نجري وراء العديدين من معاصرينا الذين وقعوا فريسة للالحاد بشتى مظاهره. نقطة ابتداء تفكيرنا هي الله خلق الكون وبارينا نحن البشر. وعندما نقر بهذا المبدأ الأساس لا نعني بأن كل شيء في حياتنا يصبح شفافاً سهل الفهم. على العكس يجابه المؤمن صعوبات فكرية وروحية جمة لأنه مع معتقده القويم المتمركز على سلطة الله وهيمته على كل ما يجري في تاريخ البشر لا يقدر أن يسوى بين ذلك وبين ما يتم في حياته الخاصة.

وكنا في المدة الأخيرة قد ابتدأنا في البحث في موضوع الآلام التي تنصب على بني البشر وخاصة على المؤمنين. ولم نسع إلى انتهاج مسلك مستقل عن إيماننا بالله بل لجأنا إلى أحد كتب الوحي وهو سفر أيوب الصديق الذي أعطانا إياها الله في أيام ما قبل الميلاد.

عاش أيوب الصديق في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية وكان الله قد أنعم عليه بخيرات عديدة لا تعد ولا تحصى. وكان أيوب يخاف الله ويتقيه ويعبده عبادة حقيقية صافية وخالية من النفاق. ولكن الشيطان الذي كان واقفاً له بالمرصاد ادعى أمام حضرة الله بأن أيوب كان يتقي الله ويعبده بسبب كل ما كان الله قد أغدق عليه من بركات س. فسمح له الله للشيطان بأن يسلب أيوب ثروته وأولاده وصحته ولم يدري أيوب بذلك بل أخذ يتساءل عن سبب كل ما حل به وهو الذي كان يخاف الله ويسير في طريقه المستقيم.

جاء أصحاب أيوب الثلاثة أليفاز التيماني وبلدد الشوحي وصوفر النعاماتي جاؤوا لتعزيته ولكنهم كانوا قد حكموا عليه مسبقاً بأنه نظراً لما كان قد حل به من مصائب كان قد استحقها بشر معين كان قد ارتكبه وهكذا انقلبوا من معزين إلى مضايقين ولم يستفد أيوب من خطبهم التي نادوا بها. وعندما نأتي إلى الفصل العاشر من سفر أيوب نقف على كلمات صوفر النعاماتي الذي كان أشد صرامة مع أيوب ولذلك جاءت كلماته جارحة للغاية.

قال هذا لأيوب مؤنباً إياه:

[أَكْثَرُهُ الْكَلَامُ لَا يُجَاوِبُ أَمْ رَجُلٌ مِهْذَارٌ يَتَبَرَّرُ؟ ٣ أَصْلَفُكَ يُفْحِمُ النَّاسَ أَمْ تَلْعُو وَلَيْسَ مَنْ يُخْزِيكَ؟ ٤ إِذْ تَقُولُ: تَعْلِيمِي زَكِيٌّ وَأَنَا بَارٌّ فِي عَيْنَيْكَ. هَوْلِكُنْ يَا لَيْتَ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ وَيَفْتَحُ شَفَتَيْهِ مَعَكَ ٦ وَيُعْلِنُ لَكَ خَفِيَّاتِ الْحِكْمَةِ! إِنَّهَا مُضَاعَفَةُ الْفَهْمِ فَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يُغَرِّمُكَ بِأَقْلٍ مِنْ إِيْمَتِكَ.

ظن صوفر أن أيوب كان قد تكلم أكثر من الحاجة أي أنه صار ثرثارا في أجوبته على عظام كل من أليفاز وبلدد ولذلك كان على أيوب أن يلزم الصمت ولا يتابع دفاعه على نفسه. و كما ذكرنا سابقا كان أصحاب أيوب الثلاثة قد جاؤوا بفلسفتهم المحدودة الأفق والتي كانت مبنية على الظن بأن كل إنسان معذب هو مستحق لعذاباته لأن الله يعاقب كل بشري بالنسبة للأخطار والمعاصي والشرور التي ارتكبها وبعبارة أخرى , لم يقر رفاق أيوب الثلاثة بأن أمور هذه الحياة لا تفهم دائما على أساس تلك النظرة التبسيطية والأحادية وأنه هناك ألغاز وأسرار لا يستطيع العقل البشري أن يسر غورها.

وهكذا كانوا يفسرون كل ما يجري في الدنيا على أساس نقطة انطلاق تفكيرهم: يتعذب النسان بمقدار الشر الذي يرتكبه في هذه الدنيا.

على هذا الأساس أدان صوفر أيوب واتهمه بأنه رجل مهذار يحاول أن يبرر نفسه بكثرة كلامه. وتظاهر صوفر بتقواه وتدينه متمنيا لو كان الله يتكلم في تلك اللحظة ويفهم أيوب ويعلمه الحكمة ليرى أنه كان يستحق عقابا أكبر من العقاب الذي حل به. يالها من كلمات مؤلمة للغاية ! كيف تفوه بها صديق لأيوب؟ هل كان يشعر بعبء الآلام التي كان أيوب ينوء تحتها؟ وهل كان صوفر قد خسر جميع أمواله وأولاده وصحته كأأيوب؟ وكيف كان بإمكانه أن يقول: أن الله يغرمك بأقل من إيمتك؟

رغب صوفر بأن يعلن الله لأأيوب خفيات الحكمة. ولكنه كان هو بحاجة ماسة إلى الحكمة الإلهية التي كانت ستمكنه من الابتعاد عن الحكم على رفيقه بأنه كان قد نال جزاء أقل مما كان يستحقه. وتمادى هذا الرفيق المنتقد , تمادى في انتقاد أيوب عندما أخذ يلقي عليه محاضرة عن سمو الله على جميع مخلوقاته وعن حكمة القدير اللامحدودة قائلا:

[إِلَى عُمُقِ اللَّهِ تَنْصِلُ أَمْ إِلَى نِهَايَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟ ٨ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ فَمَاذَا 7 عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعُمُقُ مِنَ الْهَالِيَةِ فَمَاذَا تَدْرِي؟ ٩ أَطُولُ مِنَ الْأَرْضِ طُولُهُ وَأَعَرْضُ مِنَ الْبَحْرِ. ١٠ إِنْ بَطَشَ أَوْ أَغْلَقَ أَوْ جَمَعَ فَمَنْ يَرُدُّهُ؟ ١١ لِأَنَّهُ هُوَ يَعْلَمُ أَنْاسَ السُّوءِ وَيُبْصِرُ الْإِثْمَ فَهَلْ لَا يَنْتَبِهْ؟ ١٢ أَمَّا الرَّجُلُ فَقَارِعُ عَدِيمِ الْفَهْمِ وَكَجَحْشِ الْفَرَا يُؤَلِّدُ الْإِنْسَانَ.

لم يكن أيوب ولا أي مؤمن آخر بالله القدير , لم يكن لينكر صوابية هذه الكلمات التي تصف لنا قدرة الله وحكمته الفائقة للعقل البشري.

جميعنا نقر بها ونقول ما أكبر البون الشاسع الذي يفصل حكمة الله عن معرفة بني البشر المحدودة ! لكن أيوب وهو الذي يقر بها من أعماق قلبه والذي كان يشعر في نفس الوقت بأنه لم يرتكب ذنبا معينا ليستحق ما حل بها من كوارث , لم يفهم أيوب كيف صار له ما صار. كيف سمح الله وهو العادل والشفوق والمحِب وهو على كل شيء قدير , كيف سمح لعبده بأن يسقط إلى هذا الحضيض؟ لم تساعده كلمات صوفر لأنها مع كونها واصفة لبعض أمور الله بصورة صحيحة إلا أنها لم تقترب من مشكلة أيوب ولم تساعد على حل الألغاز التي كانت تكتنفه.

وثابر صوفر على معتقده الخاطيء بأن أيوب كان مستحقا لكل ما حل به ولذلك ناشده في القسم الأخير من خطابه بأن يتوب عن غيه طالبا من ربه بأن يمن عليه بالغفران فقال:

١٣ [إِنْ أَعْدَدْتُ أَنْتَ قَلْبَكَ وَبَسَطْتَ إِلَيْهِ يَدَيْكَ. ١٤ إِنْ أَبْعَدْتَ الْإِثْمَ الَّذِي فِي يَدِكَ وَلَا يَسْكُنُ الظُّلُمُ فِي خَيْمَتِكَ ١٥ حِينَئِذٍ تَرْفَعُ وَجْهَكَ بِلَا عَيْبٍ وَتَكُونُ ثَابِتًا وَلَا تَخَافُ. ١٦ أَلَا تَنْسَى الْمَشَقَّةَ. كَمِيَاهِ عَبْرَتْ تَذْكُرُهَا. ١٧ وَفَوْقَ الظَّهِيرَةِ يَقُومُ حَظُّكَ. الظُّلَامُ يَتَحَوَّلُ صَبَاحًا. ١٨ وَتَطْمَئِنُّ لِأَنَّهُ يُوجَدُ رَجَاءٌ. تَنْجَسُّ حَوْلَكَ وَتَضْطَجِعُ أَمِنًا. ١٩ وَتَرْبِضُ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَى وَجْهِكَ كَثِيرُونَ. ٢٠ أَمَّا عُيُونُ الْأَشْرَارِ فَتَتَلَفُ وَمَلْجَأُهُمْ يَبِيدُ وَرَجَاؤُهُمْ تَسْلِيمُ النَّفْسِ].

طبعاً إن كل إنسان خاطيء ومتعد على الشريعة الإلهية عليه التوبة والابتغال إلى الله ليغفر له ذنوبه وأخطائه ومعاصيه. لكن أيوب كما ذكرنا في مناسبات عديدة , لم يكن ملما بأي معصية معينة كان قد ارتكبها. وكل مصائبه كانت قد انقضت عليه انقراض الصاعقة وبدون سابق إنذار. فمناشدة صوفر له (أي لأيوِب) لم تكن في محلها وكانت عبارة عن محاضرة عامة في العلوم الدينية والأخلاقيات. وكأن لسان حال أيوب الصديق كان: أنا اعرف ما تقوله لي وأقر بصوابيته ولكن ما علاقة كلماتك هذه بحالتي الخاصة؟ ولماذا ألقيت علي يا صوفر أنت الذي كنت من أصحابي وخلاني الأوفياء , لماذا ألقيت علي هذه المحاضرة الدينية وأنت تظن بأنني رجل خاطيء أثيم وأنا قد أخفيت بناء على سابق تصميم خطاياي ومعاصي؟

وهكذا علينا أن نتعلم من مقدمة سفر أيوب ومن كلماته وأجوبة رفاقه الثلاثة أن معضلة أيوب الروحية كانت أعمق بكثير مما تعلمناه حتى الآن من الفصول الإحدى عشر الأولى. ذكرت مقدمة هذا الكتاب أن أيوب كان كاملا ومستقيما يتقي الله ويحيد عن الشر. شهد له الوحي الإلهي بأنه لم يكن من كاسري الشريعة الإلهية ولا من الذين كانوا قد نسوا الله أو عبادته عبادة صادقة وصافية. وكذلك أطلعنا الوحي عن العامل الشيطاني في سيرة أيوب أي كون الشيطان قد أنزل به كل تلك النوائب ولكن أيوب كان جاهلا لذلك فلم يأخذ

هذا العامل بعين الاعتبار. وأما رفاق أيوب الذين وفدوا عليه لمؤاساته فإنهم صاروا من المشتكين عليه.

وعلىنا نحن الذين نعيش في أيام اكتمال الوحي أي في العصر الميلادي , علينا أن نذكر بأن الأبرياء كثيراً ما يتعذبون في هذه الدنيا وأن الأشرار لا يعاقبون توالاً لدى ارتكابهم للمعاصي والآثام. كانت مشكلة رفاق أيوب العقائدية أنهم نظروا إلى الحياة البشرية من منظور ضيق للغاية وأن دليلهم الوحيد لتفهم مسيرة الحياة البشرية إنما كان اجتهداهم الخاص بكون كل متألم ومعذب في هذه الدنيا مستحقاً لعذابه. لم يكن هذا الإجهاد سليماً لأنه تناسى أن الحياة البشرية كثيراً ما تكتنفها ألغاز وأسرار وأن عقلنا البشري لا يستطيع سبر غورها. وإقرارنا بوجود هذه الألغاز لا يعني بأننا قد نسينا أو تناسينا معتقدنا بكون الله قديراً ومهيمن على كل ما يتم ويجري في هذا العالم.

وقد ناشد كاتب الرسالة إلى العبرانيين المؤمنين والمؤمنات بالمخلص يسوع المسيح ناشدهم بأن يتشبثوا بمواعيد الله وسط العذابات التي يقاسونها ولا يخالوا بأن ما حل بهم إنما كان عقاباً من الله, فقال:

وَقَدْ نَسِيتُمْ الْوَعْدَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبَنِينَ: «يَا ابْنِي لَا تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلَا تَحْزِنْ إِذَا وَبَحَكَ. ^٦لَأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ». ^٧إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللَّهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ ^٨وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلَا تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نَعُولُ لَا بَنُونَ. ^٩ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلَا نَخْضَعُ بِالْأُولَى جِدًّا لِأَبِي الْأَرْوَاحِ، فَخَيًّا؟ ^{١٠}لَأَنَّ أُولَئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّاماً قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا فَلِأَجْلِ الْمُنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ. ^{١١}وَلَكِنْ كُلُّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لَا يَرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا آخِيراً فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بَرٍّ لِلسَّلَامِ. ^{١٢}لِذَلِكَ قُومُوا الْأَيْدِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُخْلَعَةَ، ^{١٣}وَاصْنَعُوا لِأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةٍ، لِكَيْ لَا يَعْثَسِفَ الْأَعْرَجُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى. ^{١٤}إِتَّبِعُوا السَّلَامَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ.

آمين

ليت الله يتكلم ٢

عاش أيوب الصديق في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية وكان الله قد أنعم عليه بخيرات عديدة لا تعد ولا تحصى. وكان أيوب يخاف الله ويتقيه ويعبده عبادة حقيقية صافية وخالية من النفاق. ولكن الشيطان الذي كان واقفا له بالمرصاد أدعى أمام حضرة الله بأن أيوب كان يتقي الله ويعبده بسبب كل ما كان الله قد أغدق عليه من بركات. فسمح الله للشيطان بأن يسلب كل ما كان الله قد أغدق عليه من بركات فسمح الله للشيطان بأن يسلب أيوب ثروته وأولاده وصحته ولم يدر أيوب بذلك بل أخذ يتساءل عن سبب كل ما حل به وهو الذي كان يخاف الله ويسير في طريقه المستقيم.

وعندما نأتي إلى الفصل الحادي العشر من سفر أيوب نقف على كلمات صوفر النعماتي الذي كان أشد صرامة مع أيوب ولذلك جاءت كلماته جارحة للغاية مؤنبا إياه:

[أَكْثَرَةُ الْكَلَامِ لَا يُجَاوِبُ أَمْ رَجُلٌ مِهْذَارٌ يَتَبَرَّرُ؟^٣ أَصَلَفُكَ يُفْحِمُ النَّاسَ أَمْ تَلْعُو وَلَيْسَ مَنْ يُحْزِيكَ؟^٤ إِذْ تَقُولُ: تَعْلِمِي زَكِيٌّ وَأَنَا بَارٌّ فِي عَيْنَيْكَ. هَوَلِكِنْ يَا لَيْتَ اللَّهِ يَتَكَلَّمَ وَيَفْتَحُ شَفَنِيهِ مَعَكَ^٦ وَيُعْلِنُ لَكَ خَفِيَّاتِ الْحِكْمَةِ! إِنَّهَا مُضَاعَفَةُ الْفَهْمِ فَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يُعْزِمُكَ بِأَقْلٍ مِنْ إِيْمِكَ.

ظن صوفر بأن كل إنسان معذب هو مستحق لعذابه لأن الله يعاقب كل بشري بالنسبة للأخطاء التي ارتكبتها. على هذا الأساس أدان صوفر أيوب واتهمه بأن رجل مهذار يحاول أن يبرر نفسه بكثرة كلامه. وتظاهر صوفر بتقواه وتدينه متمنيا لو كان الله يتكلم في تلك اللحظة ويفهم أيوب ويعلمه الحكمة ليرى أنه كان يستحق عقابا أكبر من العقاب الذي حل به.

رغب صوفر بأن يعلن الله لأيوب خفيات الحكمة. ولكنه كان هو بحاجة ماسة إلى الحكمة الإلهية التي كانت ستمكنه من الابتعاد عن الحكم على رفيقه بأن قد نال جزاء أقل مما كان يستحقه. وتمادى هذا الرفيق المنتقد، تمادى في انتقاد أيوب عندما أخذ يلقي عليه محاضرة عن سمو الله على جميع مخلوقاته وعن حكمة القدير اللا محدودة قائلا:

[أَلَيْ عُمُقِ اللَّهِ تَنْصِلُ أَمْ إِلَى نِهَآيَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟^٨ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ فَمَآذَا⁷ عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعُمُقُ مِنَ الْهَآوِيَةِ فَمَآذَا تَذَرِي؟^٩ أَطُولُ مِنَ الْأَرْضِ طَوْلُهُ وَأَعْرَضُ مِنَ الْبَحْرِ. ١٠ إِنْ بَطَشَ أَوْ أَغْلَقَ أَوْ جَمَعَ فَمَنْ يَرُدُّهُ؟ ١١ لِأَنَّهُ هُوَ يَعْلَمُ أُنَاسَ السُّوءِ وَيُبَيِّنُ الْإِثْمَ فَهَلْ لَا يَنْتَبِهْ؟ ١٢ أَمَّا الرَّجُلُ فَقَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ وَكَجَحْشٍ الْفَرَا يُوَلَّدُ الْإِنْسَانَ.

لم ينكر أيوب صوابية هذه الكلمات التي تصف قدرة الله وحكمته الفائقة للعقل البشري. لكن أيوب وهو الذي كان يقر بها من أعماق قلبه والذي كان يشعر في نفس الوقت

بأنه لم يرتكب ذنبا معينا ليستحق ما حل بها من كوارث , لم يفهم كيف صار له ما صار . كيف سمح الله وهو العادل والشفوق والمحِب وهو على كل شيء قدير , كيف سمح لعبده بأن يسقط إلى هذا الحضيض؟ لم تساعده كلمات صوفر لأنها مع كونها واصفة لبعض أمور الله بصورة صحيحة إلا أنها لم تقترب من مشكلة أيوب ولم تساعد على حل الألغاز التي كانت تكتنفه.

وثابر صوفر على معتقده الخاطيء بأن أيوب كان مستحقا لكل ما حل به ولذلك ناشده في القسم الأخير من خطابه بأن يتوب عن غيه طالبا من ربه بأن يمن بالغفران فقال:

١٣ [إِنْ أَعَدَدْتَ أَنْتَ قَلْبَكَ وَبَسَطْتَ إِلَيْهِ يَدَيْكَ. ١٤ إِنْ أَبْعَدْتَ الْإِثْمَ الَّذِي فِي يَدِكَ وَلَا يَسْكُنُ الظُّلُمُ فِي خِيَمَتِكَ ١٥ حِينَئِذٍ تَرْفَعُ وَجْهَكَ بِلَا عَيْبٍ وَتَكُونُ ثَابِتًا وَلَا تَخَافُ. ١٦ لِأَنَّكَ تَنْسَى الْمَشَقَّةَ. كَمِيَاهِ عَبْرَتٍ تَذْكُرُهَا. ١٧ وَفَوْقَ الظَّهِيرَةِ يَقُومُ حَظُّكَ. الظُّلَامُ يَتَحَوَّلُ صَبَاحًا. ١٨ وَتَطْمَئِنُّ لِأَنَّهُ يُوجَدُ رَجَاءٌ. تَنْجَسُّ حَوْلَكَ وَتَضْطَجِعُ أَمِنًا. ١٩ وَتَرْبِضُ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيَّ وَجْهَكَ كَثِيرُونَ. ٢٠ أَمَّا عِيُونُ الْأَشْرَارِ فَتَتَلَفُ وَمَلْجَأُهُمْ يَبِيدُ وَرَجَاؤُهُمْ تَسْلِيمُ النَّفْسِ].

مناشد صوفر له (أي أيوب) لم تكن في محلها وكانت عبارة عن محاضرة عامة في العلوم الدينية والأخلاقيات. وكان لسان أيوب الصديق كان: أنا أعلاف ما تقوله لي وأقر بصوابيته ولكن ما علاقة كلماتك هذه بحالتي الخاصة؟ ولماذا ألقيت علي يا صوفر أنت الذي كنت من أصحابي وخلاني الأوفياء , لماذا ألقيت علي هذه المحاضرة الدينية وأنت تظن بأنني رجل خاطيء أثيم وأناي قد أخفيت بناء على سابق تصميم خطاياي ومعاصي؟

وهكذا علينا أن نتعلم من مقدمة سفر أيوب ومن كلماته وأجوبة رفاقه الثلاثة أن معضلة أيوب الروحية كانت أعمق بكثير مما تعلمناه حتى الآن من الفصول الإحدى عشر الأولى. ذكرت مقدمة هذا الكتاب أن أيوب كان كاملا ومستقيما يتقى الله ويجيد عن الشر. شهد له الوحي الإلهي بأنه لم يكن من كاسري الشريعة الإلهية ولا من الذين كان قد نسوا الله أو عبادته عبادة صادقة وصافية. وكذلك أطلعنا الوحي عن التعامل الشيطاني في سيرة أيوب أي كون الشيطان قد أنزل به كل النوائب ولكن أيوب كان جاهلا لذلك فلم يأخذ هذا العامل بعين الاعتبار. وأما رفاق أيوب الذين وفدوا عليه لمؤاساته فإنهم صاروا من المشتكين عليه.

وعلىنا نحن الذين نعيش في أيام اكتمال الوحي أي في العصر الميلادي , علينا أن نذكر بأن الأبرياء كثيرا ما يتعذبون في الدنيا وأن الأشرار لا يعاقبون توا لدى ارتكابهم للمعاصي والآثام. كانت مشكلة رفاق أيوب العقائدية أنهم نظروا إلى الحياة البشرية إنما كان اجتهداهم الخاص بكون كل متألم ومعذب في هذه الدنيا مستحقا لعذابه. لم يكن هذا

الاجتهاد سليما لأنه تناسى أن الحياة البشرية كثيرا ما تكتنفها ألغاز وأسرار وأن عقلنا البشري لا يستطيع سبر غورها. وأقرارنا بوجود هذه الألغاز لا يعني بأننا قد نسينا أو تناسينا معتقدنا بكون الله قديرا ومهيما على كل ما يهتم ويجري في هذا العالم.

وقد ناشد كاتب الرسالة إلى العبرانيين المؤمنين والمؤمنات بالمخلص يسوع المسيح ناشدهم بأن يتشبثوا بمواعيد الله وسط العذابات التي يقاسونها ولا يخافوا بأن ما حل بهم إنما كان عقابا من الله , فقال:

«وَقَدْ نَسِيتُمْ الْوَعْدَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَنِينٍ: «يَا ابْنِي لَا تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلَا تَحْزِنْ إِذَا وَبَّخَكَ. ^٦لَآنَ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ». ^٧إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللَّهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ ^٨وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلَا تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نَحْوُ لَا بَنُونَ. ^٩ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلَا نَخْضَعُ بِالْأُولَى جِدًّا لِأَبِي الْأَرْوَاحِ، فَنَحْيَا؟ ^{١٠}لَآنَ أَوْلَنَّاكَ أَذَبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا فَلِأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قِدَاسَتِهِ. ^{١١}وَلَكِنْ كُلُّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لَا يَرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا آخِرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَذَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بَرٍّ لِلسَّلَامِ. ^{١٢}لِذَلِكَ قُومُوا الْأَيْدِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكْبَ الْمُخَلَّعَةَ، ^{١٣}وَاصْنَعُوا لِأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً، لِكَيْ لَا يَعْتَسِفَ الْأَعْرَجُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى. ^{١٤}اتَّبِعُوا السَّلَامَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقِدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ.

الله أعظم من الإنسان ١

النص الكتابي: أيوب ٣٢ و ٣٣

كان من المنتظر أن يكون عقد التسعينات أن يكون أحسن حالا من العقود الأولى من القرن العشرين. وأخذ البعض يتكلمون عن بزوغ شمس عهد جديد تنعدم فيه الحروب والخصومات وتنصرف فيه جهود البشرية لمجابهة تحديات هامة كالبطالة والفقر والانفجار السكاني وضرورة تأمين حد أدنى للبشرية من قوت وكساء وتطبيب وتعليم. لكننا الآن وقد أمضينا عدة سنين من التسعينات لا بد بأن نكون قد أصبنا بخيبة أمل كبيرة. فالسلام لا يعم عالمنا المعذب ولا يزال العديد من معاصرنا يلاقون حتفهم أما بسبب المنازعات أو نظرا للمجاعات التي حلت بديارهم.

ماذا تخبىء لنا السنين الباقية من هذا العقد؟ أين نجد الملاذ الأمين ونحن قد اخترنا قساوة الإنسان وتنكيله بقرينه الإنسان؟ ملجأنا الوحيد هو القدير. وما أن تتفوه بهذه الشهادة حتى نجابه مشكلة عقائدية هامة: كيف نستطيع أن نفهم سلطنة الله على عالمنا هذا ووجوده كل هذه الأمور التي تعارض مشيئته المقدسة؟

لن نحاول حل مشكلتنا الفكرية هذه اتكالا على آراء الناس وفلسفاتهم بل نذهب إلى الوحي الإلهي حيث عولجت فيه هذه القضايا وخاصة في سفر أيوب.

عاش هذا الإنسان في أيام ما قبل الميلاد في القسم الشمالي من الجزيرة العربية. وكان الله قد منّ علينا بخيرات كثيرة. ولكن الله سمح للشيطان بأن يسلب أيوب ثروته الطائلة وأولاده وصحته. لم يدر أيوب الصديق بالدور الذي لعبه الشيطان في نزول هذه الويلات عليه وأخذ يتساءل عن سبب كل ما صار. وجاء لتعزيته ثلاثة من رفاقه ولكنهم صاروا من منتقديه إذ أخذوا نقطة انطلاق تفكيرهم ظنهم بأن كل إنسان تحل به هكذا مصائب لا بد أن يكون قد استحقها. طبعاً لم يقبل أيوب نظرتهم الحياتية التبسيطية والخطئة وثابر على المدافعة عن نفسه منادياً ببراءته.

وقفنا حتى الآن على دفاع أيوب عن نفسه وعن مهاجمة أصحاب أيوب الثلاثة له. أما اليوم وقد أتينا إلى دراسة محتويات الفصل الثاني والثالث والثلاثين فإننا نجد إنساناً رابعاً دخل النقاش واسمه أليهو. وقد ورد ما يلي في النص الكتابي كمقدمة لكلامه:

١ فَكَفَّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ عَنْ مُجَابَةِ أَيُّوبَ لِكُونِهِ بَارًّا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ. ٢ فَحَمِي غَضَبُ أَلِيهُو بْنِ بَرْخَيْلِ الْبُوزِيِّ مِنْ عَشِيرَةِ رَامَ. عَلَى أَيُّوبَ حَمِي غَضَبُهُ لِأَنَّهُ حَسَبَ نَفْسَهُ أَبَرَّ مِنَ اللَّهِ. ٣ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الثَّلَاثَةِ حَمِي غَضَبُهُ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا جَوَاباً وَاسْتَدْنَبُوا أَيُّوبَ.

٤ وَكَانَ إِلَهُهُ قَدْ صَبَرَ عَلَى أَيُّوبَ بِالْكَلامِ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ أَيَّامًا. ٥ فَلَمَّا رَأَى إِلَهُهُ أَنَّهُ لَا جَوَابَ فِي أَفْوَاهِ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ حَمَى غَضَبُهُ.

فَقَالَ إِلَهُهُ بْنُ بَرَحْنِيلَ الْبُوزِي: [أَنَا صَغِيرٌ فِي الْأَيَّامِ وَأَنْتُمْ شُيُوخٌ لِأَجْلِ ذَلِكَ خِفْتُ 6 وَخَشِيتُ أَنْ أُبْدِيَ لَكُمْ رَأْيِي

وبعد هذه المقدمة التي أظهر فيها أليهو تواضعه وفسر سبب تأخره في الكلام عن مشكلة أيوب الروحية , وجه كلماته لصاحبنا المعذب قائلا:

[وَلَكِنْ اسْمَعْ الْآنَ يَا أَيُّوبُ أَقْوَالِي وَاصْنَعْ إِلَى كُلِّ كَلَامِي. ٦ هَنَذَا حَسَبَ قَوْلِكَ عَوْضًا عَنِ اللَّهِ. أَنَا أَيْضًا مِنَ الطِّينِ جُبِلْتُ. ٧ هُوَذَا هَيِّبَتِي لَا تُزْهِبُكَ وَجَلَالِي لَا يَنْقُلُ عَلَيْكَ.

كان أيوب أثناء تأملاته في محنته الشديدة وخاصة أصحابه الثلاثة مدعين بأنه كان مستحقا لكل ما حل به من نوائب , كان أيوب يتوق للمثول أمام الله ليرفع إليه دعواه وليحصل من القدير على العون والنجاة. فابتدأ أليهو وهو الذي لم يكن قد انضم إلى أصحاب أيوب المنتقدين , فابتدأ أليهو وهو الذي لم يكن قد انضم إلى أصحاب أيوب المنتقدين، ابتدأ كلامه مناشداً أيوب بأن يصغي إليه، لأنه (أي أليهو) لم يكن ليخيفه لأنه تراب جبل من الطين مثله، و لم يكن أليهو متفقاً مع آراء أصحاب أيوب لأنه لم يظن بأن أيوب كان قد عمل شراً معيناً جلب عليه كل تلك النكبات . و كذلك لم يتفق مع أيوب الذي لم يكف عن التذمر على الله وعلى ما وقع عليه من كوارث. لخص أليهو آراء أيوب وتقويمه لمشكلته موجهاً كلماته لأيوب وقائلاً:

[إِنَّكَ قَدْ قُلْتَ فِي مَسَامِعِي وَصَوْتَ أَقْوَالِكَ سَمِعْتُ. ٩ قُلْتَ: أَنَا بَرِيءٌ بِلاَ ذَنْبٍ. زَكِيٌّ 8 أَنَا وَلَا إِنَّمْ لِي. ١٠ هُوَذَا يَطْلُبُ عَلَيَّ عِلَالٌ عِدَاوَةٌ. يَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَهُ. ١١ وَضَعَ رَجُلِي فِي الْمِقْطَرَةِ. يَرَاقِبُ كُلَّ طُرُقِي.

لم يقبل أليهو الشاب هذا التعليل لمشكلة أيوب و لكنه لخصها ليظهر بعد واختلافه رأيه الخاص عنها.

ابتدأ أليهو بعظته التصحيحية قائلاً:

١٢ [هَآ إِنَّكَ فِي هَذَا لَمْ تُصِبْ. أَنَا أَجِيبُكَ. لِأَنَّ اللَّهَ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْسَانِ. ١٣ لِمَاذَا تُخَاصِمُهُ؟ لِأَنَّ كُلَّ أُمُورِهِ لَا يُجَابُ عَنْهَا. ١٤ لَكِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ مَرَّةً وَبِاسْتَنْتَيْنِ لَا يُلَاحِظُ الْإِنْسَانُ. ١٥ فِي حُلْمٍ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ عِنْدَ سُقُوطِ سُبَاتٍ عَلَى النَّاسِ فِي النَّعَاسِ عَلَى الْمَضْجَعِ. ١٦ حِينَئِذٍ يَكْشِفُ آذَانَ النَّاسِ وَيَخْتِمُ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ ١٧ لِيُحَوِّلَ الْإِنْسَانُ عَنْ عَمَلِهِ وَيَكْتُمَ الْكِبْرِيَاءَ عَنِ الرَّجُلِ ١٨ لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْحُفْرَةِ وَحَيَاتِهِ مِنَ الزُّوَالِ بِحَرْبَةِ الْمَوْتِ. ١٩ أَيْضًا

يُودَّبُ بِالْوَجَعِ عَلَى مَضْجَعِهِ وَمُخَاصَمَةِ عِظَامِهِ دَائِمَةً ٢٠ فَتَكَرَّرَ حَيَاتُهُ خُبْزاً وَنَفْسُهُ الطَّعَامَ الشَّهِيَّ. ٢١ فَيَبْلَى لَحْمُهُ عَنِ الْعَيَانِ وَتَنْبَرِي عِظَامُهُ فَلَا تُرَى ٢٢ وَتَقْرُبُ نَفْسُهُ إِلَى الْقَبْرِ وَحَيَاتُهُ إِلَى الْمُمِيتِينَ. ٢٣ إِنْ وُجِدَ عِنْدَهُ مُرْسَلٌ وَسِيطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ لِيُعْلِنَ لِلْإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ ٢٤ يَتَرَأَفُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: أَطْلَقُهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً.....

[هُؤَذَا كُلُّ هَذِهِ يَفْعَلُهَا اللَّهُ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا بِالْإِنْسَانِ ٣٠ لِيَرُدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْحُفْرَةِ لِيَسْتَنْبِرَ ٢٩ يَنْوُرَ الْأَحْيَاءَ. ٣١ فَاصْنَعْ يَا أَيُّوبُ وَاسْتَمِعْ لِي. انصُتْ فَأَنَا أَتَكَلَّمُ. ٣٢ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ كَلَامٌ فَأَجِبْنِي. تَكَلَّمْ. فَإِنِّي أُرِيدُ تَبْرِيرَكَ. ٣٣ وَإِلَّا فَاسْتَمِعْ أَنْتَ لِي. انصُتْ فَأَعْلَمَكَ الْحِكْمَةَ].

يا أيوب , لا تظن بأن الله هو كالإنسان . وعندما تقترب منه طالبا تفسيراً لما ألم بك وحلا لمعضلتك , لا تقف من بارئك موقف المخاصم. ليس الله ملزماً بأن يجيب على تساؤلاتك. وأعلم أيضاً بأن الله يهتم بالإنسان ولا يتركه بلا قائد أو مرشد أو معين. فقد يأتي الله إليك في حلم ليطلعك على خفايا الأمور. أو قد يلجأ إلى استخدام الآلام التي يسمح لها بأن تعكر صفو حياتك لتنقية إيمان حياتك. وأعلم بأن القدير لم يتركك وحيداً بل سيعين وسيط بينك وبينه ويتراءف عليك ولا يسمح لك بأن تنزل إلى القبر قبل وقتك.

كانت هذه أفكار أليهو وناشد أيوب بأن يقبلها ولا ينظر إليه كما نظر إلى رفاقه الثلاثة الذين انتقدوه انتقاداً شديداً. وما سمع أيوب هذه الكلمات حتى لاذا بالصمت لأنها لم تكن ككلمات أصحابه الثلاثة بل كان فيها عمقا روحيا حقيقيا. وهكذا سمح لمعزيه الشاب أليهو بأن يتابع كلامه الذي دَوَّن في الفصول التالية من سفر أيوب الصديق.

مستمعي الكرام , لا نستطيع أن نترك كلامنا هذا عن سيرة أيوب بدون أن نلقي نور الوحي الكامل على ما ورد في النص الكتابي. ما أعنيه هو أننا نحن الذين نعيش في ظل العصر الميلادي , لدينا كتاب الله المقدس بأسره أي كل من أسفار أو كتب العهد القديم أو العهد الجديد. وهكذا نشهد بأن الله أرسل المسيح إلى عالمنا ليكون الفادي والوسيط بين الله والإنسان الخاطيء. وجميع مشكلات الدنيا وما يصاحبها من آلام وعذابات لا تقارن بالمجد العظيم الذي سيعلم لدى عودة المسيح يسوع إلى العالم في اليوم الأخير. من آمن بالمسيح كما كشف عن ذاته في الإنجيل لا تخلو حياته من المشقات والعذابات ولكنه يحيا على اليقين التام فإن الله سينقذه ويعطيه النصر التام على سائر القوى التي تعصف بحياته في هذه الدنيا , آمين.

الله أعظم من الإنسان ٢

عاش أيوب في أيام ما قبل الميلاد في قسم الشمالي الشرقي في الجزيرة العربية وكان الله قد من علينا بخيرات الكثيرة ولكن الله سمح للشيطان بأن يسلب أيوب ثروته الطائلة وأولاده وصحته ولم يدر أيوب الصديق بالدور الذي لعبه الشيطان في نزول هذه الولايات عليه وأخذ يتساءل عن سبب كل ما صار. وجاء لتعزيته ثلاثة من رفاقه ولكنهم صاروا من منتقديه إذ أخذوا نقطة انطلاق تفكيرهم ظنهم أن كل إنسان تحل به هكذا مصائب لابد من يكون قد استحقها. طبعاً لم يقبل أيوب نظرتها الحياتية التبسيطية والخاطئة وثابر على المدافعة عن نفسه منادياً ببراءته. ووقفنا حتى الآن على دفاع أيوب عن نفسه وعن مهاجمة أصحاب أيوب الثلاثة له. أما اليوم وقد أتينا إلى دراسة محتويات الفصل الثاني والثلاث الثلاثين فإننا نجد إنساناً رابعاً دخل حلبة النقاش و اسمه أليهو وقد ورد ما يلي في النص الكتابي كمقدمة لكلامه:

١ فَكَفَّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ عَنْ مُجَابَةِ أَيُّوبَ لِكُونِهِ بَارًّا فِي عَيْنِي نَفْسِهِ. ٢ فَحَمِي غَضَبُ أَلِيهَوَ بْنِ بَرَحْيِيلَ الْبُوزِيِّ مِنْ عَشِيرَةِ رَامَ. عَلَى أَيُّوبَ حَمِي غَضَبُهُ لِأَنَّهُ حَسَبَ نَفْسَهُ أَتَبَرُّ مِنَ اللَّهِ. ٣ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الثَّلَاثَةِ حَمِي غَضَبُهُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا جَوَاباً وَاسْتَدْنَبُوا أَيُّوبَ. ٤ وَكَانَ أَلِيهَوُ قَدْ صَبَرَ عَلَى أَيُّوبَ بِالْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ أَيَّاماً. هَلَّامَّا رَأَى أَلِيهَوُ أَنَّهُ لَا جَوَابَ فِي أَفْوَاهِ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ حَمِي غَضَبُهُ.

فَقَالَ أَلِيهَوُ بْنُ بَرَحْيِيلَ الْبُوزِيِّ: [أَنَا صَغِيرٌ فِي الْأَيَّامِ وَأَنْتُمْ شُبُوحٌ لِأَجْلِ ذَلِكَ خِفْتُ 6 وَخَشِيتُ أَنْ أَبْذِي لَكُمْ رَأْيِي

وبعد هذه المقدمة التي اظهر فيها أليهو تواضعه وفسر سبب تأخره في الكلام عن مشكلة أيوب الروحية , وجه كلماته لصاحبنا المعذب قائلاً:

[وَلَكِنْ اسْمَعْ الْآنَ يَا أَيُّوبَ أَقْوَالِي وَاصْنَعْ إِلَيَّ كُلَّ كَلَامِي. ٦ هَنَنْدًا حَسَبَ قَوْلِكَ عَوْضًا عَنِ اللَّهِ. أَنَا أَيْضًا مِنَ الطِّينِ جُبِلْتُ. ٧ هُوَذَا هَيَبَتِي لَا تُزْهِبُكَ وَجَلَالِي لَا يَنْقُلُ عَلَيْكَ.

كان أيوب أثناء تأملاته في صحته الشديدة وخاصة بعد أن انتقده أصحابه الثلاثة مد عين بأنه مستحق لكل ما حل به من نوائب , كان أيوب يتوق للمثول أمام الله ليرفع إليه دعواه وليحصل من القدير على العون والنجاة. فابتدأ أليهو وهو الذي لم يكن قد انضم إلى أصحاب أيوب المنتقدين , ابتداءً لكلامه مناشداً أيوب بأن يصغي إليه , لأنه (أي أليهو) لم يكن ليخيفه فهو تراب جبل من الطين مثله. ولم يكن أليهو متفقاً مع آراء أصحاب أيوب لم يظن بأن أيوب كان قد عمل شراً معيناً جلب عليه كل تلك النكبات. وكذلك لم يتفق مع أيوب

الذي لم يكف عن التذمر على الله وعلى ما وقع عليه من كوارث. لخص أليهو آراء أيوب وتقويمه لمشكلته موجهها كلماته لأيوب وقائلا:

[إِنَّكَ قَدْ قُلْتَ فِي مَسَامِعِي وَصَوْتَ أَقْوَالِكَ سَمِعْتُ. ٩ قُلْتَ: أَنَا بَرِيءٌ بِلاَ ذَنْبٍ. زَكِيٌّ 8 أَنَا وَلَا إِنَّمَا لِي. ١٠ هُوَذَا يَطْلُبُ عَلَيَّ عِلَلٌ عَدَاوَةٌ. يَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَهُ. ١١ وَضَعَ رِجْلِي فِي الْمِفْطَرَةِ. يَر_اقِبُ كُلَّ طُرُقِي.

لم يقبل أليهو الشاب هذا التعليل لمشكلة أيوب ولكنه لخصها ليظهر بعد واختلاف رأيه الخاص عنها. ابتدأ أليهو بعظته التصحيحية قائلا:

١٢ [هَآ إِنَّا فِي هَذَا لَمْ تُصِبْ. أَنَا أُحْيِيكَ. لِأَنَّ اللَّهَ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْسَانِ. ١٣ لِمَآذَا تُخَاصِمُهُ؟ لِأَنَّ كُلَّ أُمُورِهِ لَا يُجَابُ عَنْهَا. ١٤ لَكِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ مَرَّةً وَبِأَنْتِنَيْنِ لَا يُلَاحِظُ الْإِنْسَانُ. ١٥ فِي حُلْمٍ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ عِنْدَ سُقُوطِ سُبَاتٍ عَلَى النَّاسِ فِي النَّعَاسِ عَلَى الْمَضْجَعِ. ١٦ حِينَئِذٍ يَكْشِفُ آدَانَ النَّاسِ وَيَخْنِمُ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ ١٧ لِیَحْوَلَ الْإِنْسَانُ عَنْ عَمَلِهِ وَيَكْتُمُ الْكِبْرِيَاءَ عَنْ الرَّجُلِ ١٨ لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْحُفْرَةِ وَحَيَاتِهِ مِنَ الزَّوَالِ بِحَرْبَةِ الْمَوْتِ. ١٩ أَيْضًا يُؤَدِّبُ بِالْوَجْعِ عَلَى مَضْجَعِهِ وَمُخَاصِمَةٍ عِظَامِهِ دَائِمَةً ٢٠ فَتَكْرَهُ حَيَاتُهُ حُبْرًا وَنَفْسُهُ الطَّعَامَ الشَّهِيَّ. ٢١ فَيَبْئَلِي لَحْمَهُ عَنِ الْعِيَانِ وَتَنْبَرِي عِظَامُهُ فَلَا تُرَى ٢٢ وَتَقْرُبُ نَفْسُهُ إِلَى الْقَبْرِ وَحَيَاتُهُ إِلَى الْمُمِيتِينَ. ٢٣ إِنْ وَجِدَ عِنْدَهُ مُرْسَلٌ وَسَيْطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ لِيُعْلِنَ لِلْإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ ٢٤ يَنْتَرَفُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: أَطْلَقُهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً.....

[هُوَذَا كُلُّ هَذِهِ يَفْعَلُهَا اللَّهُ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا بِالْإِنْسَانِ ٣٠ لِيَرُدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْحُفْرَةِ لِيَسْتَنْبِرَ ٢٩ يَنْوِرَ الْأَحْيَاءَ. ٣١ فَاصْنَعْ يَا أَيُّوبُ وَاسْتَمِعْ لِي. انصُتْ فَأَنَا أَتَكَلَّمُ. ٣٢ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ كَلَامٌ فَأَجِِبْنِي. تَكَلَّمْ. فَإِنِّي أُرِيدُ تَبْرِيرَكَ. ٣٣ وَإِلَّا فَاسْتَمِعْ أَنْتَ لِي. انصُتْ فَأَعْلَمَكَ الْحِكْمَةَ].

يا أيوب لا تظن بأن الله هو كالإنسان . وعندما تقترب منه طالبا تفسيراً لما ألم بك وحلا لمعضلتك , لا تقف من بارئك موقف المخاصم ز ليس الله ملزماً بأن يجيب على تساولاتك. واعلم أيضاً بأن الله يهتم بالإنسان ولا يتركه بلا قائد أو مرشد أو معين. فقد يأتي اله إليك في حلم ليطلعك على خفايا الأمور. أو قد يلجأ إلى استخدام الآلام التي يسمح لها بأن تعكر صفو حياتك لتنقية إيمانك حياتك. والعم بأن القدير لن يتركك وحيداً بل سيعين وسيط بينك وبينه ويتراف عليك ولا يسمح لك بأن تنزل إلى القبر قبل وقتك. كانت هذه أفكار أليهو وناشد أيوب بأن يقبلها ولا ينظر إليه كما نظر إلى رفاقه الثلاثة الذين انتقدوا انتقاداً شديداً. وما سمع أيوب هذه الكلمات حتى لا بالصمت لأنها لم تكن ككلمات أصحابه الثلاثة بل كان فيها عمقا روحيا حقيقيا ز وهكذا سمح لمعزيه الشاب أليهو بأن يتابع كلامه الذي دون في الفصول التالية من سفر أيوب الصديق.

مستمعي الكرام , لا نستطيع أن نترك هذا كلامنا عن سيرة أيوب بدون أن نلقي نور الوحي الكامل على ما ورد في النص الكتابي. ما أعنيه هو أننا نحن الذين نعيش في ظل العصر الميلادي , لدينا كتاب الله المقدس بأسره أي كلا من أسفار أو كتب العهد القديم والعهد الجديد. وهكذا نشهد بأن الله أرسل المسيح إلى عالمنا ليكون الفادي والوسيط بين الله والإنسان الخاطيء. وجميع مشكلات الدنيا وما يصاحبها من آلام وعذابات لا تقارن بالمجد العظيم الذي سيعلن لدى عودة المسيح يسوع إلى العالم في اليوم الأخير. من آمن بالمسيح كما كشف عن ذاته في الإنجيل لا تخلو حياته من المشقات والعذابات ولكنه يحيا على اليقين التام فإن الله سينقذه ويعطيه النصر التام على سائر القوى التي تعصف بحياته في هذه الدنيا , آمين

الله لا يفعل السوء ١

النص الكتابي: أيوب ٣٤

عدت يوم أمس من مأتم ألقيت فيه خطبة وداعية لأحد رجال الله الذي توفي في الأسبوع الفائت. وكان الفقيد في الأربعينات من عمره وقد تفانى في خدمة الله وعبادته تاركاً وراءه أرملته وثلاث بنين لا يزالون على مقاعد الدراسة الثانوية والجامعية. وفي هكذا مناسبات لابد لكل إنسان من أن يتساءل: لماذا حل بهذا الأخ ما حل به؟ ألم يكن باستطاعة الله أن يشفيه من داء السرطان الذي اكتشف في داخله قبل أربعة أشهر؟ ومع أن الأطباء استعملوا آخر ما وصل إليه العلم من مواد كيميائية لوقف انتشار هذا الداء الخبيث والقضاء عليه و إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل كيف نستطيع أن نفهم هكذا فواجع فردية أكانت أم جماعية ونحن نؤمن بالله وبقدرته على كل شيء وبصلاحه ومودته ورحمته وشفقته على مخلوقاته؟

وقد نسترسل في تساؤلاتنا ونحن نحاول سبر غور موضوع الآلام والعذابات التي تنتاب البشرية منذ فجر التاريخ. وليس من غير اللائق لنا كمؤمنين بأن نسأل أسئلة مصيرية موضوع سر الآلام. ما دام الله قد وهبنا عقولا فإننا نفكر ونبحث في هذا الموضوع إلى أن نصل إلى حل تركز إليه أنفسنا المعذبة. ومن البديهي أن موضوعنا هذا الذي كان يدور في أفكار الناس منذ القديم قد عولج من عدة نواح إلا أنه لا يوجد كتاب يضاهي سفر أو كتاب أيوب الصديق بفصوله التي تزيد على الأربعين والتي أعطانا إياها الله بوحيه لتقودنا إلى فهم صحيح لموضوع الآلام وعلى أساس تعليمي أي لنستفيد من عبر هذا الكتاب ونطبقها على أنفسنا.

وكنا قد ابتدأنا في المدة الأخيرة بسلسلة عظات جديدة مبنية على سفر أيوب ولاحظنا أن هذا الرجل الشهم والمؤمن مني بضربات هائلة في صميم حياته. فخرس ثروته الطائلة وأولاده وصحته لا لشر خاص عمله بل لأن الشيطان كان قد ادعى أمام الحضرة الإلهية بأن أيوب إنما سار في طريق الله نظرا لكل الخيرات والبركات التي نالها من ربه. وهكذا سمح الله للشيطان بأن ينهال على عبده أيوب بتلك الضربات والويلات. ولم يكن أيوب ملما بذلك بل أخذ يتساءل عن سبب كل ما نزل به ولم ينجح أصحابه الثلاثة في تعزيته وانقلبوا بين عشية وضحاها إلى منتقدين له.

وبعد أن أجاب أيوب على انتقادات كل من رفاقه الثلاثة لا حظنا في عظتنا السابقة على الفصلين الثاني والثالث والثلاثين , لاحظنا دخول شخص رابع واسمه أليهو إلى حلقة النقاش الذي كان يدور مع أيوب.

وَقَالَ إِلِيَهُو: ٢]اسْمَعُوا أَقْوَالِي أَيُّهَا الْحُكَمَاءُ وَاصْنَعُوا لِي أَيُّهَا الْعَارِفُونَ. ٣لَأَنَّ الْأُدْنَ تَمْتَحِنُ الْأَقْوَالَ كَمَا أَنَّ الْحَنَكَ يَذُوقُ طَعَامًا. ٤لِنَمْتَحِنَ لَأَنْفُسِنَا الْحَقَّ وَنَعْرِفَ بَيْنَ أَنْفُسِنَا مَا هُوَ طَيِّبٌ.

لم يتفق إليهو مع رفاق أيوب الثلاثة بخصوص إدانتهم لصاحبهم المعذب لأنه لم يقبل حجّتهم الرئيسية بأن مل إنسان متألم إنما يكون قد استحق آلامه لأن الله يكيل لكل إنسان مقداراً معادلاً لآثامه وشروره المرتكبة في الحياة الدنيا. وهكذا رأي هو تبسيطي للغاية وغير مبني على الوحي الإلهي ولا على الواقع المعاش. وفي نفس الوقت رفض إليهو موقف أيوب الغير حميد تجاه الله لأنه (أي أيوب) كان يدّعي بأن معاملة الله له لم تكن مبنية على أساس العدل. واستطرد الشاب إليهو قائلاً:

٥]لَأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: تَبَرَّرْتُ وَاللَّهُ نَزَعَ حَقِّي. ٦عِنْدَ مُحَاكَمَتِي أَكْذَبْتُ. جُرْحِي عَدِيمُ الشِّفَاءِ مِنْ دُونَ ذَنْبٍ. ٧فَإَيُّ إِنْسَانٍ كَأَيُّوبَ يَشْرَبُ الْهُزْءَ كَالْمَاءِ ٨وَيَسِيرُ مُتَّحِداً مَعَ قَاعِلِي الْإِثْمِ وَذَاهِباً مَعَ أَهْلِ الشَّرِّ؟ ٩لَأَنَّهُ قَالَ: لَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ بِكَوْنِهِ مَرْضِيّاً عِنْدَ اللَّهِ.

كانت هذه خلاصة شكوى أيوب. الله نزع حقي! أنا البريء أکذب عندما أظهر أمامه. ما الفائدة من السير على طريق الله إن كانت نهاية الإنسان الشرير كنهايتي؟ توارت أفكار أيوب على نفسها متلاطمة كالأمواج العاتية وسط عاصفة هوجاء. رفض إليهو هذه الآراء من أساسها ووصف أيوب بأنه كان كمن يشرب الهواء كالماء, أي كمن يتفوه بكلمات لا يفقه معناها. ولذلك استمرّ إليهو قائلاً:

[لِأَجْلِ ذَلِكَ اسْمَعُوا لِي يَا دَوِي الْأَلْبَابِ. حَاشَا لِلَّهِ مِنَ الشَّرِّ وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ. ١٠لَأَنَّهُ يُجَازِي الْإِنْسَانَ عَلَى فِعْلِهِ وَيُنِيلُ الرَّجُلَ كَطَرِيقِهِ. ١٢فَحَقّاً إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ سُوءاً وَالْقَدِيرَ لَا يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ.

ليس الله بصانع الشر ولا ينسب للقدير ظلم. لا يجوز لمؤمن بالله بأن يفكر على هذا المنوال. نعم هناك شرا في دنيانا وهناك عذابات وآلام لا تعد ولا تحصى. ولا بد أن البعض من مستمعينا الكرام يتذكرون اقتباس من قول أحد المفكرين المعاصرين الذي وصف قرننا هذا بأنه من أقصى القرون التي عرفت البشرية منذ فجر التاريخ. ويمكنك أنت كما يمكنني أنا أيضاً في هذه اللحظة بأن نجي بلائحة طويلة وعريضة وتفاصيل المآسي والنكبات التي حلت بمعاصرين منذ أواسط القرن العشرين. فكم منا خسرنا ديارنا وتشردنا في سائر بقاع الأرض؟ وكم منا اضطهدنا وعذبنا بدون سبب معقول؟! لكنه هل يجوز لنا أن ننسب لله عجزه عن السيطرة على مقدرات عالم القرن العشرين أو عدم اكترائه بدنياه؟.

طبعاً نحن لا نفهم ولا نفقه أسبا العديد من حوادث التاريخ المعاصر أن كانت تلك التي مست حياتنا الشخصية بالفعل أو تلك التي أثرت على مجريات حياة أقران بني البشر. كوننا مؤمنين بالله لا يعني أن كل شيء في حياتنا وفي دنيانا يصبح سهل الفهم. ليس التاريخ القديم منه أو الحديث أو المعاصر ، ليس التاريخ موضوع شفاف. تبقى الكثير من تفاصيله ألغازاً لا تفهم. لكنه بالرغم من ذلك فإننا نبقي على يقننا بأن ذمام الأمور لن يفلت من يد الله ونكرر مع أليهو قائلين: حاشا لله من الشر وللقدير من الظلم.

أنهى أليهو الفصل الرابع والثلاثين قائلاً:

٣٤ ذَوُّو الْأَبَابِ يَقُولُونَ لِي بَلِ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ الَّذِي يَسْمَعُنِي يَقُولُ: ٣٥ إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلاَ مَعْرِفَةٍ وَكَلَامُهُ لَيْسَ بِتَعْقِلٍ. ٣٦ فَلَيْتَ أَيُّوبَ كَانَ يُنْتَحَنُ إِلَى الْعَايَةِ مِنْ أَجْلِ أَجُوبَتِهِ كَأَهْلِ الْإِثْمِ. ٣٧ لَكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى خَطِيئَتِهِ مَعْصِيَةً. يُصَفِّقُ بَيْنَنَا وَيُكْثِرُ كَلَامَهُ عَلَى اللَّهِ.

ما يعنيه أليهو لدى تقييمه لكلمات أيوب هو أن صاحبنا المتألم والمعذب والذي كان يجهل كل ذلك ، إن صاحبنا أخذ يفكر بأن الله لم يعامله بمقتضى مبادئ العدل بل كأنما صار أيوب عدواً لباليه وصانعه. هكذا أفكار تجاه الله ومن طرف أيوب كانت غير مقبولة وأظهرت كما قال أليهو أن صاحبنا يتكلم بلا معرفة وكلامه ليس بتعقل ! أن نقبل وجود ألغاز في الحياة الدنيا أمر لا مفر منه، ولكن أن ننسب انعدام العدل من قبل الله فهذا مرفوض مبدئياً.

و كما ألمحنا في مناسبات عديدة بعد أن ابتدأنا في تأملاتنا هذه المبنية على سفر أيوب، علينا نحن الذين نعيش في أيام اكتمال الوحي، علينا النظر إلى موضوع الآلام والعذابات من وجهة نظر اكتمال الوحي الإلهي أي من وجهة نظر العهد الجديد. ونجد تعليمًا تكميليًا بخصوص موضوعنا في الفصل الرابع من رسالة بولس الرسول الثانية إلى جماعة الإيمان في مدينة كورنثوس اليونانية:

٧ وَلَكِنْ لَنَا هَذَا الْكُنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلَّهِ لَا مِنَّا. ٨ مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ، لَكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ. ٩ مُضْطَهَدِينَ، لَكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لَكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ. ١٠ حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا. ١١ لِأَنَّنَا نَحْنُ الْأَحْيَاءُ نُسَلِّمُ دَائِماً لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ. ١٢ إِذَا الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا، وَلَكِنْ الْحَيَاةُ فَيْكُمْ. ١٣ فَإِذَا لَنَا رُوحُ الْإِيمَانِ عَيْنُهُ، حَسَبَ الْمَكْتُوبِ «أَمَنْتُ لِدَلِّكَ تَكَلَّمْتُ» - نَحْنُ أَيْضاً نُوْمُنُ وَلِذَلِكَ نَتَكَلَّمُ أَيْضاً. ١٤ عَالِمِينَ أَنَّ الَّذِي أَقَامَ الرَّبَّ يَسُوعَ سَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضاً بِيَسُوعَ، وَيُحْضِرُنَا مَعَكُمْ. ١٥ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ هِيَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لِكَيْ تَكُونَ النِّعْمَةُ وَهِيَ قَدْ كَثُرَتْ بِالْأَكْثَرِينَ، تَزِيدُ الشُّكْرَ لِمَجْدِ اللَّهِ. ١٦ لِذَلِكَ لَا نَفْشَلُ. بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانٌ نَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالِدَاخِلُ يَتَجَدَّدُ

يَوْمًا فَيَوْمًا. ^{١٧}لَا نَحْنُ خِفَّةَ ضَيْقَتِنَا الْوَقْتِيَّةِ تَنْشِيءُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلٍ مَجْدٍ أَبَدِيًّا. ^{١٨}وَنَحْنُ غَيْرُ نَاطِرِينَ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لَا تَرَى. لِأَنَّ الَّتِي تَرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لَا تَرَى فَأَبَدِيَّةٌ.....

^١لَا نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الْأَرْضِيَّةِ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللَّهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ. ^٢فَإِنَّا فِي هَذِهِ أَيْضًا نَحْنُ مُسْتَأَقِقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ. ^٣وَإِنْ كُنَّا لَا يَسِينُ لَا نُوجَدُ عُرَاةً. ^٤فَإِنَّا نَحْنُ الَّذِينَ فِي الْخَيْمَةِ نَحْنُ مُثْقَلِينَ، إِذْ لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَحْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا، لِكَيْ يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ. ^٥وَلَكِنَّ الَّذِي صَنَعَنَا لِهَذَا عَيْنِهِ هُوَ اللَّهُ، الَّذِي أَعْطَانَا أَيْضًا عَرْبُونَ الرُّوحِ. ^٦فَإِذَا نَحْنُ وَاثِقُونَ كُلَّ حِينٍ وَعَالِمُونَ أَنَّنا وَنَحْنُ مُسْتَوْطِنُونَ فِي الْجَسَدِ فَحْنُ مُتَعَرِّبُونَ عَنِ الرَّبِّ. ^٧لَا نَحْنُ بِالْإِيمَانِ نَسْلُكُ لَا بِالْعِيَانِ. ^٨فَنَتَّقُ وَنُسَرُّ بِالْأُولَى أَنْ نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ. ^٩لِذَلِكَ نَحْتَرِصُ أَيْضًا مُسْتَوْطِنِينَ كُنَّا أَوْ مُتَعَرِّبِينَ أَنْ نَكُونَ مَرَضِيَّيْنِ عِنْدَهُ. ^{١٠}لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنَّنا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيُنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.

وخلاصة الأمر وبعد أن التجأنا إلى المنظور المتكامل للوحي الإلهي نتطلع إلى جميع أمور وتفاصيل الحياة الدنيا من زاوية محبة الله للمؤمنين والمؤمنات وسياسته لحياتهم بما فيها من أفراح وأتراح. وغايته العظمى هي أن ينقينا ويطهرنا من الأدران العالقة بنا. وهكذا لا يجوز لنا _ أن كنا بالحقيقة قد وضعنا ثقتنا القلبية في المخلص المسيح _ لا يجوز لنا أن نظن بأن نكبات الحياة هي لقصاصنا. على العكس يسمح الله بها لتأديبنا لأنه تعالى إنما يهيئنا لحياة النعيم الأبدية. المهم. أن نبت اليوم في أهم موضوع نجابهه أي أن نعين موقفنا من منقذ الإنسان الوحيد: يسوع المسيح. كل من آمن به لن يكون من الخاسرين , آمين.

الله لا يفعل السوء ٢

كنا قد ابتدأنا في المدة الأخيرة بسلسلة عظات جديدة مبنية على سفر أيوب ولاحظنا أنمني بضربات هائلة في صميم حياته. فخرس ثروته الطائلة وأولاده وصحته لا لشر خاص عمله بل لتأديبنا لأن الشيطان كان قد ادعى أمام الحضرة الإلهية بأن أيوب إنما سار في طريق الله نظراً لكل الخيرات والبركات التي نالها من ربه. وهكذا سمح الله للشيطان بأن ينهال على عبده أيوب بتلك الضربات والويلات. ولم يكن أيوب ملماً بذلك بل أخذ يتساءل عن سبب كل ما نزال به ولم ينجح أصحابه الثلاثة في تعزيته وانقلبوا بين عشية وضحاها إلى منتقدين له.

وبعد أن أجاب أيوب على انتقادات كل من رفاقه الثلاثة لا حظنا في عظتنا السابقة دخول شخص رابع واسمه أليهو إلى حلقة النقاش الذي كان يدور مع أيوب.

وَقَالَ أَلِيهُو: ٢]اسْمَعُوا أَقْوَالِي أَيُّهَا الْحُكَمَاءُ وَاصْنَعُوا لِي أَيُّهَا الْعَارِفُونَ. ٣لَأَنَّ الْأَذْنَ تَمْتَحِنُ الْأَقْوَالَ كَمَا أَنَّ الْحَنَكَ يَذُوقُ طَعَاماً. ٤لِنَمْتَحِنَ لَأَنْفُسِنَا الْحَقَّ وَنَعْرِفَ بَيْنَ أَنْفُسِنَا مَا هُوَ طَيِّبٌ.

لم يتفق أليهو مع رفاق أيوب الثلاثة بخصوص إدانتهم لصاحبهم المعذب لأنه لم يقبل حجتهم الرئيسية بأن كل إنسان متألم إنما يكون قد استحق آلامه لأن الله يكيل لكل إنسان مقدارا معادلاً لآثامه وشروره المرتكبة في الحياة الدنيا. هكذا رأي هو تبسيطي للغاية وغير مبني على الوحي الإلهي ولا على الواقع المعاش. وفي نفس الوقت رفض أليهو موقف أيوب الغير حميد تجاه الله لأنه (أي أيوب) كان يدعي بأن معاملة الله له لم تكن مبنية على أساس العدل. واستطرد الشاب أليهو قائلاً: ٥[لَأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: تَبَرَّرْتُ وَاللَّهُ نَزَعَ حَقِّي. ٦عِنْدَ مُحَاكَمَتِي أَكْذَبْتُ. جُرْجِي عَدِيمُ الشِّفَاءِ مِنْ دُونَ ذَنْبٍ. ٧فَأَيُّ إِنْسَانٍ كَأَيُّوبَ يَشْرَبُ الْهُزْءَ كَالْمَاءِ ٨وَيَسِيرُ مُتَّحِداً مَعَ قَاعِلِي الْإِثْمِ وَذَاهِباً مَعَ أَهْلِ الشَّرِّ؟ ٩لَأَنَّهُ قَالَ: لَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ بِكَوْنِهِ مَرْضِيّاً عِنْدَ اللَّهِ.

كانت هذه الخلاصة شكوى أيوب. الله نزع حقي! أنا البريء أكذب عدما أظهر أمام الله. ما الفائدة من السير على طريق الله إن كانت نهاية الإنسان الشرير كنهايتي؟ رفض أليهو هذه الآراء من أساسها ووصف أيوب بأنه كان كمن يشرب الهواء كالماء. أي كمن يتفوه بكلمات لا يفقه معناها. ولذلك استمر أليهو قائلاً:

[لَأَجْلِ ذَلِكَ اسْمَعُوا لِي يَا دَوِي الْأَلْبَابِ. حَاشَا لِلَّهِ مِنَ الشَّرِّ وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ. ١٠لَأَنَّهُ يُجَازِي الْإِنْسَانَ عَلَى فِعْلِهِ وَيُنِيلُ الرَّجُلَ كَطَرِيقِهِ. ١٢فَحَقّاً إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ سُوءاً وَالْقَدِيرَ لَا يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ.

ليس الله بصانع الشر ولا ينسب لقدير ظلم. لا يجوز لمؤمن بالله بأن يفكر على هذا المنوال. نعم هناك شر في دنيانا وهناك عذابات وآلام لا تعد ولا تحصى. ويمكنك أنت ويمكنك أنت كما يمكنني أنا أيضا في هذه اللحظة بأن نجىء بلائحة طويلة وعريضة لتفاصيل المآسي والنكبات التي حلت بمعاصرنا منذ أواسط القرن العشرين. لكنه هل يجوز لنا أن ننسب لله عجزه عن السيطرة على مقدرات عالم القرن العشرين أو عدم اكترائه بدنياه؟

طبعاً نحن لا نفهم ولا نفقه أسباب العديد من حوادث التاريخ المعاصر أن كانت تلك التي مست حياتنا الشخصية بالفعل أو تلك التي أثرت على مجريات حياة أقراننا بني البشر. كوننا مؤمنين بالله لا يعني أن كل شيء في حياتنا وفي دنيانا يصبح سهل الفهم. ليس التاريخ القديم منه أو الحديث المعاصر , ليس التاريخ موضوعاً شفافاً. تبقى الكثير من تفاصيله الغازا لا نفهم. لكنه بالرغم من كل ذلك فإننا نبقي على يقيننا بأن زمام الأمور لم يفلت من يد الله ونكرر مع أليهو قائلًا: حاشا لله من الشر وللقدير من الظلم.

أنهى أليهو الفصل الرابع والثلاثين قائلًا: ٣٤ دَوُّو الْأَبَابِ يَقُولُونَ لِي بَلِ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ الَّذِي يَسْمَعُنِي يَقُولُ: ٣٥ إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلاَ مَعْرِفَةٍ وَكَلَامُهُ لَيْسَ بِتَعَقُّلٍ. ٣٦ قَلِيلَتِ أَيُّوبَ كَانَ يُمْتَحَنُ إِلَى الْعَايَةِ مِنْ أَجْلِ أَجْوَبَتِهِ كَأَهْلِ الْإِثْمِ. ٣٧ لَكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى خَطِيئَتِهِ مَعْصِيَةً. يُصَقِّقُ بَيْنَنَا وَيُكْثِرُ كَلَامَهُ عَلَى اللَّهِ].

ما يعنيه أليهو لدى تقييمه لكلمات أيوب هو أن صاحبنا المتألم والمعذب والذي كان يجهل سبب كل ذلك , أن صاحبنا أخذ يفكر بأن الله لم يعامله بمقتضى مبادئ العدل بل كأنما صار أيوب عدواً لباريه وصانعه هكذا أفكار تجاه الله ومن طرف أيوب كانت غير مقبولة وأظهرت كما قال أليهو أن صاحبنا يتكلم بلا معرفة وكلامه ليس بتعقل ! أن نقبل وجود الغاز في الحياة الدنيا أمر لا مفر منه , ولكن أن ننسب انعدام العدل من قبل الله فهذا أمر مرفوض مبدئياً.

وكما المحنا في مناسبات عديدة علينا نحن الذين نعيش في أيام اكتمال الوحي , علينا النظر إلى موضوع الآلام والعذابات من وجهة نظر العهد الجديد حيث نجد تعليمًا تكميلياً في الفصل الرابع من رسالة بولس الثانية إلى جماعة الإيمان في مدينة كورنثوس اليونانية:

٧ وَلَكِنْ لَنَا هَذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلَّهِ لَا مِنَّا. ٨ مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ، لَكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ. ٩ مُضْطَّهَدِينَ، لَكِنْ غَيْرَ مَثْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لَكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ. ١٠ حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلِّ حِينٍ إِمَانَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا. ١١ لِأَنَّنَا نَحْنُ الْأَحْيَاءُ نُسَلِّمُ دَائِماً لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ. ١٢ إِذَا الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا، وَلَكِنْ الْحَيَاةُ فَيَكُنْ. ١٣ فَإِذَا

لَنَا رُوحُ الْإِيمَانِ عَيْنُهُ، حَسَبَ الْمَكْتُوبِ «أَمَنْتُ لِدَلِكِ تَكَلَّمْتُ» - نَحْنُ أَيْضاً نُؤْمِنُ وَلِدَلِكِ نَتَكَلَّمُ أَيْضاً. ^٤عَالَمِينَ أَنَّ الَّذِي أَقَامَ الرَّبُّ يَسُوعَ سَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضاً بِيسُوعَ، وَنُحْضِرُنَا مَعَكُمْ. ^٥لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ هِيَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لِكَيْ تَكُونَ النِّعْمَةُ وَهِيَ قَدْ كَثُرَتْ بِالْأَكْثَرِينَ، تَزِيدُ الشُّكْرَ لِمَجْدِ اللَّهِ. ^٦لِدَلِكِ لَا نَفْشَلُ. بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانٌ نَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالِدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا. ^٧لِأَنَّ خِفَةَ ضَيْقَتِنَا الْوَقْتِيَّةِ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلٍ مَجْدٍ أَبَدِيًّا. ^٨وَنَحْنُ غَيْرُ نَظِيرِينَ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لَا تَرَى. لِأَنَّ الَّتِي تَرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لَا تَرَى فَأَبَدِيَّةٌ.....

^١لَأَنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقْضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الْأَرْضِيَّةِ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللَّهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ. ^٢فَإِنَّا فِي هَذِهِ أَيْضاً نَحْنُ مُسْتَأَقِقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ. ^٣وَإِنْ كُنَّا لَا يَسِينُ لَا نُوجَدُ عُرَاةً. ^٤فَإِنَّا نَحْنُ الَّذِينَ فِي الْخِيْمَةِ نَحْنُ مُثْقَلِينَ، إِذْ لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَحْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا، لِكَيْ يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ. ^٥وَلَكِنَّ الَّذِي صَنَعَنَا لِهَذَا عَيْنِهِ هُوَ اللَّهُ، الَّذِي أَعْطَانَا أَيْضاً عَرْبُونَ الرُّوحِ. ^٦فَإِذَا نَحْنُ وَاثِقُونَ كُلَّ حِينٍ وَعَالِمُونَ أَنَّنَا وَنَحْنُ مُسْتَوْطِنُونَ فِي الْجَسَدِ فَحَنُ مُتَعَرِّبُونَ عَنِ الرَّبِّ. ^٧لَأَنَّا بِالْإِيمَانِ نَسْلُكُ لَا بِالْعَيَانِ. ^٨فَنَتَّقُ وَنُسَرُّ بِالْأُولَى أَنْ نَتَّعَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ. ^٩لِدَلِكِ نَحْتَرِصُ أَيْضاً مُسْتَوْطِنِينَ كُنَّا أَوْ مُتَعَرِّبِينَ أَنْ نَكُونَ مَرْضِيَّيْنَ عِنْدَهُ. ^{١٠}لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعاً نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيُنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.

وخلاصة المر وبعد أن التجأنا إلى المنظور المتكامل للوحي الإلهي نتطلع إلى جميع أمور وتفصيل الحياة الدنيا من زاوية محبة الله لمؤمنين والمؤمنات وسياسته لحياتهم بما فيها من أفراح وأتراح. وغايته العظمى هي أن ينفقنا ويظهرنا من الأدران العالقة بنا وهكذا لا يجوز لنا _ إن كنا قد وضعنا ثقنتنا القلبية في المخلص المسيح _ لا يجوز لنا أن نظن بأن النكبات الحياة هي لقصاصنا. على العكس يسمح الله بها لتأديبنا لأنه تعالى إنما يهيئنا لحياة النعيم الأبدية. المهم , المهم , أن نبت اليوم في أهم موضوع نجابهه أي أن نعين موقفنا من منقذ الإنسان الوحيد: يسوع المسيح. كل من آمن به لن يكون من الخاسرين , آمين.

الجواب لله ١

النص الكتابي: أيوب ٣٨

من البديهي أننا ملمون كل الإلمام بكثرة الاختراعات التي امتاز بها القرن العشرون. فان أخذنا على أنفسنا أن نقوم بإحصاء دقيق لكل ما استنبط في عقود هذا القرن في شتى حقول العلوم لكانت لا ئحتنا اكبر مما نتصور. خذ مثلا موضوع المواصلات بين البلدان والقارات. فبينما كان الناس يتنقلون بطرق بطيئة صاروا يسافرون على متن الطائرات النفاثة ويقطعون مسافات شاسعة في ساعات معينة. وإذا ما تأملنا في موضوع البث الإذاعي الذي لم يكن معروفا في بدء هذا القرن وما وصل إليه هذا الفن من إذاعة الصوت والصورة وعلى موجات الطويلة والمتوسطة والقصيرة فانه لا بد من أن يخلب ألبابنا بالرغم من تعودنا عليه.

ويمكننا الاسترسال في الكلام عن تقدم العلوم عندما نتأمل في الطب المعاصر وما وصل إليه من معالجة الأمراض المستعصية والعمليات الجراحية الدقيقة التي تجري على القلب البشري. ولو عاد أجدادنا إلى دنيانا هذه لظهرت لهم وكأنها غريبة للغاية ولاحتاجوا إلى عدة أشهر للتأقلم مع الواقع المعاش.

ومع أن هذه الأمور التي أتينا على ذكرها توضع في باب الإنجازات الايجابية إلا أنه لا بد لنا من الكلام عن مظهر مؤلم صاحب هذا التقدم العلمي الباهر في القرن العشرين. وما أعنيه هو المناخ الفكري الذي أحاط بهذه الإنجازات التي تمت في شتى حقول العلوم الطبيعية , إن هذا المناخ الفكري كان الناس يدينون بها في القرون الماضية. فقد أخذ بعض المفكرين الذين يعدون أنفسهم من الطليعيين ينادون باستقلالية الإنسان عن كل عقيدة سماوية وبحتمية بناء عالم جديد شجاع لا يعترف إلا بالإنسان وبطاقاته اللامحدودة. ويمكننا وصف هذه الآراء بكونها طوباوية أو يوتوبية بهرت أنظار العديدين من الناس في أوائل وأواسط هذا القرن ولكنها ظهرت بعد أن طبقت في بعض أنحاء العالم , ظهرت على حقيقتها العارية أي كونها خالية من الحقيقة وغير قابلة للتطبيق. فمهما عمل الإنسان وجاهد يبقى مخلوقا محدود البصر وغير قادر أن يحيا على أساس الحادي. وتجلت الحقيقة الباهرة التي تكلم عنها الله في أيام كلمه موسى: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان, بل بكل كلمة تخرج من فم الله.

وعندما نأخذ بعين الاعتبار إفلاس سائر النظريات المعادية لله لا نستطيع التهرب من مواجهة تحديات العصر التي تواجهنا بصورة مستمرة.

كيف نقدر مثلاً إن نوجه بكل مسؤولية الكوارث والفواجع التي تحل بالعديدين من معاصرنا؟ كيف نستطيع أنضع هذه الأمور المفجعة في إطار إيماننا بالله القدير والمسيطر على جميع مقدرات العالم؟ وخلاصة الأمر: هل هناك من تفسير مقنع عندما نواجه عالمنا بكل مآسيه المتكاثرة والتي تقض مضجع الملايين من أقراننا بني البشر؟

ونحن نبحث في هذا الموضوع منذ بضعة أسابيع متكلين على تعاليم الوحي الإلهي كما وردت في كتاب الصديق الذي هو جزء من الكتاب المقدس في أيام ما قبل الميلاد. وبما أن بعض مستمعينا الكرام لم يسمعوها هذه البرامج من أولها فأنتني أعود لذكر بعض المواضيع الرئيسية التي أتينا على ذكرها في الماضي. عاش أيوب في القسم الشمالي من الجزيرة العربية وكان انسنا تقياً يبتعد عن الشر. أنعم الله عليه بسبعة وثلاث بنات وبثروة طائلة. لكن الشيطان الذي كان بالمرصاد ادعى أمام الله بأن تقوى أيوب إنما كانت مبنية على أساس نفعي وأنه فيما إذا خسر أيوب أولاده وثروته وصحته فإنه ينكر لله ويموت في بحر اليأس والقنوط. فسمح الله للشيطان بأن يسلب أيوب كل هذه الأمور ولم ينكر الله.

هذا ما نتعلمه من فاتحة كتاب أيوب الصديق. وأخذت الأمور تتعقد بعد مدة من الزمن في سيرة أيوب. فقد وفد عليه أصحابه الثلاثة لتعزيته ولكنهم فشلوا في ذلك لأنهم كان يدينون بمنظور حياتي خاطيء. فقد كانت نقطة انطلاق تفكيرهم كما يلي: كل إنسان متألم ومفجوع يكون قد ارتكب ذنباً معيناً وإلا لما حلت بها النائبة. رفض أيوب تعليلهم هذا لأنه كان بريئاً من أي ذنب معين. وظل أيوب متمسكاً ببراءته ولكنه أخذ يشك في عدل الله وصار يعتقد بأن الله كان واقفاً منه موقف العداء. ودامت المناقشة بين أيوب ورفاقه الثلاثة لأيام عديدة لم ينجح فيها لا أيوب ولا رفاقه في إقناع الطرف الآخر بصوابية رأيه أو رأيهم. وأخيراً دخل حلبة النقاش شاب اسمه أليهو فانتقد أصحاب أيوب لأنهم لم يفلحوا في تعزية أيوب وانتقد أيوب لأن هذا الخير حاول إظهار نفسه بأنه كان أكثر عدلاً من الله القدوس. وعندما تقترب من نهاية سفر أيوب نلاحظ أن الله أخذ يتكلم مظهراً لعبده أهمية الإيمان به وعدم توجيه أي انتقاد لكيفية تسيير الله لأمره.

١ فَقَالَ الرَّبُّ لِأَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ: ٢ [مَنْ هَذَا الَّذِي يُظْلِمُ الْقَضَاءَ بِكَلَامٍ بَلَا مَعْرِفَةٍ؟
٣ أَشَدُّ الْآنَ حَقْوِيكَ كَرَجُلٍ فَإِنِّي أَسْأَلُكَ فَتَعْلَمُنِي. ٤ أَيْنَ كُنْتَ جِئْتَ أَسَسْتُ الْأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِن كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ. ٥ مَنْ وَضَعَ قِيَاسَهَا؟ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ! أَوْ مَنْ مَدَّ عَلَيْهَا مِطْماراً؟ ٦ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قَرَرْتَ قَوَاعِدَهَا أَوْ مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا ٧ عِنْدَمَا تَرْتَمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعاً وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللَّهِ؟

عندما انهالت الويلات على أيوب لم يكن قد قام بأي معصية معينة هذه شهادة الوحي الإلهي بخصوصه. لكن الخطأ الذي وقع فيه أيوب هو أنه أخذ يشك في معاملة الله له , وكما ذكرنا سابقا , ظن أيوب بأن الله صار عدوا له.

فكانت فاتحة جواب الله في الفصل الثامن والثلاثين عبارة عن أسئلة متتالية أنت منه تعالى ومن وسط عاصفة هوجاء أظهرت قوة الله وسيطرته على جميع قوى الطبيعة. أين كان أيوب عندما خلق الله الأرض وكل ما فيها؟ وهل اشترك في ترتيب أمور الخليقة؟ وإذا كان الله قد خلق الملائكة قبل خلقه للعالم المادي , ورد ذكر هذه المخلوقات وفرحها الفائق عندما شاهدت مجيء العالم المادي إلى حيز الوجود: عندما ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله.

وتابع الله كلامه مع أيوب واصفا الطبيعة الباهرة التي صنعها الله كنوطنا للإنسان , تاج الخليقة. وقصد الله من كلماته هذه هي تذكير أيوب أن البارى عز و جل الذي يسوس أمور الكون الشائع الأطراف بما فيه من أجرام سماوية لا تعد ولا تحصى , أن الخالق لا يعامل مخلوقاته العاقلة على أساس مغاير للعدل أو الحق أو الاستقامة. لا يجوز لمن قال عن نفسه بأنه مؤمن بالله أن يتمادى في هكذا أفكار !

[وَمَنْ حَجَرَ الْبَحْرَ بِمَصَارِيْعَ حِينَ انْدَفَقَ فَخَرَجَ مِنَ الرَّجَمِ. ٩ إِذْ جَعَلْتُ السَّحَابَ لِبَاسَهُ 8 وَالضُّبَابَ قِمَاطَهُ ١٠ وَجَرَمْتُ عَلَيْهِ حَدِيٍّ وَأَقَمْتُ لَهُ مَعَالِيْقَ وَمَصَارِيْعَ ١١ وَقُلْتُ: إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلَا تَتَعَدَّى وَهُنَا تُنْحَمُ كِبْرِيَاءُ لُجْجِكَ؟ ١٢] هَلْ فِي أَيَّامِكَ أَمَرْتُ الصُّبْحَ؟ هَلْ عَرَفْتَ الْفَجْرَ مَوْضِعَهُ ١٣ لِيُمْسِكَ بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ فَيُنْفِضَ الْأَشْرَارُ مِنْهَا؟ ١٤ أَتَتَحَوَّلُ كَطِينِ الْخَاتِمِ [هَلْ انْتَهَيْتَ 6 وَتَقَفْتَ كَأَنَّهَا لِابْسَةٍ. ١٥ وَيَمْنَعُ عَنِ الْأَشْرَارِ نُورُهُمْ وَتَتَكَسَّرُ الذِّرَاعُ الْمُرْتَفِعَةُ. ١ إِلَى يَنَابِيعِ الْبَحْرِ أَوْ فِي مَقْصُورَةِ الْعَمْرِ تَمْشِيَتُ؟ ١٧ هَلْ انْكَشَفَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمَوْتِ أَوْ عَايِنْتَ [أَيُّنَ الطَّرِيقِ 9 أَبْوَابَ ظِلِّ الْمَوْتِ؟ ١٨ هَلْ أَدْرَكْتَ عَرْضَ الْأَرْضِ؟ أَخْبِرْ إِنْ عَرَفْتَهُ كُلَّهُ! ١ إِلَى حَيْثُ يَسْكُنُ النُّورُ وَالظُّلْمَةُ أَيْنَ مَقَامُهَا ٢٠ حَتَّى تَأْخُذَهَا إِلَى تَحُومِهَا وَتَعْرِفَ سُبُلَ بَيْتِهَا؟ ٢١ تَعْلَمُ لِأَنَّكَ حِينَئِذٍ كُنْتَ قَدْ وُلِدْتَ وَعَدَدُ أَيَّامِكَ كَثِيرٌ! ٢٢] أَدَخَلْتَ إِلَى خَزَائِنِ الثَّلْجِ أَمْ أَبْصَرْتَ مَخَازِنَ الْبَرَدِ ٢٣ الَّتِي أَبْقَيْتَهَا لِيَوْفَتِ الضَّرَّ لِيَوْمِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ؟ ٢٤ فِي أَيِّ طَرِيقٍ يَتَوَزَّعُ النُّورُ وَتَتَفَرَّقُ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ عَلَى الْأَرْضِ؟ ٢٥ مَنْ فَرَّعَ قَنَوَاتِ اللَّهْطِلِ وَطَرِيقًا لِلصَّوَاعِقِ ٢٦ لِيَمْطُرَ عَلَى أَرْضٍ حَيْثُ لَا إِنْسَانَ عَلَى قَفَرٍ لَا أَحَدَ فِيهِ ٢٧ لِيُرْوِيَ الْبَلْقَعَ [هَلْ لِلْمَطَرِ أَبٌ وَمَنْ وَلَدَ مَاجِلَ الطَّلِّ؟ ٢٩ مَنْ بَطْنٍ مِّنْ 8 وَالْخَلَاءِ وَيُنْبِتُ مَخْرَجَ الْعُشْبِ؟ ٢ خَرَجَ الْجَلِيدُ؟ صَقِيعُ السَّمَاءِ مِنْ وَلَدِهِ؟ ٣٠ كَحَجَرٍ صَارَتِ الْمِيَاهُ. اخْتَبَأَتْ. وَتَلَكَّدَ وَجْهُ الْعَمْرِ. [هَلْ تَرَبُّطُ أَنْتَ عُقْدَ الثَّرْيَا أَوْ تَفُكُّ رُبُطَ الْجَبَّارِ؟ ٣٢ أَتُخْرِجُ الْمَنَازِلَ فِي أَوْقَاتِهَا وَتَهْدِي ٣١ النَّعْشَ مَعَ بَنَاتِهِ؟ ٣٣ هَلْ عَرَفْتَ سُنَنَ السَّمَاوَاتِ أَوْ بَ وَ جَعَلْتَ تَسْلُطَهَا عَلَى الْأَرْضِ؟ ٣٤ أَتَرْفَعُ صَوْتَكَ إِلَى السُّحُبِ فَيُعْطِيكَ فَيْضُ الْمِيَاهِ؟ ٣٥ أَتُرْسِلُ الْبُرُوقَ فَتَذْهَبُ وَتَقُولُ لَكَ: هَا

نَحْنُ؟ ٣٦ مَنْ وَضَعَ فِي الطَّخَّاءِ حِكْمَةً أَوْ مَنْ أَظْهَرَ فِي الشُّهْبِ فِطْنَةً؟ ٣٧ مَنْ يُخْصِي الْغُيُومَ بِالْحِكْمَةِ وَمَنْ يَسْكُبُ أَزْفَاقَ السَّمَاوَاتِ ٣٨ إِذْ يَنْسِيكَ التُّرَابُ سَبْكَاً وَيَتَلَصَّقُ الطِّينُ؟
[أَتَصْطَادُ لِلْبُؤَةِ فَرِيْسَةً أَمْ تُشْبِعُ نَفْسَ الْأَسْبَالِ ٤٠ حِينَ تَرْبِضُ فِي عَرِينِهَا وَتَكْمُنُ فِي ٣٩
غَابَتِهَا لِلْكُمُونِ؟ ٤١ مَنْ يُهَيِّئُ لِلْغُرَابِ صَيْدَهُ إِذْ تَنْعَبُ فِرَاحُهُ إِلَى اللَّهِ وَتَتَرَدَّدُ لِعَدَمِ الْقُوْتِ؟

طرح الله على عبده أيوب هذه الأسئلة ليعلمه ويعلمنا نحن أيضا في نفس الوقت بأنه يسوس جميع أمور عالمه بمقتضى مشيئته المقدسة على أساس العدل والحق. فان كان موقفه هكذا من الطبيعة ومن الحيوانات فكم بالحري موقف الله س

الإنسان المبني على ذات الأسس السامية إلا أن هناك عالم هام لا يمكننا أن نهمله فيما يتعلق في حياة الإنسان ألا وهو عامل الشر الذي دخل حياته نظرا لمعصية الإنسان الأول وثورته على الله وبتحريض من الشيطان. وهكذا لا يجوز لنا ونحن نحاول فهم الحياة البشرية القديمة منها والمعاصرة ولا يجوز لنا بأن ننسب الشر إلى الله. يعمل الله منذ فجر التاريخ على احتواء هذا العامل المزعج والمخرب والطفيلي في حياة تاج المخلوقات. وهذا ما يفسر لنا وضع الله برنامج الخلاص والإنقاذي موضع التنفيذ منذ سقوط آدم في الخطيئة. الله هو الخال والمعتني بمخلوقاته وهو أيضا صاحب البرنامج الخلاص الذي ينقذ الإنسان من الشر والمعصية وسطورة الشيطان. وقد نفذ الله برنامجه الخلاص في مليء الزمن أي عندما أر سل ابنه الوحيد للعالم والذي تجسد بولادته من مريم العذراء. وبعد أن عاش لمدة ثلاثة وثلاثين سنة مات عنا على الصليب مكفرا عن خطايانا وقام في اليوم الثالث منتصرا على الشر والخطيئة والشيطان. وقد ورد في الفصل الخامس من رسالة بولس الرسول إلى أهل الإمام في رومية فيما يلي عن موضوع خلاصنا وكيفية مواجهة مشكلات الحياة:

١ فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ٢ الَّذِي بِهِ أَيْضاً قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالْإِيمَانِ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللَّهِ. ٣ وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً فِي الضِّيقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا ٤ وَالصَّبْرُ تَرْكِيبَةً وَالتَّزْكِيَّةُ رَجَاءً ٥ وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي لَأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا. ٦ لَأَنَّ الْمَسِيحَ إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضَعْفَاءَ مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لِأَجْلِ الْفَجَّارِ. ٧ فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدًا لِأَجْلِ بَارٍّ. رَبُّمَا لِأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدًا أَيْضاً أَنْ يَمُوتَ. ٨ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا. ٩ فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الْآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ. ١٠ لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءُ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ. ١١ وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً بِاللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي نَلْنَا بِهِ الْآنَ الْمُصَالَحَةَ. آمِينَ

الجواب لله ٢

كيف نقدر أن نواجه بكل مسؤولية الكوارث والفواجع التي تحل بالعديد من معاصرينا؟ وكيف نستطيع أن نضع هذه الأمور المفجعة في إطار إيماننا بالله القدير؟ هل هناك من تفسير مقنع عندما نواجه عالمنا بكل مآسيه المتكاثرة والتي تقض مضجع الملايين من أقراننا بني البشر؟

ونحن نبحث في هذا الموضوع متكلين على تعاليم الوحي الإلهي كما وردت في كتاب أيوب الصديق. وبما أن بعض مستمعينا الكرام لم يسمعوها بهذه البرامج من أولها فإنني أعود لذكر بعض المواضيع الرئيسية التي أتينا على ذكرها في الماضي. عاش أيوب في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية وكان إنساناً تقياً يعبد الله ويبتعد عن الشر. أنعم الله عليه بسبع بنين وثلاث بنات وبثروة طائلة. لكن الشيطان ادعى أمام الله بأن تقوى أيوب إنما كانت مبنية على أساس نفعي، وأنه فيما إذا خسر أيوب أولاده وثروته وصحته فإنه ينكر لله ويموت في بحر اليأس والقنوط.

فسمح الله للشيطان أن يسلب أيوب كل هذه الأمور ولم ينكر أيوب ربه.

أخذت الأمور تتعقد في سيرة أيوب. فقد وفد عليه أصدقائه الثلاثة لتعزيته ولكنهم فشلوا في ذلك إذ كانت نقطة انطلاق تفكيرهم كما يلي: كل إنسان متألم ومفجوع يكون قد ارتكب زنباً معيناً. رفض أيوب تعليلهم هذا لأنه كان بريئاً من أي ذنب معين وظل أيوب متمسكاً ببراءته ولكنه أخذ يشك في عدل الله وصار يعتقد بأن الله كان واقفاً منه موقف العداوة. ودامت المناقشة بين أيوب ورفاقه الثلاثة لأيام عديدة لم ينجح فيها لا أيوب ولا رفاقه في إقناع الطرف الآخر بصوابية رأيه أو رأيهم. وأخيراً دخل حلبة النقاش شاب اسمه أليهو فانتقد أصحاب أيوب لأنهم لم يفلحوا في تعزية أيوب وانتقد أيوب بأن هذا الأخير حاول إظهار نفسه بأنه كان أكثر عدلاً من الله القدوس. وعندما تقترب من نهاية سفر أيوب نلاحظ أن الله أخذ يتكلم مظهراً لعبده أهمية الإيمان به وعدم توجيه أي انتقاد لكيفية تسيير الله لأمره.

١ فَقَالَ الرَّبُّ لِأَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ: ٢ [مَنْ هَذَا الَّذِي يُظْلِمُ الْقَضَاءَ بِكَلَامٍ بِلَا مَعْرِفَةٍ؟
٣ أَشَدُّ الْآنَ حَقْوِيكَ كَرَجُلٍ فَإِنِّي أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمْنِي. ٤ أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الْأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِن كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ. ٥ مَنْ وَضَعَ قِيَاسَهَا؟ لَأَنَّكَ تَعْلَمُ! أَوْ مَنْ مَدَّ عَلَيْهَا مِطْمَازاً؟ ٦ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قَرَرْتَ قَوَاعِدَهَا أَوْ مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا ٧ عِنْدَمَا تَرْتَمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعاً وَهَنَفَ جَمِيعُ بَنِي اللَّهِ؟

كان الخطأ الذي وقع فيه أيوب هو أنه أخذ يشك في معاملة الله له , وظن بأن الله صار عدوا له فكان جواب الله عبارة عن أسئلة متتالية من وسط عاصفة هوجاء. أين كان أيوب عندما خلق الله الأرض وكل ما فيها؟ وهل اشترك في ترتيب أمور الخليقة؟ وإذ كان الله قد خلق الملائكة قبل خلقه للعالم المادي , ورد ذكر هذه المخلوقات وفرحها الفائق عندما شاهدت مجيء العالم المادي إلى حيز الوجود: عندما ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بني الله.

وتابع الله كلامه واصفا الطبيعة الباهرة التي صنعها الله كموطن للإنسان . وقصد الله من كلماته هذه هي تذكير أيوب أن الباري عز وجل الذي يسوس أمور الكون الشائع الأطراف , لا يعامل مخلوقاته العاقلة على أساس مغاير للعدل أو الحق أو الاستقامة. لا يجوز لمن قال عن نفسه بأنه مؤمن أن يتمدى في هكذا أفكار لا تليق بالله.

[وَمَنْ حَجَرَ الْبَحْرَ بِمَصَارِيْعٍ حِينَ انْدَفَقَ فَحَرَجَ مِنَ الرَّحِمِ. ٩ إِذْ جَعَلْتُ السَّحَابَ لِبَاسَهُ 8 وَالضُّبَابَ قِمَاطَهُ ١٠ وَجَرَمْتُ عَلَيْهِ حَدِيٍّ وَأَقَمْتُ لَهُ مَعَالِيْقَ وَمَصَارِيْعَ ١١ وَقُلْتُ: إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلَا تَتَعَدَّى وَهُنَا تُنْحَمُ كِبْرِيَاءُ لُجَجِكَ؟ ١٢] هَلْ فِي أَيَّامِكَ أَمَرْتُ الصُّبْحَ؟ هَلْ عَرَفْتُ الْفَجَرَ مَوْضِعَهُ ١٣ لِيُمْسِكَ بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ فَيُنْفِضَ الْأَشْرَارُ مِنْهَا؟ ١٤ أَتَتَحَوَّلُ كَطِينِ الْخَاتِمِ [هَلْ انْتَهَيْتَ 6 وَتَفَقَّ كَأَنَّهَا لِابْسَةٍ. ١٥ وَيُمْنَعُ عَنِ الْأَشْرَارِ نُورُهُمْ وَتَنكَسِرُ الدِّرَاعُ الْمُرْتَفِعَةُ. ١ إِلَى يَنَابِيعِ الْبَحْرِ أَوْ فِي مَقْصُورَةِ الْعَمْرِ تَمْشِيْتِ؟ ١٧ هَلْ انْكَشَفَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمَوْتِ أَوْ عَايَنْتِ [أَيِّنَ الطَّرِيقِ 9 أَبْوَابَ ظِلِّ الْمَوْتِ؟ ١٨ هَلْ أَدْرَكْتَ عَرْضَ الْأَرْضِ؟ أَخْبِرْ إِنْ عَرَفْتَهُ كُلَّهُ! ١ إِلَى حَيْثُ يَسْكُنُ النُّورُ وَالظُّلْمَةُ أَيْنَ مَقَامُهَا ٢٠ حَتَّى تَأْخُذَهَا إِلَى ثُحُومِهَا وَتَعْرِفَ سُبُلَ بَيْتِهَا؟ ٢١ تَعْلَمُ لِأَنَّكَ جِينِدٌ كُنْتَ قَدْ وُلِدْتَ وَعَدَدُ أَيَّامِكَ كَثِيرٌ! ٢٢] أَدَخَلْتَ إِلَى خَزَائِنِ الثَّلْجِ أَمْ أَبْصَرْتَ مَخَازِنَ الْبَرَدِ ٢٣ الَّتِي أَبْقَيْتَهَا لَوْقَتِ الضَّرِّ لِيَوْمِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ؟ ٢٤ فِي أَيِّ طَرِيقٍ يَتَوَزَّعُ النُّورُ وَتَتَفَرَّقُ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ عَلَى الْأَرْضِ؟ ٢٥ مَنْ فَرَّعَ قَنَوَاتِ اللَّهْطِلِ وَطَرِيقًا لِلصَّوَاعِقِ ٢٦ لِيَمْطُرَ عَلَى أَرْضٍ حَيْثُ لَا إِنْسَانَ عَلَى قَفْرِ لَا أَحَدَ فِيهِ ٢٧ لِيُرْوِيَ الْبُلْقَعَ [هَلْ لِلْمَطَرِ أَبٌ وَمَنْ وَلَدَ مَاجِلَ الطَّلِّ؟ ٢٩ مَنْ بَطْنٍ مِّنْ 8 وَالْخَلَاءِ وَيُنْبِتَ مَخْرَجَ الْعُشْبِ؟ ٢ خَرَجَ الْجَلِيدُ؟ صَقِيعُ السَّمَاءِ مَنَ وَلَدَهُ؟ ٣٠ كَحَجَرٍ صَارَتِ الْمِيَاهُ. اخْتَبَأَتْ. وَتَلَكَّدَ وَجْهُ الْعَمْرِ. [هَلْ تَرَبُّطُ أَنْتَ عُقْدَ الثَّرْيَا أَوْ تَفُكُ رُبُطَ الْجَبَّارِ؟ ٣٢ أَتُخْرِجُ الْمَنَازِلَ فِي أَوْقَاتِهَا وَتَهْدِي ٣١ النَّعْشَ مَعَ بَنَاتِهِ؟ ٣٣ هَلْ عَرَفْتَ سُنَنَ السَّمَاوَاتِ أَوْ بَ وَ جَعَلْتَ تَسْلُطَهَا عَلَى الْأَرْضِ؟ ٣٤ أَتَرْفَعُ صَوْتَكَ إِلَى السُّحُبِ فَيُغَطِّيكَ فَيْضُ الْمِيَاهِ؟ ٣٥ أَتُرْسِلُ الْبُرُوقَ فَتَذْهَبُ وَتَقُولُ لَكَ: هَا نَحْنُ؟ ٣٦ مَنْ وَضَعَ فِي الطَّحَاءِ حِكْمَةً أَوْ مَنَ أَظْهَرَ فِي الشُّهُبِ فِطْنَةً؟ ٣٧ مَنْ يُحْصِي الْغُيُومَ بِالْحِكْمَةِ وَمَنْ يَسْكُبُ أَزْفَاقَ السَّمَاوَاتِ ٣٨ إِذْ يَنْسِيكَ الثَّرَابُ سَبْكَاً وَيَتَلَصَّقُ الطِّينُ؟ [أَتَنْصُطَادُ لِلْبُؤَةِ فَرِيْسَةً أَمْ تُشْبِعُ نَفْسَ الْأَشْبَالِ ٤٠ حِينَ تَرْبِضُ فِي عَرِينِهَا وَتَكْمُنُ فِي ٣٩ غَابَتِهَا لِلْكُمُونِ؟ ٤١ مَنْ يُهَيِّئُ لِلْغَرَابِ صَيْدَهُ إِذْ تَنْعَبُ فِرَاحُهُ إِلَى اللَّهِ وَتَتَرَدَّدُ لِعَدَمِ الْقُوْتِ؟

طرح الله على عبده أيوب هذه الأسئلة ليعلمه ويعلمنا نحن أيضاً في نفس الوقت بأنه يسوس جميع أمور عالمه بمقتضى مشيئته المقدسة على أساس الحق والعدل. فان كان موقفه هكذا من الطبيعة ومن الحيوانات فكم بالحري موقف الله من الإنسان المبنى على ذات الأسس السامية؟ إلا أن هناك عامل هام لا يمكننا أن نهمله فيما يتعلق بحياة الإنسان ألا وهو عامل الشر الذي دخل حياته نظراً لمعصية الإنسان الأول وثورته على الله وبتحريض من الشيطان. وهكذا لا يجوز لنا ونحن نحاول فهم الحياة البشرية القديمة منها والمعاصرة لا يجوز لنا بأن ننسب الشر إلى الله. يعمل الله منذ فجر التاريخ على احتواء هذا العامل المزعج والمخرب والطفيلي في حياة تاج المخلوقات وهذا ما يفسر لنا وضع الله برنامجه الخلاصي والإنقاذي موضع التنفيذ منذ سقوط آدم في الخطيئة. الله هو الخالق والمعتني بمخلوقاته وهو أيضاً صاحب البرنامج الخلاصي الذي ينقذ الإنسان من الشر والمعصية وسطوة الشيطان. وقد نفذ الله برنامجه الخلاصي في ملء الزمن أي عندما أرسل ابنه الوحيد للعالم والذي تجسد بولادته من مريم العذراء. وبعد إن عاش لمدة ثلاث وثلاثين سنة مات عنا على الصليب مكفراً عن خطايانا وقام في اليوم الثالث منتصراً على الشر والخطية والشيطان. وقد ورد في الفعل الخامس من رسالة بولس الرسول إلى أهل الإيمان في رومية ما يلي عن موضوع خلاصنا وكيفية مواجهة مشكلات الحياة:

١ فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ٢ الَّذِي بِهِ أَيْضاً قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالْإِيمَانِ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ اللَّهِ. ٣ وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً فِي الضِّيقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا ٤ وَالصَّبْرُ تَرْكِيَّةٌ وَالتَّرْكِيَّةُ رَجَاءٌ ٥ وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي لَأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا. ٦ لَأَنَّ الْمَسِيحَ إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضَعَفَاءَ مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لِأَجْلِ الْفَجَّارِ. ٧ فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لِأَجْلِ بَارٍّ. رُبَّمَا لِأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضاً أَنْ يَمُوتَ. ٨ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا. ٩ فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الْآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ. ١٠ لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءُ قَدْ صُوِّلَحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ. ١١ وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً بِاللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي نَلْنَا بِهِ الْآنَ الْمُصَالَحَةَ.

آخرة المؤمن ١

النص الكتابي: أيوب ٤٢

عندما نستعرض مجرى التاريخ بما في ذلك القديم والمعاصر, نلاحظ متناقضات عديدة قد لازمت حياة بني البشر. فكم من الأبرياء تعذبوا عذابات مرة واضطهدوا ولم يجدوا سبباً مقنعاً لما جرى لهم. وكم من الأشرار الذين نكلوا بالآخرين وعذبوهم ظهرت حياتهم وكأنها خالية من المشكلات والنوائب.

ومما يزيد من حدة المعضلة التي نجابهه هي أننا كمؤمنين بالله وبسلطانه على عالمه نجد صعوبة كبيرة في تفهم الأمور التي تجري في هذه الدنيا والتي تعارض مشيئة الله القدير. لماذا يسمح الله لها بأن تتم؟ هذه أسئلة مصيرية واجهها الإنسان منذ القديم وعمل جهده لتفهمها وبما أن قرننا هذا امتاز عن القرون الماضية بكثرة الفواجع التي أملت بالبشرية وفي شتى أنحاء العالم , فإن حدة مشكلتنا الفكرية تزداد وخاصة لأننا كنا نتوقع بزغ عصر جديد تنعم فيه البشرية بالسلام والوئام.

وكما ذكرنا في برامجنا الماضية موقفنا من المعضلات التاريخية مرتبط بنظرتنا الحياتية التي ندين بها. فإن كنا نأخذ إيماننا بالله بصورة جدية فإن بحثنا يتم ضمن محتويات الوحي الإلهي المدون في كتاب الله المقدس. ولكننا إن كنا قد اخترنا فلسفات بشرية معاصرة والتي هي في لبها منكرة لله ولعالم ما فوق الطبيعة , فإننا نجابه إشكالية ذات أبعاد هائلة. وقد تقودنا أفكارنا آنئذ إلى تبني نظريات حياتية طابعها انعدام الرجاء والإقرار بعدم وجود أي معنى أن هدف للوجود البشري. ونحن نشكر الله ونحمده لأنه أعطانا كتاباً ضمن أسفار الوحي وهو كتاب أيوب الصديق حيث عولجت فيه مشكلة الآلام والعذابات والنوائب التي تنهال على البشر وخاصة على المؤمنين والمؤمنات. وقد وصلنا اليوم إلى الفصل الثاني والأربعين وهو الفصل الأخير من سفر أيوب الصديق حيث نتعلم درساً هاماً يتعلق بنهاية أو آخرة المؤمن الذي امتازت حياته بكثرة الكوارث. ونظراً لأن بعض مستمعينا الكرام لم يسمعوا هذه العظات المبنية على سفر أيوب من أولها فأعيد بشكل مختصر الأمور المختصة بسيرة أيوب.

عاش أيوب في أيام ما قبل الميلاد في القسم الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية. وقد أنعم الله عليه ببركات عديدة وكان يعبد الله عبادة خالية من النفاق. ادعى الشيطان بأن تقوى أيوب كانت مبنية على أساس نفعي وأنه فيما إذا خسر أيوب ثروته وأولاده وصحته فإنه كان سينكر الله ويموت بدون رجاء أي في بحر من اليأس المطلق. فسمح له بأن يضرب عبده بضربات قلمت نزلت ببشري. جاء رفاقه لتعزيته ولكنهم نظراً لتعلقهم بفلسفة

تبسيطية بخصوص موضوع نوائب الحياة , لم ينجحوا في مهمتهم بل صاروا من منتقديه زاعمين بأنه كان قد ارتكب خطية معينة وقد سببت له كل تلك الكوارث.

احتوى سفر أيوب على المناظرات بين أيوب ورفاقه الثلاثة وكذلك على خطابات شاب اسمه اليهو والذي انتقد كلا من أيوب ورفاقه لأنهم حادوا عن جاد الصواب في معالجتهم لموضوع نوائب الحياة. وقرب نهاية الكتاب نسمع صوت الله ذاته وهو يتكلم مع أيوب معلما إياه ما كان يجهل. وإذ نأتي اليوم إلى الفصل الأخير نلاحظ أن صاحبنا أيوب اعترف بأنه لم يجابه موضوع عذابه بصورة سليمة فتأب إلى ربه ونادما على تصرفاته السابقة.

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ: ٢ [قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ. ٣ فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْفِي الْقَضَاءَ بِلَا مَعْرِفَةٍ! وَلَكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبِ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا. ٤ اِسْمَعِ الْآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ. أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمْنِي. ٥ سَمِعَ الْأُذُنُ قَدْ سَمِعْتَ عَنْكَ وَالْآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي. ٦ لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدُمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ].

بعد أن سمع أيوب كلمات الله التي أظهرت له أن القدير يسوس دنياه بطريقة سليمة وأنه لا يجوز لأي بشري بأن يتساءل عن عدل الله أو ينتقد الباري , أقر أيوب بأنه كان يتكلم إبان محنته كإنسان وبعبارة أخرى , وصل أيوب إلى اليقين التام بأنه من المستحيل لأي بشري حتى ولو كان مؤمنا بالله. من المستحيل له أن يتفهم مواضيع الحياة البشرية أو مسيرة التاريخ. لا يعسر على الله أمر. يبقى الله على عرشه وسيادته على مجرى التاريخ تبقى مطلقة وأن ظهرت أحيانا للعين البشرية وكأنها متجاهلة لمتاعب وشؤون البشرية.

كان أيوب قبل انقضاء الكوارث عليه , كان إنسانا مؤمنا وخائفا لله وسائر ا على طريقه المستقيم. لكن معرفته لله كانت جزئية أو كما وصفها: بسمع الأذن قد سمعت عنك. أي أن الكثير مما عرفه أيوب عن الله كان مما ورثه عن أسلافه. لكن حياته لم تكن قد امتحنت كما كانت ستمتحن في بحر الآلام التي انهمرت عليه بعد أن أذن الله للشيطان بأن يجربه. ظن أيوب في أوائل حياته أنه كان بمنأى عن المشكلات والمعضلات الحياتية لأنه كان مؤمنا ومطبقا لإيمانه في معترك الحياة اليومية. لكنه تعلم من جراء ما حدث له من خسران ثروته وأولاده وصحته , تعلم أنه لا يجوز له أن يظن بأن الله صار له عدوا. فكثيرا ما سمح الله لنوائب الحياة بأن تنفض على خائفيه لا كقصاص بل كتأديب لهم ولتعليمهم بأنه مهما حدث وصار , يبقى الله آمينا على مواعيده وهو لن يتركنا فريسة للشيطان. أما وقد تعلم أيوب العبر الكثيرة من تجاربه الحياتية وبعد أن سمع كلمات الله الصريحة عن قوة الباري وحكمته وعدله ومودته لمخلوقاته , وصلت معرفته لله إلى درجة أعلى مما كانت عليه في الماضي. بسمع الأذن قد سمعت عنك , والآن أي بعد أن وصل

أيوب إلى هذه المرحلة من حياته , والآن رأيتك عيني. أي أن أيوب وصل إلى معرفة أعمق مما كانت عليه في الماضي لأنها معرفة اختبارية قلبية لموقف الله منه.

وبناء على هذا الواقع الجديد الذي وجد أيوب فيه نفسه , نظرا إلى تصرفاته وكلماته التي تفوه بها أمام رفاقه الثلاثة , أليفاز التيماني , وبلدد الشوحي وصوفر النعماتي , وكذلك الشاب أليهو , نظرا إلى كل ما صدر عنه منذ بدء محنته واعترف بخطأه وندم على ذلك وطرح نفسه أمام رحمة الله ومحفته قائلا: لذلك أرفض أي أرفض موقعي السابق، و أندم في التراب و الرماد.

وَكَانَ بَعْدَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ أَيُّوبَ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لِأَلِيفَازَ التِّيمَانِيِّ: [قَدْ 7
اخْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كُلِّ صَاحِبَيْكَ لِأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ.
٨ وَالْآنَ فَخُذُوا لَأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ وَادْهَبُوا إِلَى عَبْدِي أَيُّوبَ وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً
لِأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ وَعَبْدِي أَيُّوبَ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ لِأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ لِنَلَأُ أَصْنَعُ مَعَكُمْ حَسَبَ
حِمَاقَتِكُمْ لِأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ]. ٩ فَذَهَبَ أَلِيفَازُ التِّيمَانِيُّ وَبَلَدُ الشُّوْحِيِّ
وَصُوفَرُ النُّعْمَاتِيِّ وَفَعَلُوا كَمَا قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ. وَرَفَعَ الرَّبُّ وَجْهَ أَيُّوبَ. ١٠ وَرَدَّ الرَّبُّ سَنِي
أَيُّوبَ لَمَّا صَلَّى لِأَجْلِ أَصْحَابِهِ وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لِأَيُّوبَ ضِعْفًا. ١١ فَجَاءَ إِلَيْهِ كُلُّ
إِخْوَتِهِ وَكُلُّ أَخَوَاتِهِ وَكُلُّ مَعَارِفِهِ مِنْ قَبْلِ وَأَكَلُوا مَعَهُ خُبْرًا فِي بَيْتِهِ وَرَثُوا لَهُ وَعَزَّوْهُ عَنْ كُلِّ
الشَّرِّ الَّذِي جَلَبَهُ الرَّبُّ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ قَسِيْطَةً وَاحِدَةً وَكُلُّ وَاحِدٍ قُرْطًا مِنْ ذَهَبٍ.

١٢ وَبَارَكَ الرَّبُّ آخِرَةَ أَيُّوبَ أَكْثَرَ مِنْ أَوَّلِهِ. وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْعِغَمِ وَسِتَّةُ
آلَافٍ مِنَ الْإِبِلِ وَأَلْفُ زَوْجٍ مِنَ الْبَقَرِ وَأَلْفُ أَتَانٍ. ١٣ وَكَانَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ.
١٤ وَاسْمُ الْأُولَى يَمِيمَةُ وَاسْمُ الثَّانِيَةِ قَصِيْعَةُ وَاسْمُ الثَّالِثَةِ قَرْنُ هُفُوكَ. ١٥ وَلَمْ تَوْجَدْ
نِسَاءً جَمِيْلَاتٍ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ. وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ.
١٦ وَعَاشَ أَيُّوبَ بَعْدَ هَذَا مِئَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ. ١٧ ثُمَّ
مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبَعَانِ الْأَيَّامِ.

ماذا تعلمنا في الأسابيع الأخيرة من متابعتنا لسيرة أيوب؟ أولاً: يبقى الله مسيطراً على عالمه وعلى ما يجري فيه مهما ظهرت سيطرة الله هذه وكأنها محجوبة عن أنظارنا وعن أذهاننا. ثانياً: هناك عامل شرير قوي في دنيانا ألا وهو الشيطان الذي يرغب في تدمير الإنسان بإبعاده عن طرق الله المستقيمة. ثالثاً: كثيراً ما يسمح الله للشيطان بأن يجرب المؤمنين والمؤمنات لا ليوقعهم في دوامة اليأس القاتل بل لينقي إيمانهم ويجعلهم أكثر تعلقاً بالله وأكثر التصاقاً بمشيئته المقدسة. رابعاً: عندما يتعذب المؤمن ويظهر وكأن العالم بأسره صار عدواً له يجدر به عدم الشك بمحبة الله له أو بمقدرة الله على جعل جميع أمور الحياة , بما فيها المزعة منها , بأن تؤول في النهاية إلى خيره الزمني والأبدي.

خامساً: لا يجوز للمؤمن بان يظن أن كوارث الحياة هي قصاص معين لخطية معينة كان قد اقترفها هو أو غيره من بني البشر. الحياة البشرية هي أكثر تعقيداً وتشابكاً مما نخالها وعلينا أن ننبد تلقائياً أية نظرية تبسيطية للحياة والتي تدعي بأن الإنسان ينال في الحياة الدنيا عقاباً معادلاً للشر الذي ارتكبه. معاقبة الإنسان تبقى في يد الله وهو تعالى اسمه لا يتسرع دوماً في معاقبته للآثمة والخطاة بل يرغب في عودتهم إليه تائبين لينالوا الحياة.

وكما ذكرنا مراراً وتكراراً ونحن نبحت في سيرة أيوب، علينا نحن الذين نعيش في أيام اكتمال الوحي أي في أيام ما بعد الميلاد، علينا أن نسمح لنور الوحي الإلهي بأسره أن يسطع في سبيلنا ونحن نحاول تفهم موضوع آلام وكوارث الحياة. واذ استرد أيوب في آخرته ضعف ثروته واذ أنعم الله عليه بسبعة بنين وثلاث بنات كن من أجمل نساء تلك الأيام، كانت هذه البركات الزمنية رمزاً لرضى الله عليه ولاعلان نصر أيوب على الشيطان.

أما الآن وقد أتم المسيح عمله الخلاصي بموته الكفاري على الصليب وبقيامته المجيدة من بين الموات وقد صعد إلى السماء ليجلس عن يمين عرش العظمة فان بركات الله على المؤمنين ولا سيما أولئك الذين في هذه الحياة، لا تتم على نفس المنوال التي انتهت عليه سيرة أيوب يعدنا الله في انجيله الطاهر بأن يكون معنا في جميع أمور وأحوال حياتنا وحتى في أحلك ساعات مسيرتنا وهو يقودنا إلى شاطئ الأبدية السعيد حيث ننعم بالسلام التام في حضرته مع ملائكته القديسين وسائر الخالصين والخالصات من شتى الشعوب والقوام، آمين.

آخرة المؤمن ٢

لقد وصلنا اليوم بمعونة الله إلى الفصل الثاني والأربعين من سفر أيوب وهو الفصل الأخير من هذا الكتاب الذي عولج فيه موضوع نوائب الحياة.

وقد احتوى سفر أيوب على المناظرات التي دارت بين أيوب ورفاقه لأنهم وكذلك على خطابات شاب اسمه أليهو والذي انتقد كلا من أيوب ورفاقه لأنهم حادوا عن جادة الصواب في معالجتهم لموضوع كوارث الحياة. ونسمع صوت الله وهو يتكلم مع أيوب معلما إياه ما كان يجهل. ونلاحظ أن صاحبنا أيوب اعترف أخيرا بأنه لم يعالج موضوع عذاباته بصورة سليمة فتأب إلى ربه ونادما على تصرفاته السابقة.

١ فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ: ٢ [قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَعْصِرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ. ٣ فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْفِي الْقَضَاءَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ! وَلَكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبِ قُوِّي لَمْ أَعْرِفْهَا. ٤ اِسْمَعِ الْآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ. أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمْنِي. هِ سَمِعِ الْأُذُنُ قَدْ سَمِعَتْ عَنْكَ وَالْآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي. ٦ لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدُمُ فِي التُّرَابِ وَالزَّمَادِ].

بعد أن سمع أيوب كلمات الله التي أظهرت أنه لا يجوز لأي بشري بأن يتساءل عن عدل الله أو ينتقد الباري , أقر أيوب بأنه تكلم ابان محنته كإنسان جاهل. وبعبارة أخرى , وصل أيوب إلى اليقين التام بأنه من المستحيل لأي بشري حتى ولو كان مؤمنا بالله , من المستحيل له أن يتفهم مواضيع الحياة البشرية أو مسيرة التاريخ. لا يعسر على الله أمر. يقى الله على عرشه وسيادته على مجرى التاريخ هي مطلقة وأن ظهرت أحيانا للعين البشرية وكأنها متجاهلة لمناعب وشؤون البشرية.

كان أيوب قبل انقضاء الكوارث عليه , كان إنساناً مؤمناً وخائفاً لله وسائراً على طريقه المستقيم. لكن معرفته لله كانت جزئية أو كما وصفها: بسمع الأذن قد سمعت عنك. ولم تكن حياته قد امتحنت كما كانت ستمتحن في بحر الآلام بعد أن أذن الله للشيطان بأن يجربه. ظن أيوب في أوائل حياته انه كان بمنأى عن المشكلات والمعضلات الحياتية لأنه كان مؤمناً ومطبقاً إيمانه في معترك الحياة اليومية. لكنه تعلم من جراء ما حدث له من خسران صحته وثروته وأولاده , تعلم أنه لا يجوز له أن يظن بأن الله صار عدواً له. فكثيراً يسمح الله لنوائب الحياة بأن تنقض على خائفه لا كقصاص بل كتأديب لهم وهو لن يتركهم فريسة للشيطان. أما وقد تعلم أيوب العبر الكثيرة من تجاربه الحياتية وبعد أن سمع كلمات الله الصريحة عن قوته وحكمته وعدله ومودته لمخلوقاته , وصلت معرفته لله إلى درجة أعلى مما كانت عليه في الماضي. بسمع الأذن قد سمعت عنك , والآن أي بعد أن وصل أيوب إلى هذه المرحلة من حياته , والآن رأيتك عيني. أي أيوب اختبر معرفة أعمق

مما كانت عليه في الماضي لكونها اختبارية لموقف الله الودود منه. فطرح نفسه أمام رحمة الله ومحبه قائلاً: لذلك أرفض أي أرفض موقعي السابق وأندم في التراب والرماد.

وَكَانَ بَعْدَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ أَيُّوبَ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لِأَلِيفَازَ التِّيمَانِيِّ: [قَدْ 7
اِحْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كِلَا صَاحِبَيْكَ لِأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ.
٨ وَالْآنَ فَخُذُوا لَأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ وَادْهَبُوا إِلَى عَبْدِي أَيُّوبَ وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً
لَأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ وَعَبْدِي أَيُّوبَ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ لِأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ لِيَلَّا أَصْنَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ
حَمَاقَتِكُمْ لِأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ]. ٩ فَذَهَبَ أَلِيفَازُ التِّيمَانِيُّ وَبَلَدَدُ الشُّوجِيِّ
وَصُوفَرُ النُّعْمَاتِيِّ وَفَعَلُوا كَمَا قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ. وَرَفَعَ الرَّبُّ وَجْهَ أَيُّوبَ. ١٠ وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ
أَيُّوبَ لَمَّا صَلَّى لِأَجْلِ أَصْحَابِهِ وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لِأَيُّوبَ ضِعْفًا. ١١ فَجَاءَ إِلَيْهِ كُلُّ
إِخْوَتِهِ وَكُلُّ أَخَوَاتِهِ وَكُلُّ مَعَارِفِهِ مِنْ قَبْلُ وَآكَلُوا مَعَهُ خُبْزًا فِي بَيْتِهِ وَرَثُوا لَهُ وَعَزَّوْهُ عَنْ كُلِّ
الشَّرِّ الَّذِي جَلَبَهُ الرَّبُّ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ قَسِيطةً وَاحِدَةً وَكُلُّ وَاحِدٍ فُرْطًا مِنْ ذَهَبٍ.

١٢ وَبَارَكَ الرَّبُّ آخِرَةَ أَيُّوبَ أَكْثَرَ مِنْ أَوَّلِهِ. وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْغَنَمِ وَسِتَّةُ
أَلْفٍ مِنَ الْإِبِلِ وَأَلْفٌ رَوْحٍ مِنَ الْبَقَرِ وَأَلْفٌ أَتَانٍ. ١٣ وَكَانَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ.
١٤ وَسَمَّى اسْمَ الْأُولَى يَمِيمَةَ وَاسْمَ الثَّانِيَةِ قَصِيعةً وَاسْمَ الثَّالِثَةِ قَرْنَ هُفُوكَ. ١٥ وَلَمْ تَوْجَدْ
نِسَاءً جَمِيلَاتٍ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ. وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ.
١٦ وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ هَذَا مِئَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ. ١٧ ثُمَّ
مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبَعَانِ الْأَيَّامِ.

ماذا تعلمنا في الأسابيع الأخيرة من متابعتنا لسيرة أيوب؟ أولاً: يبقى الله مسيطراً على عالمه وعلى ما يجري فيه مهما ظهرت سيطرة الله هذه وكأنها محجوبة عن أنظارنا وعن أذهاننا. ثانياً: هناك عامل شرير قوي في دنيانا ألا وهو الشيطان الذي يرغب في تدمير الإنسان بإبعاده عن طرق الله المستقيمة. ثالثاً: كثيراً ما يسمح الله للشيطان بأن يجرب المؤمنين والمؤمنات لا ليقعهم في دوامة اليأس القاتل بل لينفي إيمانهم ويجعلهم أكثر تعلقاً بالله وأكثر التصاقاً بمشيئته المقدسة. رابعاً: عندما يتعذب المؤمن ويظهر وكأن العالم بأسره صار عوا له يجدر به عدم الشك بمحبة الله ويظهر وكان العالم بأسره صار عدواً له , يجدر به عدم الشك بمحبة الله له أو بمقدرة الله على جعل جميع أمور الحياة , بما فيها المزعجة منها , بأن تؤول في النهاية إلى خيره الزمني والأبدى. خامساً: لا يجوز لمؤمن بأن يظن أن كوارث الحياة هي قصاص معين لخطية معينة كان قد اقترفها هو أو غيره من بني البشر. الحياة البشرية هي أكثر تعقيداً وتشابكاً مما نخالها وعليها أن ننبد تلقائياً أية نظرية تبسيطية للحياة والتي تدعي بأن الإنسان ينال في الحياة الدنيا عقاباً معادلاً للشر الذي ارتكبه. معاقبة الإنسان تبقى في يد الله وهو تعالى اسمه لا يتسرع دوماً في معاقبته للأثمة والخطاة بل يرغب في عودتهم إليه تائبين لينالوا الحياة.

وكما ذكرنا مرارا وتكرارا ونحن نبحت في سيرة أيوب , علينا نحن الذين نعيش في أيام اكتمال الوحي أي في أيام ما بعد الميلاد , علينا أن نسمح لنور الوحي الالهي بأسره أن يسطع في سبيلنا ونحن نحاول تفهم موضوع آلام وكوارث الحياة. واذ استرد أيوب في آخرته ضعف ثروته واذ أنعم الله عليه بسبعة بنين وثلاث بنات كن من أجمل نساء تلك الأيام كانت هذه البركات الزمنية رمزا لرضى الله عليه ولاعلان نصر أيوب على الشيطان.

أما الآن وقد أتم المسيح عمله الخلاصي بموته الكفاري على الصليب وبقيامته المجيدة من بين الأموات وقد صعد إلى السماء ليجلس عن يمين عرش العظمة فان بركات الله على المؤمنين ولاسيما أولئك الذين تعذبوا في هذه الحياة , لا تتم على نفس المنوال التي انتهت عليه سيرة أيوب يعدنا الله في انجيله الطاهر بأن يكون معنا في جميع أمور وأحوال حياتنا وحتى في أحلك ساعات مسيرتنا وهو يقودنا إلى شاطئ الأبدية السعيد حيث ننعم بالسلام التام في حضرته مع ملائكته القديسين وسائر الخالصين من شتى الشعوب والأقوام , آمين.

الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجانا للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل